

الأفقياء والأخفياء

كُتِبَ
سَعِيدُ عَبْدِ الْعَظِيمِ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ السَّامِعِينَ

بِأَرْطَاقِ بَيْتِ الْخَضِرَاءِ
مَكَّةُ الْمَكْرَمَةِ

قال رسول الله ﷺ

﴿إن الله عز وجل

يحب العبد التقى

الـخـفـى﴾

[صحيح : أخرجه أحمد ومسلم]

الأفقياء والأخفياء

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

دار طيبة للحضارة

مكة المكرمة - العزيزية - بجوار الجامعة - ت: ٥٥٨٩٠٢٧ - ٥٥٨٩٧٨٠ - فاكس: ٥٥٦٢٩٨٦

المقدمة :

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن واله ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) ﴿ (١)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١) ﴿ (٢)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٧١) ﴿ (٣)

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .
عن عامر بن سعد أن أباه سعداً ، كان في غنم له ، فجاء ابنه عمر ، فلما رآه قال : أعوذ بالله من شر هذا الراكب ، فلما انتهى إليه قال : يا أبت أَرْضِيَتْ أَنْ تَكُونَ أَعْرَابِيًّا فِي غَنَمِكَ وَالنَّاسُ يَتَنَازَعُونَ فِي الْمَلِكِ بِالْمَدِينَةِ ، فَضَرَبَ صَدْرَ عَمْرٍو وَقَالَ : اسْكُتْ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْخَفِيَّ » ﴿ (٤)

(١) سورة آل عمران الآية « ١٠٢ » .

(٢) سورة النساء الآية « ١ » .

(٣) سورة الأحزاب الآية « ٧٠ ، ٧١ » .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم وأحمد .

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه كان يقول إذا قعد : إنكم في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة ، وأعمال محفوظة ، والموت يأتي بغتة ، من زرع حيراً يوشك أن يحصد رغبة ، ومن زرع شراً يوشك أن يحصد ندامة ، ولكل زارع مثل ما زرع ، لا يسبق بطيء بحظه ، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له ، فمن أعطى خيراً ، فالله أعطاه ، ومن وقى شراً ، فالله وقاه ، المتقون سادة ، والفقهاء قادة ، ومجالستهم زيادة .

إن الأتقياء الأخفياء قوم استقاموا على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ وكان تعاملهم مع الله في عسرهم ويسرهم ومنشطهم ومكرهم ، ولذلك كرهوا الشهرة ، فعن حبيب بن أبي ثابت قال : خرج ابن مسعود ذات يوم فاتبعه ناس فقال لهم : ألكم حاجة ؟ قالوا : لا ، ولكن أرادنا أن نمشي معك . قال : إرجعوا فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبع وقال : لو تعلمون ما أعلم من نفسي حثيتم على رأسى التراب .

وكان محمد بن سيرين إذا مشى معه رجل قام ، وقال : ألك حاجة ؟ فإن كان لك حاجة قضاها ، فإن عاد يمشى معه قام فقال له ألك حاجة ؟ وقال عبد الله بن المبارك : كن محباً للخمول « أى الخفاء لا الكسل » كراهية الشهرة ، ولا تظهر من نفسك أنك تحب الخمول فترفع نفسك فإن دعواك الزهد من نفسك ، هو خروجك من الزهد لأنك تجر إلى نفسك الثناء والمدحة .

وكان فضالة بن عبيد يقول : خصال ينفعك الله بهن ، إن استطعت أن تعرف ولا تُعرف فافعل ، وإن استطعت أن تسمع ولا تتكلم فافعل ، وإن استطعت أن تجلس ولا يُجلس إليك فافعل . ولما قيل للإمام أحمد : جزاك الله عن الإسلام خيراً ، قال : بل جرى الله الإسلام عنى خيراً من أنا وما أنا ؟ ! .

لقد كانوا يخافون العجب على أنفسهم حتى قال أبو عبيدة - رضي الله عنه - إني امرؤ من قريش وما منكم من أحمر ولا أسود يفضلني بتقوى إلا وددت أني في مسلاخه .

وقال رجل يوماً لابن عمر : يا خير الناس ، أو ابن خير الناس ، فقال : ما أنا بخير الناس ، ولا ابن خير الناس ، ولكني عبد من عباد الله ، أرجو الله ، وأخافه ، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه .

قال مطرف بن عبد الله : لأن أبيت نائماً وأصبح نائماً أحب إليّ من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً .

قال الذهبي : لا أفلح - والله - من زكى نفسه أو أعجبته .

لقد حرص الأتقياء الأخفياء على الإخلاص في العمل والصدق مع الله ، حتى قال أهل المدينة : ما فقدنا صدقة السر حتى مات عليّ بن الحسين رضي الله عنه ، ولما غسلوه وجدوا آثاراً سوداً في ظهره من حماله جرب الدقيق ليلاً لإعطائه لفقراء أهل المدينة ، وكان عمل الربيع كله سراً ، إن كان ليحيى الرجل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه ، وما رئي متطوعاً في مسجد قومه قط إلا مرة واحدة ، وكان رحمه الله يقول : كل ما لا يتغنى به وجه الله عز وجل يضمحل .

وأتقى الخلق لله هو رسول الله ﷺ ثم بقية أولى العزم من الرسل ، نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى - عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام - ثم بقية المرسلين ، ثم أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وسائر العشرة المبشرين بالجنة ثم أصحاب بيعة الرضوان وبيعة العقبة ، وأهل بدر وأحد ثم سائر الصحابة - رضی الله عنهم أجمعين - ، وكل صحابي أفضل من كل من جاء بعده .

فعن عبد الله بن مسعود قال : أنتم أطول صلاة وأكثر اجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا أفضل منكم . قيل له : بأي شيء ؟ قال :

إنهم كانوا أزهـد في الدنيا وأرغب في الآخرة منكم» .

وقد صح الخبر عن رسول الله ﷺ : [خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم] ^(١) ، ثم سرعان ما تغير الحال وتبدل وأطلت الغربة برأسها وظهرت البدع ، وتطلع الناس إلى المال والجاه والسلطان ، وطلبوا الشهرة ، ولو على حساب دينهم ، وانبهروا بالمشاهير من الكفرة الفجرة ، وعز وجود الاتقياء الأخفياء ، وقد ورد عن الفضل بن عياض أنه قال : يا مسكين أنت مسيء وترى أنك محسن وأنت جاهل وترى أنك عالم ، وتبخل وترى أنك كريم ، وأحمق وترى أنك عاقل ، أجلك قصير ، وأملك طويل . قال الذهبي أى والله صدق ، وأنت ظالم وترى أنك مظلوم ، وأكل للحرام وترى أنك متورع ، وفاسق وتعتقد أنك عدل ، وطالب العلم للدنيا وترى أنك تطلبه لله .

لقد انخدعت الكثرة بما عليه أهل الشرق والغرب ، من بهرج وزخرف وزينة ، وشائنهم في ذلك كما قال تعالى : ﴿ يَـٰٓعِلْمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ ^(٢) ، فتباعـدوا بذلك عن معاني الكرامة الحقيقية ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ^(٣) . وصاروا راضين بالدنيا عن الآخرة مؤثرين للحطام الفاني على ما عند الله تعالى ، وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول : تفقهوا قبل أن تسودوا ، وقال سفيان : لأن الرجل إذا فقه لم يطلب السؤدد ، أى لم يطلب الرياسة ، والتي قد تكون خزيًا وندامة ووبالاً على صاحبها يوم القيامة إلا من أخذها بحقها وأدى حق الله فيها ، فما أحرانا اليوم ، أن نعود لسيرة هؤلاء الاتقياء الأخفياء ، ونطالع أقوالهم وأفعالهم .

(١) صحيح : رواه الترمذى وصححه الألبانى .

(٢) سورة الروم الآية ٧ .

(٣) سورة الحجرات الآية ١٣ .

فكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

لقد جربنا كل سبيل فما جنينا إلا التعاسة والشقاء والنكد ، ولم يبق إلا أن نعود لمنهج الأنبياء والمرسلين ومن تابعهم بإحسان إلى يوم الدين ، عودة لا على سبيل التجريب ولكن على سبيل السمع والطاعة لأمر الله ، والتأدب مع شرعه سبحانه ، فما يليق بال مخلوق أن يتعدى حكمه جلا وعلا ، أو أن يضع الأهواء والأعراف ووساوس شياطين الإنس والجن في محل الدين الذي رضىه تعالى للعالمين .

لا بد من عودة مخلصه صادقة لمعالم الهدى والتقوى إصلاحاً للظاهر والباطن والسر والعلانية ، لا بد من العمل بطاعة الله على نور من الله راجين ثواب الله ، وترك معصية الله على نور من الله مخافة عذاب الله ، مع ترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس ومحاسبة النفس على مثاقيل الذر .

لا بد من تربية النفس ومجاهدتها طلباً لسعادة الدارين ، والسعى الحثيث لإقامة الدنيا على أساس من دين الله ، بحيث يشمل ذلك جميع نواحي الحياة ، فما سعدت الدنيا بمثل تقوى الله تعالى ، وأن نعلم أن ذلك لن يتم إلا بالله ، فهو سبحانه المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

اللهم إن نسألك الهدى والتقوى والعفاف والغنى ، وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، ولا تكلنا إلى أحد من خلقك ، فإنك أكرم مسئول وأعظم مأمول ، وأنت حسبنا ونعم الوكيل .

كتبه

سعيد عبد العظيم

الشهرة ومشتقاتها

الشهرة معناها الانتشار والظهور ، وهي ضد الاستتار والخفاء .

قال في المصباح المنير : وشهرت الحديث شهراً وشهرة أفشيته فاشتهر . وقال في مختار الصحاح : الشهرة وضوح الأمر ، ويقال لفلان فضيلة اشتهرها الناس ويكثر على ألسنة الناس قولهم « فلان أشهر من نار على علم » ويقولون فلان شهر بفلان إذا أشاع عليه قالة سوء ونسب النقائص له ، وقيل عن الشهر شهراً لاشتهاره بين الناس ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية « فالشهر ما اشتهر بين الناس وسمى به الهلال لوضوحه وشهرته . وجمعه شهور وأشهر قال تعالى ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾ ^(١) وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ^(٢) وهذه الأشهر الأربعة هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والحرم . وأشهرنا أى أتى علينا شهر قال ابن السكيت : أشهرنا فى هذا المكان أقمنا فيه شهراً ، وقال ثعلب : أشهرنا دخلنا فى الشهر ، ومن شروط صحة عقد الزواج الإشهار ويقصد به الإعلان بحيث يخرج عن أن يكون نكاح سر ويكفى هذا عند مالك وأصحابه ، وقد اشترط الشافعى وأبو حنيفة شهادة الرجلين على الزواج فصاعداً وإلا فسخ العقد ويخرج بذلك أيضاً عن حد السر ويشتهر أمر الزواج .

(١) سورة البقرة الآية « ١٩٧ » .

(٢) سورة التوبة الآية « ٣٦ » .

وفى كتاب تلبس إبليس : أن ابن عمر رأى على ولده ثوباً قبيحاً دوناً فقال لا تلبس هذا فإن هذا الثوب شهرة . ونقل عن بريدة أنه قال : شهدت مع رسول الله ﷺ فتح خيبر وكنت فيمن صعد الثلثة فقال حتى رأى مكانى وأتيت وعلى ثوب أحمر فما علمت أنى ركبت فى الإسلام ذنباً أعظم منه للشهرة ، وقال سفيان الثورى كان يكرهون الشهرتين الثياب الجياد التى يشتهر بها ويرفع الناس إليه فيها أبصارهم ، والثياب الرديئة التى يحتقر فيها ويستذل ، وقال معمر : عاتبت أيوب على طول قميصه فقال : إن الشهرة فيما مضى كانت فى طوله وهى اليوم فى تشميره . وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المرتفعة ولا الدون ، ويتخيرون أجودها للجمعة والعيدى ولقاء الإخوان ولم يكن غير الأجود عندهم قبيحاً ، وقد أخرج مسلم فى صحيحه من حديث عمر بن الخطاب أنه رأى حلة سيراى تباع عند باب المسجد فقال لرسول الله ﷺ لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك فقال رسول الله ﷺ : [إنما يلبس هذه من لا خلاق له فى الآخرة] ^(١) ، فما أنكر عليه ذكر التجميل بها وإنما أنكر عليه لكونها حريراً . أ . ه .

أخرج أبو داود وابن ماجة عن ابن عمر مرفوعاً [من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة] « وفى رواية » [ألبسه الله يوم القيامة ثوباً مثله - وزاد أبو عوانة - ثم تلهب فيه النار] ^(٢) ، قال ابن رسلان : إنما كان الوعيد لأنه لبس ثوب شهرة فى الدنيا يتعزز به ويفتخر على غيره فيلبسه الله يوم القيامة ثوباً تشتهر به مذلته واحتقاره بينهم عقوبة له ،

(١) صحيح : متفق عليه .

(٢) صحيح : رواه أبو داود وابن ماجة وصححه الألبانى .

والعقوبة من جنس العمل أ . هـ والإنسان قد يشتهر بحيث يتميز على أقرانه ويسبق أمثاله ، مما يؤدي لظهور أمره وانتشاره وهذا قد يحدث بصفة خلقية أودعها الله فيه كالقوة والطول والجمال ، أو بأمر كسبي كأساليب الغش والخداع السياسى والمعانى التى يشتهر بها الناس ، منها ما هو صالح ومنها ما هو قبيح .

السبق والمنافسة

المنافسة في اللغة مشتقة من النفاسة والذي يدل على مشروعيتها قوله تعالى ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (٢٦) ﴿١﴾ وقال تعالى : ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (٢) وإنما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدین يتسابقان إلى خدمة مولاهما إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها ، والمنافسة قد تكون واجبة أو مندوبة أو مباحة ، وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة ، والمنافسة بدل الحسد ، قال الفضل بن العباس لما أراد هو والمطلب بن ربيعة أن يأتيا النبي ﷺ فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة فقال لهما عليّ - (رضي الله عنه) - لا تذهبا إليه فإنه لا يؤمركما عليها فقال له : ما هذا منك إلا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك (٣) ، أى هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه إياك ، وفي الحديث [لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس] (٤) ، وفي حديث أبي كبشة الأنماري قال : [مثل هذه الأمة مثل أربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لى مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو ينفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته علما ولم يؤته مالا

(١) سورة المطففين الآية ٢٦ .

(٢) سورة الحديد الآية ٢١ .

(٣) صحيح : رواه مسلم .

(٤) صحيح : متفق عليه .

فيقول لو أن لى مثل مال فلان لكنت أنفقته فى مثل ما أنفقته فيه من المعاصى فهما فى الوزر سواء [^(١) فذمه النبى ﷺ من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ما له ، ثم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة ، وإن كانت من الفضائل كإنفاق المال فى المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب إليها ، وإن كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة . والحسد المشروع كما فى الحديث [لا حسد إلا فى اثنتين] ، يطلق عليه اسم الغبطة إذ ليس فيه تمنى زوال النعمة ولا كراهتها ويرجع إلى إرادة المساواة وللحق به فى النعمة كمن يحب الدار الحسنة أو المرأة الجميلة أو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره . والسبق يحدث فى معنى يتعلق بالصفات أو الزمان أو المكان فقد يحدث فى علم أو سن أو مكانة أو رياضة ويقول النبى ﷺ : [لا سبق إلا فى خف أو حافر أو نصل] والمراد من السبق فى الحديث هنا ما يوضع رهناً ويأخذه الفائز فى سباق أو رماية ، وهذا الرهن يضعه أحد المتسابقين أو تضعه الحكومة أو جمعية خيرية أو بعض الأفراد المحسنين وذلك ليخلو من كل شبهة ويتمحض للتشجيع الخالص الذى لا يراد به إلا الترغيب فى الإعداد للجهد . وفى الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية « ويجوز اللعب بما قد يكون فيه مصلحة بلا مغرة ، وظاهر كلام أبى العباس لا يجوز اللعب المعروف بالطاب والمنقلة وكل ما أفضى كثيره إلى حرمة إذا لم يكن فيه مصلحة راجحة لأنه يكون سبباً للشر والفساد وما ألهى وشغل عن ما أمر الله به فهو منهى عنه ،

(١) رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح .

وإن لم يحرم جنسه كالبيع والتجارة وسائر ما يتلهم به البطالون من أنواع اللهو وسائر ضروب اللعب مما لا يستعان به على حق شرعى فكله حرام ، وروى الإمام أحمد والبخارى ومسلم « أن عائشة رضى الله عنها وجوار كن معها يلعبن بالبنات - وهن اللعب والنبي ﷺ يراهن - فيرخص فيه للصغار مالا يرخص فيه للكبار . والصراع والسبق بالأقدام ونحوهما طاعة إذ قصد به نصر الإسلام ، وأخذ السبق عليه أخذ بالحق فالمغالبة الجائزة تحل بالعوض إذا كانت مما ينتفع به فى الدين كما فى مراهنه أبى بكر - رضى الله عنه - وهو أحد الوجهين فى المذهب ، قلت وظاهر ذلك : جواز الرهان فى العلم وفاقاً للحنفية لقيام الدين بالجهاد والعلم والله أعلم (*) . أ . ه .

(*) راجع كتاب « الضوابط الشرعية للألعاب الرياضية » ، دار الإيمان .

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ ^(١)

قال أبو منصور البغدادي التميمي : أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة ، ثم الستة الباقون إلى تمام العشرة ، ثم البديون ، ثم أصحاب أحد ، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية ، وقال القرطبي في تفسيره « لا خلاف أن أول السابقين من المهاجرين أبو بكر الصديق قال ابن العربي : السبق يكون بثلاثة أشياء الصفة وهو الإيمان والزمان والمكان وأفضل هذه الوجوه سبق الصفات والدليل عليه قوله ﷺ في الصحيح [نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له فاليهود غداً والنصارى بعد غد] ^(٢) ، فأخبر النبي ﷺ أن من سبقنا من الأمم بالزمان سبقناهم بالإيمان والامتثال لأمر الله تعالى والانقياد إليه والاستسلام لأمره والرضا بتكليفه والاحتمال لوظائفه لا نعترض عليه ولا نختر معه ولا نبدل بالرأي شريعته كما فعل أهل الكتاب وذلك بتوفيق الله لما قضاه وتيسيره لما يرضاه وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، ثم نقل عن ابن خويز منداد قال : « تضمنت هذه الآية تفضيل السابقين إلى كل منقبة من مناقب الشريعة في علم أو دين أو شجاعة أو غير ذلك في العطاء في المال والرتبة في الإكرام وفي هذه المسألة خلاف بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما واختلف العلماء في تفضيل السابقين بالعطاء على غيرهم فروى عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - أنه كان لا يفضل بين الناس في العطاء بعضهم على بعض

(١) سورة التوبة الآية (١٠٠) .

(٢) صحيح : متفق عليه .

بحسب السابقة وكان عمر يقول له أنجعل ذا السابقة كمن لا سابقة له ؟ فقال أبو بكر : إنما عملوا لله وأجرهم عليه وكان عمر يفضل في خلافته ثم قال عند وفاته : لئن عشت إلى غد لألحق أسفل الناس بأعلاهم فمات من ليلته والخلاف إلى يومنا هذا على هذا الخلاف أ . ه .

[لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه] ^(١)

وهذا الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ يرد على شبهة قوية تتعلق بالأخوة الإيمانية وتحقيقها ونحتاج فى ذات الوقت إلى الجمع بينه وبين ما ذكرناه عن السبق والمنافسة ، ففي هذا الحديث يبين النبى ﷺ أن من جملة خصال الإيمان الواجبة أن يحب المرء لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه من المحامد الدينية والدنيوية ويكره ما يكره لنفسه ، قال عبد الله بن رواحه وأبو الدرداء : الإيمان كالقميص يلبسه الإنسان تارة ويخلعه تارة أخرى ، وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال : [من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر] ويأتى إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه وفيه أيضاً عن أبى بكر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : [يا أبا ذر أراك ضعيفاً وإنى أحب لك ما أحب لنفسى لاتأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم] ^(٢) وإنما نهاه عن ذلك لما رأى من ضعفه وهو ﷺ يحب هذا لكل ضعيف وإنما كان يتولى أمور الناس لأن الله قواه على ذلك وأمره بدعاء الخلق كلهم إلى

(١) صحيح : رواه البخارى ومسلم .

(٢) صحيح : رواه مسلم وغيره .

طاعته وأن يتولى سياسة دينهم ودنياهم ، وكان محمد ابن واسع يبيع حماراً له فقال له رجل أترضاه لى ؟ قال لو رضيت لم أبعه . وهذه إشارة منه إلى أن لا يرضى لأخيه إلا ما يرضى لنفسه وفى حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : [مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحصى والسهر] ^(١) .

« قال ابن رجب » وهذا يدل على أن المؤمن يسوء ما يسوء أخاه المؤمن ويحزنه ما يحزنه .

وحديث أنس الذى نتلكم الآن فيه يدل على أن المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن ويريد لأخيه المؤمن ما يريد لنفسه من الخير وهذا كله إنما يأتى من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد ، فإن الحسد يقتضى أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد فى خير أو يساويه فيه لأن يحب أن يمتاز على الناس بفضائله وينفرد بها عنهم ، والإيمان يقتضى خلاف ذلك وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه من شئ ، وقد مدح الله تعالى فى كتابه من لا يريد العلو فى الأرض ولا الفساد فقال : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ ^(٢) إلى أن قال عكرمة وغيره من المفسرين فى هذه الآية : العلو فى الأرض التكبر وطلب الشرف والمنزلة عند ذى سلطانها والفساد والعمل بالمعاصى ثم قال وقد ورد ما يدل على أنه لا يأتى من كرهه أن يفوقه من الناس أحد فى الجمال فخرج الإمام

(١) صحيح : أخرجه فى الصحيحين .

(٢) سورة القصص الآية « ٨٣ » .

أحمد رحمه الله والحاكم في صحيحه من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : [أتيت النبي ﷺ وعنده مالك بن مرارة الرهاوي فأدركته وهو يقول : « يا رسول الله قد قسم لي من الجمال ما ترى فما أحب أحداً من الناس فضلني بشراكين فما فوقهما أليس ذلك هو البغى ؟ فقال : لا ليس ذلك بالبغى ولكن البغى من بطر أو قال سفه الحق وغمط الناس] ^(١) ، قال : « ومن هنا قال بعض السلف التواضع أن تقبل الحق من كل ما جاء به وإن كان صغيراً فمن قبل الحق ممن جاء به سواء كان صغيراً أو كبيراً وسواء كان يحبه أو لا يحبه فهو متواضع ومن أبى قبول الحق تعاضماً عليه فهو متكبر وغمط الناس هو احتقارهم وازدراؤهم وذلك يحصل من النظر إلى النفس بعين الكمال وإلى غيره بعين النقص » .

قال بعض الصالحين من السلف : أهل المحبة لله نظروا بنور الله وعطفوا على أهل معاصي الله مقتوا أعمالهم ، وعطفوا عليهم ليزيلوهم بالمواظع عن أفعالهم وأشفقوا على أبدانهم من النار ، وأما قوله عز وجل ﴿ وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ^(٢) فقد فسر ذلك بالحسد وهو تمنى الرجل نفس ما أعطى أخوه من أهل ومال وأن ينتقل ذلك إليه وفسر بتمنى ما هو ممتنع شرعاً أو قدراً كتمنى النساء أن يكن رجالاً أو يكون لهن مثل للرجال من الفضائل الدينية كالجهاد ، والدينية كالميراث والعقل والشهادة ونحو ذلك وقيل إن الآية تشمل ذلك كله ، ومع هذا كله فينبغي للمؤمن أن يحزن لفوات الفضائل الدينية ، ولهذا أمر أن ينظر في الدين

(١) صحيح : رواه أحمد وأصله عند مسلم .

(٢) سورة النساء الآية « ٣٢ » .

إلى من هو فوقه وأن ينافس في طلب ذلك جهده وطاقته كما قال تعالى : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (٢٦) ولا يكره أن أحداً يشاركه في ذلك بل يحب للناس كلهم المنافسة فيه ويحثهم على ذلك وهو من تمام أداء النصيحة للإخوان أ . هـ .

بعض صور الشهرة

أولاً : الشهرة بالعلم والصلاح :

أودع ربنا جل وعلا فى العباد عقولاً وركب فيهم فطراً ولم يكتف سبحانه بذلك بل أنزل لهم الكتب وأرسل لهم الرسل ليحيى من حى عن بينه ويهلك من هلك أيضاً عن بينة ، وقد قام الصراع منذ اليوم الأول الذى خلق فيه آدم بين آدم وإبليس من جهة ثم بين بنى آدم وبين إبليس بعد ذلك من جهة أخرى وقال سبحانه ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) ﴾ ^(١) وافترق العباد إلى مؤمن وكافر وقد قام بإزاء الطريق المستقيم ، الذى سار فيه الأنبياء والمرسلون وعباد الله الصالحين جاهليات كثيرة ومتنوعة وكلها تلتقى فى الكفر برب العالمين والمخالفة لهذا الصراط المستقيم ، ولذلك خط النبى ﷺ خطأ وخط عن يمينه وشماله خطوطاً وأشار للخط الذى فى الوسط وقال هذا الصراط المستقيم وللخطوط التى عن اليمين والشمال وقال هذه سبل على رأس كل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ الآية ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ﴾ ^(٢) واقتضت حكمة الله جل وعلا أن يحدث تدافع وأن يتم صراع بين الحق والباطل قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ ^(٣) وقال : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ

(١) سورة فاطر الآية ٦ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥٣ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥١ .

بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَّهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيعَ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ^(١) وكتب سبحانه النصر لعباده المؤمنين فقال : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ ﴿٥١﴾ ^(٢) وقال : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ ^(٣) وقال أيضاً : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٤) وقد ابتدأت البشرية بنبي مكلم فلم تتطور العقيدة ، والدين الذي ارتضاه ربنا للعالمين من لدن آدم حتى قيام الساعة هو الإسلام ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ ^(٥) ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(٦) ^(٨٥) ومرتبة النبوة التي كان عليها آدم هي من أعلى مراتب الهداية وقد أوصلها الإمام ابن القيم إلى عشر مراتب .

(١) سورة الحج الآية ٤٠ .

(٢) سورة غافر الآية ٥١ .

(٣) سورة المجادلة الآية ٢١ .

(٤) سورة الأعراف الآية ١٢٨ .

(٥) سورة آل عمران الآية ١٩ .

(٦) سورة آل عمران الآية ٨٥ .

مراتب الهداية

المرتبة الأولى :

مرتبة تكليم الله عز وجل لعبده يقظة بلا واسطة بل منه إليه وهذه أعلى مراتبها كما كلم موسى بن عمران - صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه - . قال الله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ ^(١) ، وقد أخبر سبحانه في كتابه أنه ناداه وناجاه وقال له أبوه آدم في حاجته [أنت موسى الذى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده] ^(٢) وكذلك يقول له أهل الموقف إذا طلبوا منه الشفاعة إلى ربه ولذلك يسمى « بكليم الرحمن » وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ ^(٣) ففرق بين تكليم الوحي والتكليم بإرسال الرسول والتكليم من وراء حجاب .

المرتبة الثانية :

مرتبة الوحي المختص بالأنبياء ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ ^(٤) وقال : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ فجعل الوحي فى هذه الآية قسماً من أقسام التكليم وجعله فى آية النساء قسيماً للتكليم « أى نظيراً له » .

(١) سورة النساء الآية ١٦٤ .

(٢) صحيح : جزء من حديث متفق عليه .

(٣) سورة الشورى الآية ٥١ .

(٤) سورة النساء الآية ١٦٣ .

المرتبة الثالثة :

إرسال الرسول الملكى إلى الرسول البشرى فيوحى إليه عن الله ما أمره أن يوصله إليه ، فهذه المراتب الثلاث خاصة بالأنبياء لا تكون لغيرهم ثم هذا الرسول الملكى قد يتمثل للرسول البشرى رجلاً يراه عياناً ويخاطبه ، وقد يراه على صورته التى خلق عليها وقد يدخل فيه الملك ويوحى إليه ما يوحىه ثم يفصم عنه أى يقلع والثلاثة حصلت لنبينا ﷺ .

المرتبة الرابعة :

مرتبة التحديث « أى الإلهام الخاص » وهذه دون مرتبة الوحي الخاص وتكون دون مرتبة الصديقين كما كانت لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كما قال النبى ﷺ : [لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون ، فإن يك فى أمتى فعمربن الخطاب] ^(١) ، قال ابن القيم : « سمعت شيخ الإسلام تقى الدين بن تيمية رحمه الله يقول : جزم بأنهم كائنون فى الأمم قبلنا وعلق وجودهم فى هذه الأمة بأن الشرطية مع أنها أفضل الأمم لاحتياج الأمم قبلنا إليهم واستغناء هذه الأمة عنهم بكمال نبيها ورسالته فلم يحوج الله الأمة بعده إلى محدث ولا ملهم ولا صاحب كشف ولا منام فهذا التعليق لكمال الأمة واستغنائها لا لنقصها ، والمحدث « بتشديد وفتح الدال ، إسم مفعول » هو الذى يحدث فى سره وقلبه بالشئ فيكون كما يحدث به قال ابن تيمية والصديق أكمل من المحدث لأنه استغنى بكمال صديقته ومتابعته عن التحديث والإلهام والكشف ، فإنه قد سلم قلبه كله سره وظاهره وباطنه للرسول فاستغنى

(١) صحيح : رواه البخارى ومسلم .

به عما فيه « أى عن الإلهام النفسى الذاتى » قال : وكان هذا المحدث يعرض ما يحدث به على ما جاء به الرسول فإن وافقه قبله وإلا رده فعلم أن مرتبة الصديقية فوق مرتبة التحديث ، قال : وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات : حدثنى قلبى عن ربى ، فصحيح أن قلبه حدثه ولكن عن من ؟ عن شيطانه أو عن ربه ؟ فإذا قال : حدثنى قلبى عن ربى كان مسنداً الحديث إلى من لم يعلم أنه حدثه به وذلك كذب ، وقال : ومحدث الأمة لم يكن يقول ذلك ولا تفوه به يوماً من الدهر وقد أعاده الله من أن يقول ذلك بل كتب كاتبه يوماً « هذا ما أرى الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال لا . امحه واكتب هذا ما رأى عمر بن الخطاب فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمن عمر والله ورسوله منه برئ » وقال فى الكلاله « هو الميت الذى لا والد له ولا ولد » أقول فيها برأى فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان » فهذا قول المحدث بشهادة الرسول ، وأنت ترى الاتحادى والحلولى والإباحى والشطاح والسماعى : مجاهر بالقحة والفرية يقول : حدثنى قلبى عن ربى ، فانظر إلى ما بين القائلين والمرتبين والقولين والحالين ، واعط كل ذى حق حقه ولا تجعل الزغل والخالص شيئاً واحداً . أ . هـ .

المرتبة الخامسة :

مرتبة الإلهام قال الله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴿ (١) فذكر هذين النبيين الكريمين : فأثنى عليهما بالعلم

(١) سورة الأنبياء الآيات ٧٨ ، ٧٩ .

والحكم وخص سليمان بالفهم فى هذه الواقعة المعينة وقال على بن أبى طالب وقد سئل « هل خصكم رسول الله ﷺ بشئ دون الناس ؟ فقال : لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فيما يؤتاه الله عبداً فى كتابه وما فى هذه الصحيفة وكان فيها العقل وهو الديات وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر ، وفى كتاب عمر بن الخطاب لأبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما والفهم فيما أوتى إليك » فالفهم نعمة من الله على عبده ونور يقذفه الله فى قلبه يعرف به ويدرك ما لا يدركه غيره ولا يعرفه ، فيفهم من النص ما لا يفهمه غيره مع استوائهما فى حفظه وفهم أصل معناه ، فالفهم عن الله ورسوله عنوان الصديقية ومنشور الولاية النبوية وفيه تفاوتت مراتب العلماء حتى عد ألف بواحد ، فانظر إلى فهم ابن عباس وقد سأله عمر ومن حضر من أهل بدر وغيرهم عن سورة ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ (١) وما خص به ابن عباس من فهمه منها : أنها نعى الله سبحانه نبيه إلى نفسه وإعلامه بحضور أجله وموافقة عمر له على ذلك وخفائه عن غيرهما من الصحابة ، وابن عباس إذ ذاك أحدثهم سناً ، وأين تجد فى هذه السورة الإعلام بأجله لولا الفهم الخاص ؟ ويدق هذا حتى يصل إلى مراتب تتقاصر عنها أفهام أكثر الناس فيحتاج مع النص إلى غيره ولا يقع الاستغناء بالنصوص فى حقه وأما فى حق صاحب الفهم فلا يحتاج مع النصوص إلى غيرها .

المرتبة السادسة :

مرتبة البيان العام وهو تبين الحق وتمييزه من الباطل بأدلته وشواهد

(١) سورة النصر الآية ١ .

وأعلامه ، وهذه المرتبة هي حجة الله على خلقه التي لا يعذب أحداً ولا يضلّه إلا بعد وصوله إليها ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ﴾ ^(١) فهذا الإضلال عقوبة منه لهم حين بين لهم فلم يقبلوا ما بينه لهم ولم يعملوا به فعاقبهم بأن أضلهم عن الهدى ، وما أضل الله سبحانه أحداً قط إلا بعد هذا البيان وإذا عرفت هذا عرفت سر القدر وزالت عنك شكوك كثيرة وشبهات في هذا الباب وعلمت حكمة الله في إضلاله من يضلّه من عباده ، والقرآن يصرح بهذا في غير موضع كقوله : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ ^(٢) وهذا البيان نوعان : بيان بالآيات المسموعة المتلوة وبيان بالآيات المشهودة المرئية ، وكلاهما أدلة وآيات على توحيد الله وأسمائه وصفاته وكماله وصدق ما أخبرت به عنه ، ولهذا يدعو عباده بآياته المتلوة إلى التفكير في آياته المشهودة عليهم ويحضهم على التفكير في هذه وهذه . وهذا البيان هو الذي بعثت به الرسل وجعل إليهم وإلى العلماء بعدهم وبعد ذلك يضل الله من يشاء قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُبَيِّنَ قَوْمَهُ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ^(٣) فالرسل تبين والله هو الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء بعزته وحكمته .

المرتبة السابعة :

البيان الخاص : وهو البيان المستلزم للهداية الخاصة ، وهو بيان تقارنه العناية والتوفيق والإجتباء وقطع أسباب الخذلان وموادها عن القلب فلا

(١) سورة التوبة الآية ١١٥ .

(٢) سورة الصف الآية ٥٥ .

(٣) سورة إبراهيم الآية ٤ .

تتخلف عنه الهداية البتة قال تعالى : ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ﴾ ^(١) وقال : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ ^(٢) .

المرتبة الثامنة :

مرتبة الإسماع : قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ ^(٣) وقال ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مِّنَ الْقُبُورِ ﴾ ^(٤) ^(٢٢) ^(٢٣) ^(٢٤) وهذا الإسماع أخص من إسماع الحجة والتبليغ ، فإن ذلك حاصل لهم وبه قامت الحجة عليهم ولكن ذاك إسماع الأذان وهذا إسماع القلوب ، فإنه سبحانه نفى عن الكفار سماع المقصود ، والمراد هو حظ القلب وأثبت لهم سماع الألفاظ الذي هو حظ الأذان في قوله : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمْعَوْهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ ^(٥) ^(٢٥) ^(٢٦) وهذا السماع لا يفيد السامع إلا قيام الحجة عليه أو تمكنه منها ، وأما مقصود السماع وثمرته والمطلوب منه فلا يحصل مع لهو القلب وغفلته وإعراضه بل يخرج السماع قائلاً للحاضر معه ﴿ مَاذَا قَالَ أَنفًا أَوْلَيْكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ ^(٦) والسماع ثلاث مراتب : سماع الأذن وسماع القلب وسماع القبول والإجابة .

(١) سورة النحل الآية ٣٧ .

(٢) سورة القصص الآية ٥٦ .

(٣) سورة الأنفال الآية ٢٣ .

(٤) سورة فاطر الآيات ٢٢ - ٢٣ .

(٥) سورة الأنبياء الآية ٢٠ .

(٦) سورة محمد ﷺ الآية ١٦ .

المرتبة التاسعة :

مرتبة الإلهام : قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) ﴿ (١) وقال النبي ﷺ لحصين بن الخزاعي لما أسلم « قل : اللهم ألهمني رشدى وقنى شر نفسى » قال ابن القيم : التحديث أخص من الإلهام ، عام للمؤمنين بحسب إيمانهم فكل مؤمن فقد ألهمه الله رشده الذى حصل له به الإيمان فأما التحديث فالنبي ﷺ قال فيه : [فإن يك فى أمتى أحد فعمر] (٢) يعنى من المحدثين ، فالتحديث هو إلهام خاص وهو الوحي إلى غير الأنبياء ، أما من المكلفين كقوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ (٣) وقوله : ﴿ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ﴾ (٤) وأما من غير المكلفين كقوله تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ (٥) فهذا كله وحى وإلهام وكل واحد من الفراسة ، والإلهام ينقسم إلى عام وخاص ، وخاص كل واحد منهما فوق عام الآخر ، وعام كل واحد قد يقع كثيراً وخاصة قد يقع نادراً ، والفراسة تتعلق بنوع الكسب والتحصيل « أى بتعليم وتدريب وخبرة » ، وأما الإلهام فموهبة مجردة « أى هبة من الله تعالى » لا تنال بكسب البتة .

المرتبة العاشرة :

من مراتب الهداية : الرؤيا الصالحة وهى من أجزاء النبوة كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : [الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة] وفى رواية أنها جزء من سبعين جزءاً . أ . هـ باختصار من كلام ابن القيم .

(٢) صحيح : رواه البخارى ومسلم .

(٤) سورة المائدة الآية « ١١١ » .

(١) سورة الشمس الآيات « ٧ ، ٨ » .

(٣) سورة القصص الآية « ٧ » .

(٥) سورة النحل الآية « ٦٨ » .

العظماء مائة أعظمهم محمد ﷺ !!

هذا اسم لكتاب ترجمة الكاتب الوجودى أنيس منصور ، وانبهر به كثيراً وخصوصاً وقد وضع مؤلفه رسول الله ﷺ على رأس العظماء المائة ، ولكن لو نظرنا فى الكتاب وتأملنا فيه لوجدنا أن مرتبة عيسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - جاء فى المرتبة الثالثة بعد اينشتاين ، ولا تجدد فى الكتاب بعد ذلك ذكراً لعظم الأنبياء والصحابة ومن جاء بعدهم من العلماء والصالحين ، بينما امتلأ الكتاب بالعلماء الماديين والأدباء والفنانين ، وهذا ما يجعلنا نرفض الكتاب ونذمه ونصفه بأنه صورة من صور الطغيان المادى المعاصر ، وإلا فالترتيب والتقديم والتأخير بين البشر لا يتم على أساس الأهواء أو النظرات المادية الطاغية وإنما يرجع فيه إلى ما ورد فى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

فاضل ربنا بين خلقه :

وقد خلق الله الخلق وفاضل بينهم : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ (١)
وقد اختار من أرضه مكة ، واختار من الشهور شهر رمضان ، ومن الليالى ليلة القدر ، ومن الأيام عرفة ، ومن الأسبوع يوم الجمعة ، وفاضل الله بين الملائكة فاختار منهم الذين يحملون رسالته إلى رسله وأنبيائه ، واصطفى الله من بنى آدم الأنبياء ، فالأنبياء أفضل الخلق ، وأفضل الأنبياء الرسل : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (٢) .

(١) سورة القصص الآية « ٦٨ » .

(٢) سورة الحج الآية « ٧٥ » .

تفضيل الأنبياء على غيرهم :

وقد أجمعت الأمة على تفضيل الأنبياء على غيرهم من الصديقين والشهداء والصالحين ، ويدل على تفضيلهم قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٨٦) ﴿ (١)

أبو بكر الصديق رضي الله عنه أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ :

وقد أخبر الرسول ﷺ أنه : [ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر] ^(٢) ، وهذا يدل على أن الأنبياء والمرسلين أفضل الخلق وأن أفضل رجل بعدهم أبو بكر الصديق ، وشبيه بهذا قول رسول الله ﷺ في أبي بكر وعمر : [هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين] ^(٣) ، وقد رتب الله عباده السعداء الذين أنعم الله عليهم أربع مراتب ، قال تعالى : ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٢٥) ﴿ (٤) فأول هذه المراتب وأعلاها الأنبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون ، والنبوّة لا

(١) سورة الأنعام الآيات « ٨٣ - ٨٦ » .

(٢) حسن : أخرجه عبد بن حميد والخطيب وغيرهما .

(٣) صحيح : رواه الترمذى وغيره وصححه الألبانى .

(٤) سورة النساء الآية « ٦٩ » .

ينالها العبد بكسب أو اجتهد : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (١) وأفضل الأنبياء الرسل وأفضلهم أولو العزم ، وهم خمسة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ورسول الله ﷺ وهو أفضلهم - عليهم جميعاً الصلاة والسلام - وإذا تأملنا فى سيرة أنبياء الله ورسله رأيناهم أبر الناس قلوباً وأعماقهم علماً وأحضرهم بديهة وأشدهم تحملاً وأرقهم طباعاً ، فلا عجب أن يختارهم الله ليكونوا أمناء وحيه والعاملين على إقامة دينه ، فهم القمم السامقة التى تعجز النفوس عن أن تبلغ مداها .

ضلال من فضل الأئمة والأولياء على الأنبياء :

وقد ضلت الشيعة فى تفضيلها الأئمة على الأنبياء ، وسفهت بعض المتصوفة فى زعمهم أن الولاية أفضل من النبوة ، وهؤلاء وأولئك خالفوا الكتاب والسنة واجماع علماء الأمة المعبرين ، ولقد فضل الله بعض النبيين والرسل على بعض فقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ (٣) ، وقد ذكر أولوا العزم الخمسة فى قوله سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (٥) ، وفى الحديث : [أنا

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٤ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٥٥ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٣ .

(٤) سورة الأحزاب الآية ٧ .

(٥) سورة الأحقاف الآية ٣٥ .

سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، ويبدى لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ ، آدم فمن سواه ، إلا تحت لوائى ، وأنا أول شافع ، وأول مشفع ، ولا فخر [(١)] .

من سبقنا بالزمان سبقناه بالإيمان والعبرة بمن صدق :

وقد نص القرآن على تفضيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار فقال سبحانه : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١٠٠) (٢) وأفضل هؤلاء الخلفاء الأربعة ثم الستة الباقيون إلى تمام العشرة ، ثم البديريون ثم أصحاب أحد ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية ، وأولهم إسلاماً أبو بكر من الرجال ، ومن النساء خديجة ، ومن الصبيان على ، ومن الموالي زيد بن حارثة ، ومن العبيد بلال .

قال ابن العربي : السبق يكون بثلاثة أشياء ، الصفة وهو الإيمان والزمان والمكان وأفضل هذه الوجوه سبق الصفات لقول النبي ﷺ : [نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم] (٣) الذى اختلفوا فيه فهدانا الله له فاليهود غداً والنصارى بعد غداً [(٤)] . فمن سبقنا من الأمم بالزمان سبقناهم بالإيمان والامتثال لأمر الله تعالى والانقياد إليه والاستسلام لأمره والرضا بتكليفه والاحتمال لوظائفه ، لا

(١) صحيح : رواه الترمذى وأحمد وغيرهما ، وصححه الألبانى .

(٢) سورة التوبة الآية ١٠٠ .

(٣) يوم الجمعة .

(٤) صحيح : متفق عليه .

نعترض عليها ولا نختار ولا نبذل بالرأى شريعته كما فعل أهل الكتاب ، وذلك بتوفيق الله لما قضاه وبتييسيره لما يرضاه وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

إن أكرمكم عند الله أتقاكم :

فأفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين أبو بكر فعمر فعثمان فعلى فسائر العشرة المبشرة بالجنة ، وكل صحابى أفضل من كل من جاء بعده ، كما قال الإمام النووي . قال : قال النبي ﷺ : [دعوا لى أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه] ، وأكبر التابعين الفقهاء السبعة من أهل المدينة ، وأفضل التابعين على وجه العموم والجملة أويس بن عامر القرنى ، وأفضلهم علماً سعيد بن المسيب ، وسيدنا التابعين من النساء حفصة بنت سيرين وعمرة بنت عبد الرحمن .

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : [خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم] ^(١) ، فهؤلاء هم أفضل الناس علماً وعملاً واعتقاداً ، ونحن عندما نقدم هؤلاء الأفاضل ننزل على أمر ربنا فى التفضيل والتعظيم ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ^(٢) ، وفى ذات الوقت لا ننكر قيمة العلم المادى التجريبي الذى فيه منفعة حقيقية للبشر كالكهرباء والذرة ... ولكن لا يجوز تقديم هذه العلوم ولا أهلها على علوم الهداية ولا على الأنبياء والمرسلين .

سفهت العقول عندما قدمت الفنانين على الأنبياء !!! :

وإذا كان هذا هو قولنا فى العلم المادى النافع فقولنا أشد بالنسبة للفنانين

(١) صحيح : رواه الترمذى ، وصححه الألبانى .

(٢) سورة الملك الآية ١٤ .

كالرسامين والشعراء والموسيقيين والمغنيين والراقصين ، وكذلك الكتاب والأدباء من الملاحدة والمنحرفين ، فكيف يوصف هؤلاء بوصف العظماء !!؟ وإنهيار الكثرة بهم وذبوع صيتهم وشهرتهم لا عبرة بها ولا التفات لها : ﴿ وَإِنْ تُطَعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ^(١) ، فالحق والخير لا يعرف بكثرة ولا بقلة . فاعرف الحق تعرف أهله واعرف الباطل تعرف من أتاه واسلك طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين . ولا بد من الحذر المتأكد من أوصاف العظمة والشجاعة والقيادة التي يصف بها الأعداء أحياناً رسول الله ﷺ ، إذ هم كثيراً ما يفصلونها عن معنى النبوة والرسالة التي ينكرونها وهم بذلك يدسون السم في العسل للأغرار ، فانتبهوا رحمكم الله .

وخلاصة القول أن من أعظم أسباب بقاء الذكر الجميل الدعاء وتحقق الإنسان بالعلم النافع والعمل الصالح وتقييض من يساعد ويساهم في اشتهاار الحال كطلبة علم كما حدث مع الأئمة الأربعة ، أو بكتاب متداول مشهور ككتاب أبي بكر بن مجاهد مما ساعد على اشتهاار القراء السبعة ، وقد تكون الخصومة والعداوة سبباً في اشتهاار أمر الإنسان ، كما حدث مع كفار قريش مع رسول الله ﷺ في بداية الدعوة فقد وقفوا على مشارف الطرق يحذرون الناس من رسول الله ﷺ ، وربنا جل وعلا قد يخدم هذا الدين بالرجل الفاجر . وكما ترى فالأمر كله يعود إلى الأخذ بالأسباب الشرعية متى وجدت وتفويض الأمر كله لله وأن تعلم أن الأمور تجري بقدر وأن الفضل كله بيد الله .

ميكافيللى أحد صناع الشهرة الزائفة

ولد هذا الخبيث عام ١٤٦٩م وتوفى عام ١٥٢٧م . وقد أودع تعاليمه الخبرة كتابه « الأمير » الذى يحرض رجال السياسة والحكم على التلمذ عليه والاهتداء بهديه ، وقد وصلت به الجرأة إلى تنبيه الناس إلى نبذ الفضائل عند الاقتضاء ، وتحت عنوان (كيف يكون وفاء الأمير) يقول ما نصه :

لا ينبغي للأمير الحذر أن يحفظ العهود إذا كانت ضد مصلحته وما دامت الأسباب التى دعت للوعد قد انقضت عهدها (المقصود بالأمير حاكم المقاطعة) إذا كان الناس كلهم أخياراً ، فإن القاعدة التى ذكرتها تكون لاشك سيئة ولكنهم أشرار ولن يحفظوا لك عهداً فلست مضطراً لحفظ عهودهم ، ثم إن الأمير لا يفقد حيلة شرعية يركن إليها إذا لم يف بوعده ، وأن الأمثال فى هذا الباب كثيرة تثبت أن السلم قد تزعزع مراراً وأن الوعود قد نسيت تكراراً بأمراء لا وفاء لهم وأن الذين استطاعوا من الأمراء تقليد الشعلب قد فازوا وانتصروا ولكن من الضرورى أن يخفى الرجل هذه الخليقة وأن يكون ماهراً فى فن التظاهر بغير شعوره ثم أن الناس من البساطة بمكان وهم أصحاب حاجات وصاحبها أرعن مطيع فلا يعدم الخادع فريسته .

ثم يقول ميكافيللى بعد ذلك بقليل ما نصه : ليس من الضرورى أن يتصف الأمير حقيقة بكل الفضائل التى سبق الكلام عليها ولكن من الضرورى أن يذاع عنه الاتصاف بها ، وإننى أجسر فأقول : إن الاتصاف بكل تلك الفضائل خطر ولكن الظهور بالتحلى بها نافع ، إنه من الخير لك أن تظهر بالتقوى والأمانة وحب الإنسانية والدين والإخلاص وأن تكون فى الواقع

كذلك ، ولكن ينبغي أن تكون منتبهاً بحيث إذا اضطرت للتحول إلى الصفات الأخرى كان ذلك بدون مشقة وينبغي العلم بأن الأمير لاسيما الحديث لا يمكنه ممارسة كل تلك الخلال الموصوفة بالحسن لدى الرجال ، لأنه يكون في أغلب الأحيان مضطراً للاحتفاظ بالملك فيعمل ضد الإيمان والإحسان والإنسانية والدين لذا ينبغي أن يكون له عقل سهل التحول والانتقال حسبما يقتضيه قلب الأحوال وألا يترك صنع الخير ما استطاع وأن يكون قادراً على صنع الشر إذا احتاج لذلك وينبغي للأمير ألا يحرك لسانه بكلمة لا تدل على أنه متحل بالخلال الخمس السالفة الذكر فلا يرى فيه الرائي ولا يسمع منه السامع إلا الأمانة والعفة والتقوى وحب الإنسانية ، وأهم تلك الصفات صفة التقوى لأن الرجال يحكمون عادة بالنظر لا بالخبرة وكل الناس ترى فيك مظاهرك وقليلون يلمسون حقيقتك ، وهؤلاء القليلون لا يستطيعون أن يقاوموا الكثيرين المحتممين بسلطة الأمير . فليعيش الأمير وليحافظ على عرشه دون النظر في الوسائل فإنها ستبقى على الدوام معتبرة شريفة يمدحها الكل لأن العامة مأخذون بالظواهر وبناتج الأشياء والعالم لا يشمل إلا العامة والقليلون من الخاصة لا يظهرون إلا عندما يضل الكثيرون أ . هـ .

فالغاية عنده تبرر الوسيلة ، والدين لديه مطية ووسيلة للمحافظة على الحكم فحسب ، وأقواله لا تحتاج لتعليق كثير فهي تدل على عدم إيمان بالله ولا باليوم الآخر ، ثم لا تغفل الفارق الكبير بين رجال السياسة ورجال الدين وإلا فرجل الدعوة قد يقف في مواطن الهداية حتى وإن كلفته نفسه كصاحب [يس] الذى أتى من أقصى المدينة يسعى قال : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي

فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴿١﴾ فَأَخَذُوهُ وَعَاجِلُوهُ بِالْقَتْلِ فَنصَحَهُمْ مِيتًا كَمَا
نصَحَهُمْ حَيًّا قَالَ : ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ
الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ ﴿٢﴾ .

كيف صنعوا المشاهير ببلادنا

كمثال - والأمثلة كثيرة لا تنحصر - انظر لما حدث في ثورة سنة
١٩١٩م فقد أبرق اللورد النوبي إلى وزارة الخارجية البريطانية يقول (بعد تحريره
شهرًا وبعد تغيير انجلترا لمدوبها في مصر) .

(١) الثورة تنبع من الأزهر وهذا أمر له خطورته .

(٢) أفرجوا عن سعد زغلول وأرسلوه إلى القاهرة ، فخرج سعد ليصرف
الثورة من دينية إلى وطنية تنادى بتحرير التراب ويشترك فيها الجميع ، وقال
قولته المشهورة : الدين لله والوطن للجميع ، وكأن التراب بذلك أهم على
صاحب الثورة من دينه ، وكان ما كان بعد ذلك من رفع شعار الوطنية كبديل
عن كلمة الإسلام وليصبح بذلك سهماً من جملة السهام المسمومة التي
أطلقت على جسم هذه الأمة لإبعادها عن دينها وعن إسلامها .

وقد كتبت المصور يوم وفاة سعد زغلول تقول : وقد شارك البنائين
الأحرار الماسون في تشييع جنازة الزعيم الكبير ، وكان رحمه الله قطب من

(١) سورة يس الآيات « ٢٠ ، ٢٢ » .

(٢) سورة يس الآيات « ٢٦ ، ٢٧ » .

أقطاب الماسونية . ونشرت المقطم يوم الجمعة ٢٦ أغسطس سنة ١٩٢٧ (حداد الماسونية على فقيد البلاد الأعظم) فقدت الماسونية المصرية بفقد سعد العظيم الخالد عضواً كبيراً وفضلاً كثيراً وذخراً وفيراً كانت تعتز بفضلله ، وستقام حفلة جناز ماسونية للفقيد الأعظم يعلن موعدها فيما بعد أ . ه .

والأمر لا يدعو للتعجب فهو قبل موته كان يقول : خسرنا كل شئ وكسبنا صداقة الإنجليز . وقال أيضاً : الإنجليز خصوم شرفاء معقولون .

وقد بين جورج كيرك مؤلف كتاب [موجز تاريخ الشرق الأوسط] أن القومية العربية ولدت في دار المندوب السامي البريطاني ، وأظهر كيف أقامت أمريكا زعامات كاملة تدافع عن القومية العربية وما حدث من انقلابات من أجل ذلك .

ومن الأمثلة أيضاً : مصطفى كمال أتاتورك الذي وصف بالبطولة وأنه محرر الشعب التركي من سلطة السلاطين واتخذ مثالا يحتذى لكثير من الثورات في البلاد العربية حتى أن شوقي بعد الانتصار المدبر على الإنجليز أنشد يقول :

الله أكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب

ولكن ما لبث أن ظهر على حقيقته حيث ألغى الخلافة واللغة العربية حتى في الآذان وألغى المحاكم الشرعية وفرض العلمانية على الشعب التركي ونزع الحجاب ، ثم ظهرت الوثائق التاريخية فأثبتت عمالته للإنجليز وصلته بالماسونية حتى أنه عندما حضرته الوفاة استدعى السفير الإنجليزى وطلب منه أن يتولى حكم تركيا من بعده فاعتذر السفير بلباقة حتى لا تتكشف العمالة ، وقد كان أتاتورك من يهود الدونمة وقدمت عائلته من المغرب وأخذ يترقى في الجيش

التركي ، وأحكمت خطة التلميع والإشهار بإنسحاب انجلترا أمامه ليرجع بعد ذلك بصورة البطل المنتصر ويتم الدور المطلوب منه بإلغاء الخلافة .

وفي محيط المرأة حدث نوع من الإشهار لبعض النسوة لجرأتهن على دين الله ولتحللهم من شرع الله ، وقد ركزت الجهات المشبوهة دوماً على دور المرأة ودعوتها للاختلاط بالرجال وخلع الحجاب والتحلل الذى يطلقون عليه اسم [حرية المرأة والتحرر] ومن جملة النماذج السيئة المشهورة هدى شعراوى التى أسست الاتحاد النسائى المصرى سنة ١٩٢٣ م وكانت أول امرأة تسافر بلا محرم إلى أوروبا وحضرت أول مؤتمر دولى نسائى عقد فى روما سنة ١٩٢٣ والمؤتمر الثانى سنة ١٩٢٤ م ولما وصلت من هناك نزلت الحجاب أمام الجماهير هى وسيزا نبراوى سكرتيرتها وداستاه بأقدامهما . وكذلك أمينة السعيد التى قضت عمرها تصرخ بحرية المرأة وتعتدى على الإسلام وآدابه وأحكامه .

وخلاصة القول أن نعلم أن : صناعة هؤلاء المشاهير المزييفين وإبراز أفكارهم وآرائهم وإضفاء الهالة حولهم ليكونون قدوة وقادة للناس إنما تتولاه فى الأعم الأغلب أجهزة ودوائر مشبوهة ، ويلعب أعداد الإسلام والمسلمين بصفة خاصة دوراً كبيراً فى ذلك ، فاليهودية العالمية وما يتبعها من مؤسسات وهيئات وأندية كالروتارى والليونز ونحوهما تسعى لجذب الشخصيات الهامة سواء كانت سياسية أو فكرية أو فنية لتكون بمثابة الأداة لها لترويج أفكارها ثم تسلط الأضواء عليهم ويكفى أن ننظر للسيل الجرار من المجلات التى تركز على حياة الفنانين والفنانات مثل [الشبكة - الموعد - سمر - غرام - الفتاة الشرقية] وماذا يراد من ورائها إلا تحطيم وهدم هذه الأمة وإشهار كل ساقط وساقطة ، ولقد كان عدد كبير من فنانى مصر المشهورين أعضاء فى المحافل الماسونية .

آفات الشهرة

الطريق إلى الشهرة طريق محفوف بالمخاطر لا ينفك عن كثير من الآفات التي قد تصل بالإنسان إلى أن يبيع دينه لنيل شهرة زائفة أو هالة كاذبة ، والمضرة قد لا تقتصر على شخصية بل هي كثيراً ما تنسحب إلى غيره ومن هنا ورد الحث على التواضع وترك حب الظهور ، فعن أبي هريرة مرفوعاً [رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره] ^(١) وقال الحافظ : « فيه ترك حب الرئاسة والشهرة وفضل الخمول والتواضع » وإليك بعض الآفات التي تتعلق بالشهرة لتكون منها على حذر :

(١) إرادة الإنسان بعمله الدنيا :

وهذه صورة من صور الشرك ، وفيها يستخدم الإنسان دينه لنيل مآرب الدنيا كالذى يجاهد للقטיפه والخميلة ونحو ذلك ، ولذلك سماه النبي ﷺ عبداً ففى الصحيح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الحميصه تعس عبد الحميلة إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه ، مغبرة قدماءه إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة وإن كان فى الساقة كان فى الساقة إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع] ^(٢) ، وإذا شيك فلا انتقش : أى إذا شاكته شوكة فلا يقدر على انتقاشها وهو إخراجها بالمنقاش ، وقال الطيبي : المعنى أنه إذا وقع فى البلاء لا يترحم عليه ، فإن من وقع فى البلاء إذا ترحم له الناس

(١) صحيح : رواه مسلم وأحمد .

(٢) صحيح : رواه البخارى

ربما هان الخطب عليه ويتسلى بعض التسلى ، وهؤلاء بخلافه بل يزيد غيظهم بفرح الأعداء أو شماتتهم وهؤلاء رضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله ، وهكذا حال من كان متعلقاً برئاسة أو بصورة أو نحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضى وإن لم يحصل له سخط ، فهذا عبد ما يهواه من ذلك رقيق له إذ الرق والعبودية فى الحقيقة هو رق القلب وعبوديته ، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده ، وهذه الأمور نوعان ، فمنها ما يحتاج إليه العبد كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك فهذا يطلبه من الله ويرغب إليه فيه يكون المال عنده يستعمله فى حاجته بمنزلة حماره الذى يركبه وبساطه الذى يجلس عليه من غير أن يستعبده فيكون هلوغاً . ومنها ما لا يحتاج إليه العبد فهذا ينبغي أن لا يعلق قلبه بها فإذا تعلق قلبه بها صار مستعبداً لها وربما صار بالإضافة لذلك معتمداً على غير الله فيها فلا يبقى معه حقيقة العبودية لغير الله وهذا من أحق الناس بقول النبى ﷺ : **تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم ...** وعبد الله من يرضيه ما يرضى الله ويسخطه ما يسخط الله ويحب ما أحب الله ورسوله ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ويوالى أولياء الله ويعادى أعداء الله فهذا هو الذى استكمل الإيمان ، ثم قال : **طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه** « وهو المجاهد فى سبيل الله » قال بعضهم : قيل إن هذه إشارة إلى عدم التفاته إلى الدنيا وأربابها بحيث لا يبتغى مالا ولا جاهاً عند الناس ، بل يكون عند الله وجيهاً ولم يقبل الناس شفاعته ويكون عند الله شفيعاً مشفعاً . وفى تفسير قوله تعالى ﴿ **مَنْ كَانَ يَرْيِدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ** (١٥) ﴾ ^(١) قال ابن عباس : ﴿ **مَنْ كَانَ يَرْيِدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** ﴾ ، أى

ثوابها أى مآلها وزينتها ﴿ نُوْفَ إِلَيْهِمْ ﴾ نوفر لهم ثواب أعمالهم بالصحة والسرور فى الأهل والمال والولد ﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ ﴾ لا ينقصون .

﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا ﴾ قال بعض المفسرين : وحبط فى الآخرة ما صنعوا وصنيعهم يعنى لم يكن لهم ثواب لأنهم لم يريدوا به الآخرة وإنما أرادوا به الدنيا وقد وفى إليهم ما أرادوا ﴿ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أى كان عمله فى نفسه باطلاً لأنه لم يعمل لوجه الله والعمل الباطل لا ثواب له . وسبيل النجاة والسلامة أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله ، بل ولك فى سلف الأمة أسوة وقدوة فقد كانوا وعلى الرغم من تقواهم وإخلاصهم يقول الواحد منهم : لو أعلم أن الله تقبل منى سجدة لكان فرحى بالموت أشد من فرح الأهل بقدوم الغائب وذلك لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١) .

بقى أن يقال إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله طالباً ثواب الآخرة بعد ذلك عمل أعمالاً قاصداً بها الدنيا مثل أن يحج فرض الله ثم يحج بعده لأجل الدنيا كما هو واقع فهو لما غلب عليه منهما ، وقد قال بعضهم القرآن كثيراً ما يذكر أهل الجنة الخالص وأهل النار الخالص ويسكت عن صاحب الشائبتين وهو هذا وأمثاله .

(٢) الرياء :

فطالب الشهرة يعمل ليراه الناس ويعظموه ويرى أنه لن يتحصل على الشهرة ولن يحافظ عليها إلا بالرياء والعمل لأجل المدح والجلالة فى أعين

(١) سورة المائدة الآية « ٢٧ » .

الناس ، وهذا صنف خاسر كسابقه إذ لا يقبل الله من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً قال الله تعالى : [أنا أغنى الشركاء عن الشرك عن عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه] ^(١) . فالمرأى قصد بعمله الله تعالى وغيره وجعل الله شريكاً فإذا كان كذلك فالله تعالى هو الغنى على الإطلاق والشركاء بل جميع الخلق فقراء إليه . وفي رواية ابن ماجه وغيره « فأنا منه برئ وهو للذى أشرك » كحال المنافقين في صلاتهم ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالٍ يُرَاءُونَ النَّاسَ ﴾ ^(٢) وكذلك وصف الله الكفار بالرياء في قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ ﴾ ^(٣) فلا ثواب إلا لما خلصت فيه النية لله تعالى . والفرق بين الرياء والسمعة : أن الرياء هو العمل لرؤية الناس ، والسمعة العمل لأجل مسامعهم . فالرياء يتعلق بحاسة البصر والسمعة بحاسة السمع ويدخل فيه أن يخفى عمله لله تعالى ثم يحدث به الناس ، وفي حديث شداد بن أوس مرفوعاً : [من صلى يرأى فقد أشرك ومن صام يرأى فقد أشرك ومن تصدق يرأى فقد أشرك وإن الله عز وجل يقول : أنا خير قسيم لمن أشرك بى . فمن أشرك بى شيئاً فإن جسده وعمله قليله وكثيره لشريكه الذى أشرك به أنا عنه غنى] ^(٤) وحديث الضحاك بن قيس مرفوعاً : [إن الله عز وجل يقول : أنا خير شريك ، فمن أشرك معي شريكاً فهو لشريكي يا أيها الناس أخلصوا أعمالكم لله عز وجل فإن الله لا يقبل من

(١) صحيح : رواه مسلم .

(٢) سورة النساء الآية « ١٤٢ » .

(٣) سورة الأنفال الآية « ٤٧ » .

(٤) رواه أحمد وفي سنده ضعف .

الأعمال إلا ما خالص له ولا تقولوا هذا لله وللرحم فإنها للرحم وليس لله منه شيء ولا تقولوا هذا لله ولوجوهكم فإنه لوجوهكم وليس لله منه شيء ^(١) [وحديث أبي أمامة الباهلي أن رجلاً جاء رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له ؟ فقال رسول الله : [لا شيء له] فأعادها عليه ثلاث مرات يقول له رسول الله : [لا شيء له] ثم قال : [إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه] ^(٢) أما لو خالط نية الجهاد مثلاً نية غير الرياء مثل أخذ أجره للخدمة أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة نقص بذلك أجر جهادهم ولم يبطل بالكلية . وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ [إن الغزاة إذا غنموا غنيمة تعجلوا ثلثي أجرهم فإن لم يغنموا شيئاً تم لهم أجرهم] ^(٣) ، وقال الإمام أحمد : التاجر والمستأجر والمكاري أجرهم على قدر ما يخلص من نيتهم في غزواتهم ولا يكونون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره . وقال أيضاً فيمن يأخذ جعلاً على الجهاد إذا لم يخرج لأجل الدراهم فلا بأس . وأما إن كان أصل العمل لله ثم طرأ نية الرياء فإن كان خاطراً ودفعه فلا يضره بغير خلاف وإن استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا يضره ذلك ويجاز على أصل نيته ؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري ورجحوا أن عمله لا يبطل بذلك وأنه يجازى بنيته الأولى وهو مروى عن الحسن البصري وغيره ، ويستدل لهذا القول بما أخرجه أبو داود في مراسيله عن عطاء الخراساني أن رجلاً قال : يا رسول الله إن بني سلمة كلهم يقاتل فمنهم من

(١) رواه البزار وابن مردويه والبيهقي بسند ، وقال النذري : لا بأس به .

(٢) حسن : رواه داود والنسائي بإسناد جيد ، وحسنه الألباني .

(٣) صحيح : رواه مسلم .

يقاتل للدنيا ومنهم من يقاتل نجدة ومنهم من يقاتل ابتغاء وجه الله ، قال : كلهم إذا كان أصل أمره أن تكون كلمة الله هي العليا » وذكر ابن جرير أن هذا الاختلاف إنما هو في عمل مرتبط آخره بأوله كالصلاة والصيام والحج ، فأما ما لا ارتباط فيه كالقراءة والذكر وإنفاق المال ونشر العلم فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه ويحتاج إلى تجديد نية .

فأما إذا عمل العمل لله خالصاً ثم ألقى له الشئ الحسن في قلوب المؤمنين ففرح بفضل الله ورحمته واستبشر بذلك لم يضره ، وفي هذا المعنى جاء حديث أبي بكر عن النبي ﷺ أنه سئل عن الرجل يعمل العمل من الخير يحمده الناس عليه فقال : [تلك عاجل بشرى المؤمن] ^(١) ، وروى مسلم في صحيحه حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار : المقاتل ليقال جرىء والمتعلم ليقال عالم والمتصدق ليقال جواد .

وعن أبي سعيد مرفوعاً : [ألا أخبركم ما هو أخوف عليكم عندى من المسيح الدجال ؟] قالوا بلى . قال : [الشرك الخفى يقوم الرجل فيصلى فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل] ^(٢) .

قال ابن القيم : وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله وقول الرجل للرجال ما شاء الله وشئت ، وهذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك وما لى إلا الله وأنت ، وأنا متوكل عليك ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا ، وقد يكون هذا شركاً بحسب حال قائله ومقصده » أ . هـ ، وضد الشرك الأصغر التوحيد والإخلاص وهو إفراد الله بالعبادة باطنياً وظاهراً ، والرياء

(١) صحيح : رواه مسلم .

(٢) حسن : رواه ابن ماجه والبيهقى وحسنه البوصيرى فى الزوائد ، وكذا الألبانى .

أن يكون ظاهره خيراً من باطنه ، ومعلوم أن حب الرياسة والجاه عند الناس هو الحامل له على الرياء ، قال الطيبي : وهو من أضر غوائل النفس وبواطن مكائدها يتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة فإنهم مهما قهروا أنفسهم وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العلم والعمل فوجدت مخلصاً من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق تبارك وتعالى وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده ، فأحب مدحهم وتبركهم بمشاهدته وخدمته وإكرامه وتقديمه في المحافل فأصابته النفس في ذلك أعظم اللذات وأعظم الشهوات وهو يظن أن حياته بالله تعالى وعبادته ، وإنما حياته هذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول الناقدة قد أثبت اسمه عند الله من المنافقين وهو يظن أنه عند الله من عباده المقربين ، وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ولذلك قيل : آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرسالة . أ . هـ .

وكان حذيفة يتعوذ بالله من خشوع النفاق فلما قيل له وما خشوع النفاق ؟ قال : أن يرى البدن خاشعاً والقلب ليس بخاشع ، ولما رأى عمر شاباً قد طأطأ رأسه قال له : يا ابن أخى ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما فى القلب .

(٣) الكبر :

والتكبر يحدث بالعلم والمال والجمال والحسب والنسب والرياضة ، وكثرة الأتباع والأنصار والعشيرة وفي الحديث : [لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله

سما فقال : إن الله جميل يحب الجمال . الكبر بطر الحق وغمط الناس^(١) ، وطر الحق أى ، الاستنكاف عن قبوله ورده والنظر إليه بعين الاستصغار وذلك للترفع والتعظيم ، ومعنى غمط الناس : إزدراؤهم واحتقارهم .

قال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾^(٢) ، وقال سبحانه : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾^(٣) ، وقال : ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾^(٤) ، وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾^(٥) وقال ﷺ : [لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر]^(٦) وقال النبى ﷺ : [لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطراً]^(٧) وقال النبى ﷺ : يقول الله تعالى : [الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحداً منهما ألقيته فى جهنم ولا أبالى]^(٨) وعيب على من خرج من مجرى البول مرتين أن يتكبر .

وقال المؤمنون : ما تكبر أحد إلا لنقص وجده فى نفسه ولا تطاول إلا لوهم أحس من نفسه وقيل من وضع نفسه دون قدره رفعه الناس فوق قدره ، ومن رفعها عن حده وضعه الناس دون حده ، وقال ابن المعتز : لما عرف أهل النقص حالهم عند ذوى الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيراً ويرفع حقيراً وليس بفاعل .

(٢) سورة الأعراف الآية « ١٤٦ » .

(٤) سورة النحل الآية « ٢٣ » .

(٦) صحيح : رواه البخارى .

(٨) صحيح : رواه مسلم بنحوه .

(١) صحيح : رواه مسلم .

(٣) سورة غافر الآية « ٣٥ » .

(٥) سورة غافر الآية « ٦٠ » .

(٧) صحيح : رواه البخارى .

يا مظهر الكبر إعجاباً بصورته انظر خلاك فإن النتن تشربُ
لو فكر الناس فيما فى بطونهم ما استشعر الكبر شبانٌ ولا شيب
هل فى ابن آدم مثل الرأس مكرمة وهو بخمس من الأقدار مضروب
أنف يسيل وأذن ريحها سمك والعين مرفوضة والشعر ملعوب
يا ابن ادم ومأكول التراب غداً أقصر فإنك مأكول ومشروب

وقال ابن السماك لعيسى بن موسى : تواضعك فى شرفك أشرف لك من شرفك ، وروى عن عمر أنه نادى : الصلاة جامعة . فلما اجتمع الناس صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال : أيها الناس لقد رأيته على حالات لى من بنى مخزوم فيقبضن لى القبضنة من التمر والزبيب فأظل اليوم وأى يوم ؟ فقال عبد الرحمن بن عوف : والله يا أمير المؤمنين ما زدت على أن قصرت بنفسك فقال عمر : ويحك يا ابن عوف إنى خلوت بنفسى فقالت : أنت أمير المؤمنين فمن ذا أفضل منك فأردت أن أعرفها نفسها .

وجاء أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيوف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف : أقوم إلى السراج فأصلحه فقال : ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه ، قال : أفأنبه الغلام ؟ فقال : هى أول نومة نامها فقام وملاً المصباح زيتاً فقال الضيف : قمت أنت يا أمير المؤمنين فقال : ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص منى شئ وخير الناس من كان عند الله متواضعاً . فمن طلب التواضع فليقتد برسول الله ﷺ فلقد كان أعظم خلق الله فى الدنيا والدين . وعن أنس أن ناساً قالوا : يا رسول الله يا خيرنا وسيدنا وابن سيدنا .

فقال : [يا أيها الناس لا يستهونكم الشيطان أنا محمد بن عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله] . وعن ابن مسعود قال : أتى النبي رجل يكلم فأرعد « ارتعدت فرائضه » فقال له النبي ﷺ : [هون عليك فلست بملك أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد] ^(١) . وسأل عمر رجلاً فقال له من سيد قومك ؟ فقال : أنا ، قال له عمر : كذبت لو كان كذلك لم تقله . وقال الشافعي : أرفع الناس قدراً من لا يرى قدره وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله ، وقال الفضيل بن عياض : رأس الأدب معرفة الرجل قدره . ولما قيل للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ : أنت أكبر أم رسول الله ؟ قال : هو أكبر مني وأنا أسن منه « وكان أكبر من رسول الله ﷺ سناً » وقيل لأبي وائل : أيكما أكبر أنت أم الربيع بن خيثم ؟ قال : أنا أكبر منه سناً وهو أكبر مني عقلاً ، قيل لعبد الله بن المبارك : ما التواضع ؟ قال : التكبر على المتكبرين ، وقال عبد الملك بن مروان : أفضل الرجال من تواضع عن رفعة وعفا عن ذروة وأنصف عن قوة . وكانوا يقولون : لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم فإن ظن أنه قد علم فقد جهل . وإن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً ، فاعفوا يعزكم الله وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله .

(٤) العجب والغرور :

فالتفرد والامتياز قد يصيب الإنسان بحالة من حالات العجب والغرور وهذه من جملة الآفات المهلكات قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً ﴾ ^(٢) ، وقال النبي ﷺ [ثلاث منجيات وثلاث مهلكات

(١) صحيح : رواه ابن ماجه وصححه الألباني .

(٢) سورة التوبة الآية « ٢٥ » .

فأما المنجيات فتقوى الله في السر والعلانية والقول بالحق في الرضا والسخط والقصد في الغنى والفقر وأما المهلكات فهوى متبع وشح مطاع واعجاب المرء بنفسه وهي أشدهن [^(١)] ، وقال النبي ﷺ : [بينما رجل يتبختر في بردين وقد أعجبتة نفسه خسف الله به الأرض يتجلجل فيها إلى يوم القيامة] ولذلك قال تعالى : ﴿ فَلَا تَرْكُؤُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ ^(٢) وقال سبحانه : ﴿ لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ ^(٣) والمن وليد العجب وهذا واضح من قول قارون ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ ^(٤) ومن قول صاحب الجنتين ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ ^(٥) وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ^(٦) وقال ﷺ : [إن الله أذهب عنكم عيبة الجاهلية - أى عجبها وكبرها - كلكم لآدم وآدم من تراب] ^(٧) وقال في خطبة الوداع : [أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب وليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا أحمر على أبيض ولا أبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى اللهم بلغت اللهم فاشد ألا فيبلغ الشاهد منكم الغائب] . وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ ^(٨) ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ ^(٩) .

(١) حسن : رواه البيهقي وهو حسن لطرقه كما قال الألباني .

(٢) سورة النجم الآية « ٣٢ » . (٣) سورة البقرة الآية « ٢٦٤ » .

(٤) سورة القصص الآية « ٧٨ » . (٥) سورة الكهف الآية « ٣٤ » .

(٦) سورة الحجرات الآية « ١٣ » .

(٧) حسن : رواه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة وحسنه الألباني .

(٨) سورة الإسراء الآية « ٣٨ » . (٩) سورة لقمان الآية « ١٨ » .

وثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه . وقال النبي ﷺ : [لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر منه العجب العجب] ^(١) .
ولما قيل لعائشة رضى الله عنها « متى يكون الرجل سيئاً . قالت : إذا ظن أنه محسن . وقال على أصعب ما على الإنسان معرفة نفسه . إذا أعجب الإنسان بنفسه واستكثر عمله ونسى ذنبه فقد استحكمت هلكته . وقيل لعامر بن مرة الزهرى : من أحق ؟ قال : من ظن أنه أعقل الناس . وقيل لحمسه بن رافع : من أحق الناس بالمقت ؟ قال الفقير المحتال والضعيف الصوال والغنى القوال .
وقال النبي ﷺ [ما منكم من أحد ينجي عمله قالوا : ولا أنت يا رسول الله قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته] ^(٢) . وحكى أن مطرف بن عبد الله الشخير نظر إلى المهلب بن أبي صفرة وعليه حلة يسحبها ويمشى بالخيلاء فقال يا عبد الله : ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله فقال المهلب : أما تعرفني ؟ فقال بلى أعرفك : أولك نطفة مذرة وآخر جيفة قذرة وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة . فأخذ ابن عوف هذا الكلام فنظمه شعراً فقال :

عجبت من معجب بصورته وكان بالأمس نطفة مذرة
وفى غد بعد حسن صورته يصير فى اللحد جيفة قذرة
وهو على تيهه ونخوته ما بين ثوبيه يحمل العذرة

ومن أقوى أسباب الإعجاب كثرة مديح المتقربين وإطراء المتملقين الذين جعلوا النفاق عادة ومكسباً والتملق خديعة وملعباً .

(١) ضعيف : رواه البزار ، وابن حبان وضعفه العراقي .

(٢) صحيح : متفق عليه .

﴿ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ۖ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۚ ﴾ (١)

قال القرطبي « أى شغلكم المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة الله حتى متم ودفنتم فى المقابر . وقيل ألهاكم أنساكم ، التكاثر أى من الأموال والأولاد قاله ابن عباس والحسن وقال قتادة : أى التفاخر بالقبائل والعشائر ، وقال الضحاك : أى ألهاكم التشاغل بالمعاش والتجارة ، وقال مقاتل وقاتلة وغيرهما نزلت فى اليهود حين قالوا : نحن أكثر من بنى فلان وبنو فلان أكثر من بنى فلان ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالاً ، وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي نزلت فى حين من قریش : بنى عبد مناف وبنى سهم تعادوا وتكاثروا بالسلادة والأشراف فى الإسلام فقال كل حى منهم نحن أكثر سيذاً وأعز عزيزاً وأعظم نفراً وأكثر عائداً فكثرت بنو عبد مناف سهماً ثم تكاثروا بالأموال فكثرتهم سهم فنزلت ﴿ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ۚ ﴾ بأحيائكم فلم ترضوا حتى زرتهم المقابر مفتخرين بالأموال . وعن قتادة قال : كانوا يقولون نحن أكثر من بنى فلان ونحن أعدد من بنى فلان وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم » .

قال القرطبي : « قلت الآية تعم جميع ما ذكر وغيره » وفى صحيح مسلم عن مطرف عن أبيه قال : أتيت النبى ﷺ وهو يقرأ ﴿ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ۚ ﴾ قال : [يقول ابن آدم : مالى مالى وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيته أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت أما ما سوى ذلك فذاهب وتاركة للناس] (٢) ، وروى البخارى عن ابن شهاب أخبرنى أنس بن

(١) سورة التكاثر الآيات « ١ ، ٢ » .

(٢) صحيح : رواه مسلم .

مالك أن رسول الله ﷺ قال : [لو أن لابن آدم وادياً من ذهب لأحب أن يكون له واديان ولن يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب] ^(١) ، قال ثابت عن أنس عن أبي : كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت ﴿ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ۝۱ ﴾ قال ابن العربي : وهذا نص صحيح مليح غاب عن أهل التفسير فجهلوا وجهلوا والحمد لله على المعرفة ، وقال ابن عباس قرأ النبي ﷺ ﴿ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ۝۱ ﴾ قال تكاثر الأموال جمعها من غير حقها ومنعها من حقها وشدها في الأوعية . أ . ه . وعن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : [أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستقساء بالنجوم والنياحة على الميت ، وقال : « النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من نار »] ^(٢) ، والفخر بالأحساب أى التشرف الآباء والتعظيم بعد مناقبهم ومآثرهم وفضائلهم وذلك جهل عظيم إذ لا شرف إلا بالتقوى كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ^(٤) فالناس مؤمن تقى أو فاجر شقى وكلهم لآدم وآدم من تراب قال رسول الله ﷺ : [ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن] ^(٥) .

(١) صحيح : رواه البخارى مسلم .

(٢) صحيح : رواه أحمد وأصله عند مسلم .

(٣) سورة سبأ الآية « ٣٧ » .

(٤) سورة الحجرات الآية « ١٣ » .

(٥) حسن : رواه أبو داود عن أبي هريرة مرفوعاً ، وحسنه الألبانى .

(٥) الحسد :

فحب الرياسة وطلب الجاه من أعظم أسباب الحسد وذلك كالرجل الذى يريد أن يكون عديم النظر فى فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من واحد الدهر وفريد العصر فى فنه وأنه لا نظير له فإنه لو سمع بنظير له فى العالم لساءه ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التى بها يشاركه المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده ، وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة الرسول ﷺ ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم وجاههم رغم أن البشارة به موجودة فى كتبهم التى بين أيديهم ويتعبدون بقراءتها .

والحسد من أعظم المهلكات وهو كبيرة من الكبائر وفى الحديث [لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس] ^(١) ، وفى حديث أبى كبشة الأنمارى قال : [مثل هذه الأمة مثل أربعة : رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه فى ماله ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فيقول رب لو أن لى مالاً مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما فى الأجر سواء ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو ينفقه فى معاصى الله ورجل لم يؤته الله علماً ولم يؤته مالاً فيقول لو أن لى مثل مال فلان لكنت أنفقه فى مثل ما أنفقه فيه من المعاصى فهما فى الوزر سواء] ^(٢) ، والفارق كبير بين الغبطة

(١) صحيح : متفق عليه .

(٢) رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح .

والحسد ، فالغبطة ليس فيها تمنى زوال النعمة ولا كراهتها وترجع إلى إرادة المساواة واللحوق به في النعمة ، وليكن معلوماً أن فتنة الجاه أعظم من فتنة المال ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة ، فمن قنع استغنى عن الناس وإذا استغنى الإنسان لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم الجاه إلا بالقناعة وقطع الطمع . فالكمال محبوب ولذيذ وكل ما يدل عليه ويؤكدده قد تتطلع إليه النفوس ، ولذلك فالنفس تحب المدح والثناء وترتاح به وتنفر من الذم وتبغضه ، ولذلك عرف أبو حازم الزهد بقوله : « أن يكون مادحك وذامك في الحق سواء وأن يكون حالك في المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواء وأن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يد نفسك » .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى : « ومن اتقى الله وصبر فلم يدخل في الظالمين نفعه الله بتقواه كما جرى لزينب بنت جحش - رضى الله عنها - فإنها كانت هي التي تسامى عائشة من أزواج النبي ﷺ وحسد النساء بعضهن لبعض غالب لا سيما المتزوجات بزواج واحد فإن المرأة تغار على زوجها لحظها منه فإنه بسبب المشاركة يفوت بعض حظها ، وهكذا الحسد يقع كثيراً بين المتشاركين في رئاسة أو مال إذا أخذ بعضهم قسطاً من ذلك وفات الآخر ويكون بين النظراء لكرهة أحدهم أن يفضل الآخر عليه كحسد أخوة يوسف وكحسد ابني آدم أحدهما لأخيه فإنه حسده ليكون الله تقبل قربانه ولم يتقبل قربان هذا ، فحسده على ما فضله الله من الإيمان والتقوى - كحسد اليهود للمسلمين - وقتله على ذلك ولهذا قيل أول ذنب عصي الله به ثلاثة الحرص والكبر والحسد ، فالحرص من آدم والكبر من إبليس والحسد من قـ . حيث قتل هابيل ، وفي الحديث : [ثلاث لا ينجو منها أحد : الحـ

والظن والطيرة وسأحدثكم بما يخرج من ذلك إذا حسدت فلا تبغض وإذا ظننت فلا تحقق وإذا تطيرت فامض ^(١) .

(٦) تقديم المفضل على الفاضل بسبب الشهرة :

التقديم والتأخير يجب أن يكون وفق الموازين الشرعية التي جاءت في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ ولا تصلح الشهرة وحدها ضابطاً لذلك والإخلال بهذا المعنى يترتب عليه كثير من المخالفات الشرعية منها محبة ذوى الفسق والفجور وتقديمهم لشهرتهم على ذوى الصلاح والتقوى من المغمورين فنجد البعض يتباهى برؤية بعض المغنين أو الراقصين أو الممثلين أو سماعهم أو حفظ سيرتهم وأخبارهم بينما هو لا يعبأ بعلماء الأمة وصالحيه بل ولم يحفظ شيئاً من كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ ، فلا هو يعرف كيف يوحد ربه ولا كيف يصلى وما الذى تصلح به الصلاة وما الذى تبطل به . والأمر لا يقتصر على ذلك فالبعض يقدم المقبورين كالسيد البدوى بشهرتهم على صحابة النبي ﷺ وذلك فى الحب والتعظيم ومعلوم أن كل صحابى أفضل من كل من جاء بعده ، ويحدث هذا التقديم المغلوط أيضاً فى الإمامة وطلب العلم فيترك الناس الأخذ ممن كملت أهليته ويذهبون للمشاهير حتى وإن كانوا مفضولين أو على بدعة ، يقول الماوردى فى كتابه أدب الدنيا والدين « وليأخذ المتعلم حظه ممن وجد طلبته عنده من نبيه وخامل ولا يطلب الصيت وحسن الذكر باتباع أهل المنازل من العلماء ، إذا كان النفع بغيرهم أعم إلا أن يستوى النفعان فيكون عمن اشتهر ذكره وارتفع قدره أولى لأن الانتساب إليه أجمل والأخذ عنه أشهر

(١) رواه ابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة ، وفى سنده ضعف .

وقد قال الشاعر :

إذا أنت لم يشهرك علمك لم تجد لعلمك مخلوقاً من الناس يقبله
وإن صانك العلم الذى قد حملته أتاك من يجتنيه ويحمّله

أى صانك عن المطامع الدنية والوقوف فى مواقف الريب .

وهكذا فأنت ترى أن الشهرة تقتضى تصرفات غير مشروعة أحياناً وتجعل
الإنسان يقصر فى الخير إذا لم يتحقق له ما يريد وقد يؤدى التنافس عليها إلى
أنواع من الشرور والخصومات عدا عن كونه قد يؤثر فى أصل النية فيحبط
العمل وقد تفضى الشهرة بالناس إلى تقديس المشهورين وتقليدهم تقليداً أعمى
وبالتالى فلا بد من وقفة تحاسب فيها نفسك وتجردها لله عز وجل .

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم وتهيئوا للعرض الأكبر ، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فحرى بك أن تقف مع نفسك هذه الوقفة وأن تحاسب نفسك هذه المحاسبة فما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ، ومثل طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما زاد شرباً منه زاد عطشاً حتى يقتله ، ولو فكر الطامع في عاقبة الدنيا لقنع ، ولو تذكر الجائع فضول مآلها لشبع ، فأنت من الشباب إلى الهرم ومن الصحة إلى السقم ومن الوجود إلى العدم ، وكان ميمون ابن مهران يقول : يا معشر الشيوخ ما ينتظر بالزرع إذا ابيض قالوا الحصاد ، فنظر إلى الشباب فقال : إن الزرع قد تدركه الآفة قبل أن يستحصد وقبح بالشباب تأخير التوبة وأقبح منه تأخير الشيوخ فخذ من صحتك لمرضك ومن فراغك لشغلك ومن حياتك لموتك وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وقل لنفسك :

ألا يا نفس ويحك ساعديني بسعى منك في ظلم الليالي
لعلك في القيامة أن تفوزي بطيب العيش في تلك العلالى

وتحس قلبك فالقلب ملك مؤمر وقد قال النبي ﷺ : [ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله] (١)
ولا يسلم من عذاب الله إلا من أتى ربه بقلب سليم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ

(١) صحيح : رواه البخارى ومسلم .

(٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴿١﴾ واحذر أن تكون من أصحاب القلوب الميتة فصاحب هذا القلب يتبع كل شيطان مريد الدنيا ، تسخطه وترضيه إن أحب أحب لهواه وإن أبغض أبغض لهواه وإن منع منع لهواه ، فالهوى إمامه والشهوة قائده والجهل سائقه والغفلة مركبه ، واقف مع شهواته ولو كان فيها سخط ربه وغضبه ، فيه من محبة الشهوات وإشارها والحرص على تحصيلها والحسد والعجب والكبر وحب العلو والفساد فى الأرض والرياسة ماهو مادة هلاكه وعطبه . فإن تنج من هذه الآفات تنج من ذى عظيمة ، وقد قال النبى ﷺ : [تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تعود القلوب على قلبين قلب أسود مرياد كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه وقلب أبيض لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض] (٢) ، « إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله ، وأن تدمهم على ما لم يؤت الله ، إن رزق الله لا يجره حرص حريض ولا يرده كراهية كاره » ضعيف ومعناه صحيح » وتماه : وإن الله بحكمته جعل الروح والفرح فى الرضى واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط ، فمن قوى يقينه علم أن الله وحده هو النافع والضار وأنه لا معول إلا على رضاه وليس لسواه من الأمر شئ كائناً ما كان فلا يهاب أحداً ولا يخشاه لخوف ضرر يلحقه من جهته كما قال تعالى : ﴿ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (٣) « وإن تحمدهم

(١) سورة الشعراء الآيات ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) صحيح : رواه مسلم .

(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٩ .

على رزق الله » لا ينافى ذلك حديث [من لا يشكر الناس لا يشكر الله] ^(١) لأن المراد هنا إضافة النعمة إلى السبب ونسيان الخالق ، وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : [من التمس رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس] ^(٢) وقال ابن رجب : فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب فكيف يقدم طاعة من هو تراب على طاعة رب الأرباب ؟ أم كيف يرضى التراب بسخط الملك الوهاب ؟ إن هذا لشئ عجاب ، وما أحسن ما قيل :

إذا صح منك الود يا غاية المنى فكل الذى فوق التراب تراب

وفى الحديث عقوبة من خاف الناس وآثر رضاهم على رضى الله وأن العقوبة قد تكون فى الدين عياداً بالله من ذلك فإن المصيبة فى الدين أعظم من المصيبة فى الأموال والأبدان وفيه شدة الخوف على عقوبات الذنوب لا سيما فى الدين فإن كثيراً من الناس يفعل المعاصى ويستتهن بها ولا يرى أثراً لعقوبتها ولا يدرك المسكين بم أصيب فقد تكون عقوبته فى قلبه كما قال تعالى : ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (٧٧) ﴿ ^(٣) ، اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك وبِعفوِكَ من عقوبتك وبِكَ منك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، واعلم أن الناقد بصير والعقبة كثود والحمل ثقيل والسفر طويل فخفف ظهرك من المعاصى والأوزار .

(١) صحيح : رواه الترمذى وغيره وصححه الألبانى .

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه .

(٣) سورة التوبة الآية « ٧٧ » .

روى عن عليّ رضي الله عنه أنه قال : ما أحسنت إلى أحد قط ولا أسأت إليه
 فرفع الناس رؤوسهم تعجباً فقال : ﴿ إِنَّ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ
 فَلَهَا ﴾ ^(١) وفي خطاب ينصح فيه ابنه الحسن قال : يا بني اجعل لنفسك
 ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فأحب لغيرك ما تحب لنفسك واكره ما تكره لها
 ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم وأحسن كما تحب أن يحسن إليك واستقبح
 من نفسك ما تستقبح من غيرك وارض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك ولا
 تقل ما لا تعلم وقل ما تعلم ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك ولا تكن عبد
 غيرك وقد جعلك الله حراً واعلم أن حفظ ما في يدك أحب إليك من طلب ما
 في يد غيرك ولا تأكل من طعام ليس لك فيه حق ، فبئس الطعام الحرام ، وجد
 في الحصول على معاشك » ، وكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص يقول :
 إن الله إذا أحب عبداً حبه إلى خلقه فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس ،
 وأعلم أن مالك عند الله مثل ما للناس عندك ، فأعط كل ذي حق حقه وإذا
 عرفت فالزم فليس لك إلا أن تتابع صراط الله المستقيم ، صراط الذين أنعم الله
 عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ،
 وهؤلاء لم يبحثوا عن شهرة زائفة كاذبة وإنما أخلصوا العبودية لله في أقوالهم
 وأفعالهم فرفع ربنا ذكرهم وأعلى أثرهم وجعل العاقبة لهم فازدادوا تواضعاً
 لربهم ومعرفة بحقه وشكراً لفضله ، وإياك أن تكون ممن يتابع السبل المعوجة
 طلباً لشهرة الندامة والحسرة فتبيع دينك بدنيا غيرك ويغرك بالله الغرور وتكون
 قد أخذتها من حرام ووضعها في حرام وتمتلى نفسك بعد ذلك غروراً وكبراً

(١) سورة الإسراء الآية « ٧ » .

ورياءً وعجباً ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥٨) ﴿ (١)

وتذكر حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله وفوت رضاه مع علمك بأنك بعت كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة إذا لم تبع ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياماً قصيرة ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴿ (٢)

وعن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ أن موسى عليه السلام سأل ربه : [ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ فقال : رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له أدخل الجنة فيقول رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول رضيت رب فيقول له : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة رضيت رب فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتئت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت رب قال : رب فأعلاه منزلة قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر] (٣)

(١) سورة الزمر الآيات ٥٤ - ٥٨ .

(٢) سورة مريم الآيات ٣٩ - ٤٠ .

(٣) صحيح : رواه مسلم .

نصائح هامة وغالية بين يدي موضوع الأتقياء الأخفياء

النصيحة الأولى : تعريفات هامة :

قال رسول الله ﷺ : [إن أهل الكتاب افترقوا في دينهم على اثنين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعني الأهواء - كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة] ^(١) وفي رواية : [قالوا : من هي يارسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي] ^(٢) ، وهذه هي الفرقة الناجية .

وفي الحديث : [لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله] ^(٣) ، وهذه هي الطائفة المنصورة .

وفي الحديث : [طوبى للغرباء ، أناس صالحون في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر من يطيعهم] ^(٤) ، فاحرص أن تكون واحداً منهم .

قال قتادة : أهل رحمة الله : أهل الجماعة وإن تفرقت ديارهم وأبدانهم ، وأهل معصيته أهل الفرقة وإن اجتمعت ديارهم وأبدانهم .

والمقصود بأهل الحديث : أهل القرآن والسنة كمالك والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم ، وغيرهم ممن كان يجمع بين الفقه ورواية الحديث .

(١) صحيح : رواه أبو داود وصححه الألباني .

(٢) حسن : رواه الترمذي .

(٣) صحيح : رواه مسلم .

(٤) صحيح : رواه أحمد ، وصححه الألباني وغيره .

وأهل السنة والجماعة سُموا بذلك : لإلتزامهم بالسنة فى العقيدة والعمل فى الظاهر والباطن ولكونهم يأمرّون بالإجتماع على ما كانت عليه الجماعة الأولى جماعة الصحابة - رضى الله عنهم - وينهون عن الاختلاف .

والسلف هم الصحابة ومن تابعهم بإحسان من سائر قرون الخيرىة ، وأئمة الدين العدول ، والسلفيون من تابعوهم على هذا الفهم إلى يومنا هذا من أهل السنة والجماعة ، وسئل الشيخ عبد العزيز بن باز عن الفرقة الناجية فقال : هم السلفيون ، وكل من مشى على طريقة السلف الصالح .

الثانية : لحوم العلماء مسمومة : وعادة الله فى هتك أستار متقصيهم معلومة ، وإذا لم يكن العلماء بأولياء الله فليس لله ولى كما قال الإمام الشافعى - رحمه الله - واحترام الأئمة المجتهدين المقبولين عند الأئمة « كالأئمة الأربعة والثورى وابن عيينة وابن المبارك ... » ومحبتهم ومولاتهم - واجب على كل مسلم - إذ هم ورثة النبى ﷺ ، وليس أحد منهم يتعمد مخالفة لرسول الله ﷺ خصوصاً الأئمة الأربعة « أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة » ولكن كل إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ، فكل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ، ولكل جواد كبوة ، ولكل عالم زلة ، والحاكم إذا اجتهد فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر ، والحق أبلغ وعليه نور ، وهو ما وافق الكتاب والسنة وهو مقبول من كل من جاء به ، والباطل لجلج ، وهو مردود على صاحبه كائنا من كان .

ولا ريب أن الخطأ فى دقيق العلم مغفور للأمة ، ولولا ذلك لهلك أكثر الأمة ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، وذكر أنه لا يجوز لنا أن نعدل عن قول ظهرت حجته بحديث صحيح ووافقه طائفة من أهل العلم إلى قول عالم .

وقال : ولهذا اتفق العلماء على أنه إذا عرف شخص الحق لا يجوز له تقليد أحد في خلافه » . أ . ه .

الثالثة : لا عصمة لأحد بعد النبي ﷺ ، لا لصاحب ولا إمام

ولا ولى بل الجميع يجوز عليه الكبائر والصغائر ، لكن للصحابة مزية على من بعدهم للسبق للإسلام والصحة والهجرة والجهاد فى سبيل الله ، قال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ ^(١) ، وفى الحديث [لا تسبوا أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه] ^(٢) ، فالواجب على كل مسلم حب الصحابة وتوليهم ومعرفة فضلهم ، كما يجب الإمساك عما شجر بين الصحابة بعد قتل عثمان - رضي الله عنه - من خلاف وقتال ، فكثير مما يروى كذب وزور عليهم ، وأكثر أهل السنة على أن علياً اجتهد وأصاب ، والمخطئ من خالفه ، وكلاهما وكل مجتهد مأجور ، مرفوع عنه الإثم معذور فى خطئه ، وسب الصحابة من عظام الذنوب سواء علياً أو معاوية بل هم جميعاً ممن قال الله فيهم : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ ^(٣) وكان أبو أيوب السخيتاني يقول : إذا رأيت الرجل ينتقص أحد من صحابة رسول الله ﷺ فاعلم أنهم أرادوا أن يجرحوا شهودنا ليعطلوا العمل بالكتاب والجرح بهم أولى وهم زنادقة ، فالصحابة هم خيار أولياء الله المتقين بعد الأنبياء والمرسلين ، وكذلك لا يجوز الاستهلال بذكر الهفوات التى

(١) سورة التوبة الآية « ١٠٠ » .

(٢) صحيح : متفق عليه .

(٣) سورة الحجر الآية « ٤٧ » .

بدرت من الأنبياء والمرسلين ، فهذا من سوء الأدب ، وانتقاصهم أو أحدهم جرم عظيم ، وقد ذكر سبحانه توبتهم ومسارعتهم فى الخيرات وخشيتهم لله ، فهم سادة البشر وقادتهم فى الدنيا والآخرة .

الرابعة : أولياء الله هم المتقون فى كل زمان ومكان ، من أهل السنة والجماعة ، لهم الكرامات والفضائل فى الدنيا والآخرة ما يوجب حبهم ، ولكن يجب الحذر من الغلو فيهم أو عبادتهم من دون الله ، ومن اعتقد فى أحد منهم أو من غيرهم الأولوية [كالنصيرية العلويين فى على ، والدروز فى الحاكم بأمر الله ، والباطنية فى إمامهم] والنبوة [كطوائف من الروافض] أو اعتقد تحريف القرآن أو خطأ الوحي فهو كافر بلا خلاف عند أهل السنة ، فلاستقامة هى أعظم كرامة ، وخرق العادة قد يحدث لبعض العباد ولا بد من التفريق بين الكرامة الرحمانية ، والخرقة الشيطانية .

قال الليث : إذا رأيت الرجل يمشى على الماء فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السنة ، وقال الشافعى : قصر والله الليث بل لو رأيت الرجل يطير فى الهواء فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السنة . فالكرامة ضابطها الاستقامة ، والكل مأمور بالرجوع للكتاب والسنة ، فلا يقلدن أحدكم دينه رجلاً ، إن آمن آمن ، وإن كفر كفر ، ولا يكونن أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم .

الخامسة : المنامات والكشوفات والفتوحات من أدلة

الاستنباط عند الصوفية فالواحد منهم يقول حدثنى قلبى عن ربى ، أما أهل السنة والجماعة فالمعتمد عندهم هو الكتاب والسنة ، والرؤى يستأنس

بها ، وهى رؤيا من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه ، وفى الحديث أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً ، وإذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب ، والرؤيا الصادقة جزء من أجزاء النبوة ، وقد رأينا ما انجر بسبب ذلك فى حادثة الحرم الشهيرة من سفك للدماء وتعطيل للشعائر وصد عن سبيل الله وكل ذلك بسبب تواتر الرؤى - الذى قيل أيامها بظهور المهدي - فالواجب على الناس جميعاً التأدب مع النبي ﷺ وطاعته واتباع سنته ، من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومقتضى شهادة أن محمداً رسول الله تجريد متابعتة ﷺ تحكيمه فى كل موارد النزاع فى أصول الدين وفروعه ، وفى العقائد والأحكام ومنازل القلوب ، والرضا بحكمه والانقياد له ، والتسليم لسنته ، والإعراض عما خالفه ، وتقديم قوله وهديه وأمره ونهيه على قول أحد كائناً من كان .

السادسة: نرجو للمحسن ونخاف على المسيئ: فإذا كان

العبد يعمل بطاعة الله ومات على ذلك رجونا أن يكون من أهل الجنة ، وإذا كان يعمل بمعصية الله ومات على ذلك ، خفنا أن يكون من أهل النار ، ولا نقطع لأحد بالخاتمة ، فالخواتيم لا يعلمها إلا الله ، وفى الحديث : [يعمل أحدكم بعمل أهل الجنة حتى ما يلقى بينه وبينها إلا ذراعاً فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، ويعمل أحدكم بعمل أهل النار حتى ما يلقى بينه وبينها إلا ذراعاً فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها] ^(١) ، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء فيصبح المرء مؤمناً ويمسى كافراً ، ويمسى كافراً ويصبح مؤمناً يبيع دينه بعرض من الدنيا ، فإذا قطع الشرع بأن فلاناً من أهل الجنة كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى أو أن فلاناً

(١) صحيح : متفق عليه .

من أهل النار كفرعون وأبى جهل وأبى لهب قطعنا بذلك . والكل يجب عليه أن يرجو ربه ويخاف ذنبه ، وليس لأحد أن يتألى على الله فيقطع بخاتمته أو خاتمة أحد حتى ولو كان لله تقياً ، وقد قال رسول الله ﷺ [أم العلاء] والله إني لرسول الله وما أدرى ما يفعل بي غدا^(١) ، وكان ذلك قبل أن ينزل قوله تعالى : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾^(٢) .

السابعة : نقبل من الناس علانيتهم ونكل سريرتهم لله

هو يتولى السرائر ، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : أيها الناس إن الوحي قد انقطع فمن أظهر لنا خيراً أمتاه وقربناه ، ليس لنا في سريرته ، الله يتولاه في سريرته ، ومن أظهر لنا شراً لم نؤمنه ولم نقر به وإن قال إن نيته حسنة .

والواجب إحسان الظن بالمسلمين والعلماء والصالحين ، وحملهم على أحسن محاملهم ، وإساءة الظن بالنفس ، والمؤمن يتلمس للناس الأعذار ، والمنافق يتلمس للناس الزلات ، ولا بد من الحرص على الجمع بين المصالح وشمولية النظر ، وأن نعلم أن الله لا يقبل النافلة حتى تؤدي الفريضة ، وأنه لا تعارض بين الجهاد وتأدية الصلوات المفروضة وصيام رمضان كما لا يجوز أن يكون الاشتغال بعلم الحديث مثلاً سبباً للجهل بالعقيدة أو الحلال والحرام أو ما لا يسع المسلم جهله ، كما لا يجوز للإنسان أن ينشغل بطلب العلم إذا داهم العدو بلده وتعين الجهاد عليه ، إذ لكل مقام مقال ، ولا يجوز تحقير طاعة من الطاعات إذ قد تكون سبباً في نجاة العبد كما كان الأمر بالنسبة لبغى

(١) حسن : رواه أحمد .

(٢) سورة الفتح الآية « ٢ » .

بنى إسرائيل التي دخلت الجنة في كلب سقته ، وأيضاً لا يصح الاستهانة بمعصية ، فقد دخلت المرأة النار في هرة حبستها حتى ماتت ، ولا بد من العدل والاعتدال بعيداً عن التهويل والتهوين والإفراط والتفريط .

الثامنة : تتعلق بالألفاظ والمصطلحات التي لم ترد في السنة :

ولم يتكلم بها صحابة رسول الله ﷺ كالغناء والمحو والذوق والوجد ... بل وجدت على السنة من جاء بعدهم ، قال الذهبي عن أمثال هؤلاء : أى والله ، دققوا وعمّقوا ، وخاضوا في أسرار عظيمة ما معهم على دعواهم فيها سوى ظن وخيال ، ولا وجود لتلك الأحوال من الغناء والمحو والصحو والشكر إلا مجرد خطرات ووساوس ، ما تفوه بعباراتهم صدّيق ، ولا صاحب ، ولا إمام من التابعين فإن طالبتهم بدعائهم مقتوك ، وقالوا : مجنون ، وإن سلمت لهم قيادتك تخبط ما معك من الإيمان ، وهبط بك الحال على الحيرة والمحال ، ورمقت العباد بعين الموت ، وأهل القرآن والحديث بعين البعد ، وقلت : مساكين محجوبون ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

فإنما التصوف ^(١) والتأله والسلوك والسير والمحبة ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ من الرضا عن الله ، ولزوم تقوى الله والجهد في سبيل الله ، والتأدب بأداب الشريعة من التلاوة بترتيل وتدبير والقيام بخشية وخشوع ، وصوم وقت وإفطار وقت ، وبذل المعروف ، وكثرة الإيثار وتعليم العوام ، والتواضع للمؤمنين ، والتعزز على الكافرين ، ومع هذا فالله يهدي من يشاء إلى صراط

(١) الصوفية منهم موسوية الحمديدية وعيسوية الحمديدية ، وملاحدة كأمثال ابن عربي صاحب الفتوحات المكية ومنهم من طريقته بالكتاب والسنة كالجيلاني الذي أثنى عليه ابن تيمية ، وكفينا الرجوع لمثل ما كان عليه رسول الله وصحابته الكرام ، وإلا فما أكثر البدع الموجودة في الصوفية كوحدة الوجود وسقوط التكليف .

مستقيم ، والعالم إذا عرى من التصوف والتأله فهو فارغ كما أن الصوفي إذا عرى من علم السنة زال عن سوء السبيل .

التاسعة : تتعلق بالزهد : كما كان أبو حازم يقول : ليس الزهد بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال ، ولكن أن يكون حالك في المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواء ، وأن يكون مادحك وذامك في الحق سواء ، وأن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يد نفسك .

ولما سئل الإمام أحمد : أيكون الرجل ذا مال وهو زاهد ، قال : نعم ، إن كان لا يفرح بزيادته ولا يحزن بنقصانه ، ومتاع الغرور ما شغل صاحبه عن طلب الآخرة أما ما لم يهلك عن طلب الآخرة فليس بمتاع غرور ، ولكن متاع بلاغ إلى ما هو أبلغ منه .

وقالوا : نعمت الدار الدنيا كانت للمؤمن وذلك أنه عمل قليلاً وأخذ زاده منها إلى الجنة ، وبئست الدار كانت للكافر والمنافق وذلك أنه ضيع لئاليه وكان زاده منها إلى النار ، وقال آخر : كيف لا أحب دنيا قدر لى فيها قوت ، اكتسب به حياة ، أدرك بها طاعة ، أنال بها الجنة .

وليس من السنة العيش على طعام واحد أو ترك النظافة أو دخول الخرائب وهجران الدنيا أو الصوم عن الكلام ، فكلها محدثات وبدع ، وخير الهدى هدى رسول الله ﷺ وما كان عليه الأفاضل ، فهم عن علم وقفوا وبصر نافذ كفوا ، وقد تكلم العلماء فى أيهما أفضل الفقير الصابر أم الغنى الشاكر ، والراجح أن أتقاهما هو أفضلهما عند الله وإلا فالإيمان نصفه صبر ونصفه شكر ، فإذا ابتليت فاصبر وإذا أنعم عليك فاشكر ، وكانوا إذا وجدوا أكل أكلوا أكل الرجال ، وإذا افتقدوا صبروا صبر الرجال .

العاشرة : البدعة : كما عرفها الشاطبي طريقة مخترعة في الدين تضاهي الطريقة الشرعية ، يقصد بالسلوك عليها مضاهاة التعبد لله تعالى ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، سواء كانت البدعة في العقيدة أو الأحكام ، وسواء كانت حقيقية أو إضافية .

وكان عمر يقول : كل محدثة بدعة ، وإن رآها الناس حسنة ، وقال ابن مسعود : اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتُمْ عليكم بالأمر العتيق ، وقال الشافعي : من استحسّن فقد شرع . والمبتدع من زين له سوء عمله فرآه حسناً ، ولا ترجى له توبة ، وهو ممن يثبت لعقله صفة الكمال ويتهم شرع ربه بالنقصان ، والبدعة أحب إلى إبليس من المعصية ، ومن قر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الدين ، وقد كان من هدى رسول الله ﷺ أن يصوم ويفطر ويقوم الليل ، وينام ، ويأكل اللحم ويتزوج النساء ، فمن رغب عن سنته فليس على طريقته ، ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ هو أعلم الخلق وأتقاهم لله تعالى .

الحادية عشرة : أفضل الصيام صيام نبي الله داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى : وأفضل القيام قيام نبي الله داود كان ينام نصفاً ويقوم ثلثاً وينام سدساً ، وما أورده ابن الجوزي في صفة الصفوة والذهبي في سير الأعلام النبلاء وغيره - ونقلت بعضه هنا - لا بد من ضبطه بالضوابط الشرعية ، فيجوز صوم الدهر إلا الأيام التي نهينا عن صيامها كأيام العيدين ، وأيام التشريق لمن لم يجد الهدى ، والمداومة على إحياء الليل كله بالصلاة لم يكن من هدى رسول الله ﷺ ، فقد كان يقوم وينام ، فإذا أقبل العشر الآخر من رمضان أحيا ليله وأيقظ أهله وشد المؤثر ، وقد ذكر جمهور العلماء أن صلاة الليل من جملة النوافل المطلقة التي لا تنقيد بعدد ، وهذا قول مالك والشافعي وأحمد وابن تيمية لحديث العشرين ركعة زمن

عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وبالتالي فلا حرج على من صلى ثلاثمائة ركعة أو ألف ركعة ، وإن كانت أم المؤمنين عائشة قد روت أن النبي لم يزد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة ، صلى أربعاً فلا تسئل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى أربعاً فلا تسئل عن حسنهن وطولهن ثم يوتر بثلاث ، وما ورد عن بعض الصالحين من أنه كان يقرأ القرآن في ليلة أو ركعة واحدة فلا مخالفة فيه إذا تم ذلك بتدبر ، وقد ذكر النووي في كتابه التبيان في آداب حملة القرآن طرائق السلف في ختم القرآن وتفاوتهم في ذلك ، ولا يجوز أن نحمل ما كان عليه هؤلاء الأفاضل من خير وبركة وسعة رزق ، وعلى ما نحن عليه اليوم من قصور وعجز وانشغال بالدنيا وزخارفها وبالتالي فلا مجال للسؤال كيف يسرت لهم الطاعات بينما حجبنا وحرماننا نحن ؟! والذي يعيننا الآن أن نقرر أن العبادات الأصل فيها التوقف أو أنها تؤخذ دون زيادة أو نقصان ، أما المعاملات « كبناء مدرسة أو مستشفى أو صناعة سيارة » فالأصل فيها الإباحة إذا روعيت ضوابطها الكلية .

الثانية عشرة : تتعلق بالصياح والزعيق والنهاق

إظهاراً للخوف : قال القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ^(١) وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره ، وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم ، وكأنهم بين يديه ، ونظير هذه الآية ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ^(٢) وقال : ﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ^(٣) فهذا

(١) سورة الأنفال الآية « ٢ » .

(٢) سورة الحج الآيات « ٣٤ ، ٣٥ » .

(٣) سورة الرعد الآية « ٢٨ » .

يرجع إلى كمال المعرفة وثقة القلب ، والوجل : الفزع من عذاب الله ، فلا تناقض ، وقد جمع الله بين المعنيين في قوله : ﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (١) أى تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله وإن كانوا يخافون الله ، فهذه حالة العارفين بالله ، والخائفين من سطوته وعقوبته ، لا كما يفعله جهال العوام ، والمبتدعة الطغام (*) من الزعيق والزئير ومن التهاق الذى يشبه نهاق الحمير ، فيقال لمن تعاطى ذلك وزعم أن ذلك وجد وخشوع: لم تبلغ أن تساوى حال الرسول ولا حال أصحابه فى المعرفة بالله والخوف منه ، والتعظيم لجلاله ، ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكاء خوفاً من الله ، ولذلك وصف الله أحوال أهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه ، فقال : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٨٣) (٢) فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقتهم ، فمن كان مستنأ فليستن ، ومن تعاطى أحوال المجانين والجنون فهو من أخسهم حالاً ، والجنون فنون . روى مسلم عن أنس بن مالك أن الناس سألوا النبى ﷺ حتى أحفوه (**) فى المسألة ، فخرج ذات يوم فصعد المنبر فقال : « سلونى لا تسألونى عن شئ إلا بينته لكم ما دمت فى مقامى هذا » ، فلما سمع ذلك القوم أرمؤا (***) ورهبوا أن

(١) سورة الزمر الآية « ٢٣ » .

(٢) سورة المائدة الآية « ٨٣ » .

(*) أرذال الناس وأوغادهم .

(**) أى أكثروا عليه .

(***) أى : سكتوا .

يكون بين يدي أمر قد حضر ، قال أنس : فجعلت ألتفت يمينا وشمالا فإذا كل إنسان لاف رأسه في ثوبه ييكى ، وذكر الحديث . وروى الترمذى وصححه عن العرباض ابن سارية قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ... الحديث ولم يقل : زعقنا ولا رقصنا ولا زفنا (*) قمنا . أ . هـ .

ويبقى أن يقال : أن من صعق عند سماع القرآن قد حدث له ذلك لقوة الوارد من الآيات مع ضعف القلب كما قال ابن تيمية ، أما الصحابة فلم يحدث لهم ذلك مع قوة الوارد لقوة قلوبهم ، وحالهم هو أكمل الأحوال رضى الله عنهم أجمعين .

الثالثة عشرة : أحكام وضوابط الأخذ من كتب غير

المسلمين : من المعلوم أن الكتب السابقة لنزول القرآن منسوخة الشرائع والأحكام بالإسلام وأخبارها وقصصها مترددة بين الصواب والخطأ لثبوت وقوع التحريف والزيادة والنقص ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : [لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا] ^(١) ، فالأناجيل قد دونت بعد رفع عيسى بزمان طويل وهى اليوم مختلفة لا تتفق نسخة مع أخرى ، وكذلك التوراة والتلمود ، دونها أحبار اليهود بعد موسى بأزمان متطاولة ، قال تعالى : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ ^(٢) وقال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا

(١) صحيح : رواه البخارى .

(٢) سورة النساء الآية ٤٦ « .

(*) الضرب بالرجل .

مِنْهُمْ لِيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴿١﴾ وقد جعل شيخ الإسلام ابن تيمية الإسرائيليات على ثلاثة أقسام :

- ١ - ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح .
- ٢ - ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه فذاك كذب .
- ٣ - مما هو مسكوت عنه ، لا من هذا القبيل ولا من هذا فلا تصدق به ولا تكذبه .

وهذا القسم الأخير تجوز حكايته ويشهد لذلك حديث النبي ﷺ : [إذا حدثكم أهل الكتاب لا تصدقوهم ولا تكذبوهم] وما أخبرنا به نبينا عن الأنبياء وأممهم ، فإن ذلك مما يجب تصديقه مع الاحتراز في نقله كما بين ابن تيمية .

إن أى دراسة تتباعد عن المصادر الشرعية ، لا بد أن تصاب بالتشوه والنقص كهذه الدراسات التى أخذها البعض عن المستشرقين ، وعن المدارس المتعددة فى تفسير التاريخ كالمدرسة الإجتماعية ، والمدرسة النفسية ، والمدرسة المادية ، والمدرسة القومية والجغرافية واللاهوتية . فالواجب على كل من يتصدى لدراسة التاريخ الإسلامى وتدرسه أن يقوم بدراسة القرآن الكريم ومعرفة أسباب النزول وأصول علم التفسير ، وأصول علم الحديث ، ومعرفة الأحكام الشرعية وعقيدة أهل السنة والجماعة ، وعقائد الفرق المخالفة ، لأن هذه من أهم المصادر ، لدراسة التاريخ وتقييم الأحداث على أسس صحيحة .

الرابعة عشرة : قال سفيان الثورى : إنما يطلب الحديث ليتقى به

الله عز وجل ، فلذلك فضل على غيره من العلوم ، ولولا ذلك كان كسائر الأشياء .

وقال حماد بن سلمة : من طلب الحديث لغير الله مكر به .

وقال البعض : إن مثل الذى يعظ الناس وينسى نفسه كالمصباح يحرق نفسه ويضيئ لغيره .

وعن كعب قال : إني أجد فى بعض الكتب نعت قوم يتعلمون لغير العمل ، ويتفقهون لغير العبادة ، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة ، يلبسون جلود الضأن وقلوبهم أمر من الصبر ، فى يغترون وإياى يخادعون ، فى حلفت لأتحين لهم فتنة تترك الحليم حيراناً ، وقال الحسن بن صالح : إنك لا تفقه حتى لا تبالى فى يدى من كانت الدنيا ، وقال مكحول : من طلب الحديث ليمارى به السفهاء أو ليباهى به العلماء أو ليعرف به وجوه الناس فهو فى النار ، وقال مسروق : كفى بالمرء علماً أن يخشى الله وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه وقال أبو الدرداء : علامة الجهل ثلاث العجب وكثرة المنطق فيما لا يعنيه وأن ينهى عن شئ ويأتيه ، وقال الفضل : ما من أحد أحب الرياسة إلا حسد وبغى وتتبع عيوب الناس ، وكره أن يذكر أحد بخير .

وقالوا : من أعجب برأيه ضل ، ومن استيقن بعقله زل ، ومن تكبر على الناس ذل ، ومن خالط الأندال حقر ، ومن جالس العلماء وقر . وقال أبو نعيم : والله ما هلك من هلك إلا بحب الرياسة ، وإن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر ، قيل لابن المبارك من الأصاغر ؟ قال : الذين يقولون برأيهم ، فأما صغير يروى عن كبير فليس بصغير .

وفى الحديث : [ما ذئبان جائعان أرسلتا فى حظيرة غنم بأفسد لهما من حب المال والشرف لدين المرء] ^(١) وقد ذكر ابن عبد البر فى كتاب جامع بيان العلم وفضله : كراهة أن يشهر الإنسان نفسه بالعلم والزهد والدين أو بإظهار الأعمال والأقوال والكرامات ليزار وتلتمس بركته ودعاؤه وتقبل يده ، وهو محب لذلك ويقيم عليه ويفرح به ويسعى فى أسبابه ، ومن هذا كان السلف الصالح يكرهون الشهرة غاية الكراهة ، منهم أيوب والنخعي وسفيان وأحمد وغيرهم من العلماء الربانيين ، وكذلك الفضيل وداود الطائي وغيرهما من الزهاد والعارفين ، وكانوا يذمون أنفسهم غاية الذم ويسترون أعمالهم غاية الستر وكان كثير من السلف يكره أن يطلب منه الدعاء وكان يقول لمن يسأله الدعاء : أى شئ أنا ؟ .

(١) صحيح : رواه الترمذى وأحمد وصححه الألبانى .

أتقياء أخفياء

إن الله يحب الأتقياء الأخفياء الأبرار الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا حضروا لم يراعوا ولم يعرفوا مصابيح الهدى ، يخرجون من كل غبراء مظلمة ، فاحرص على طاعة الله فإن ظهر أمرك واشتهر حالك فعش حياة العبودية لربك واصرف هذا الظهور فيما يقربك من مولاك وإلا فكن واحداً من هؤلاء الأفاضل واعلم أن الله سبحانه مطلع وراقب ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٦) فاتق الله حيثما كنت أى فى سر أمرك وفى علانيتك ، وخف من الله على قدر قربه منك وقدرته عليك فلست تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره ولا من ملكه إلى ملك غيره ، ورب العزة جل وعلا لا تضيع عنده مئاقيل الذر والجزاء من جنس العمل ، فقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : [إذا أحب الله العبد قال لجبريل : قد أحببت فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ﷺ] ثم ينادى فى أهل السماء : إن الله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض [(٢) وروى أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه قال : [سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، وأيضاً : رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ، ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله] (٣) فاحرص على طاعة الله فى حلك وترحالك وإقدامك وإحجامك وأقوالك وأفعالك ، وأسأل الله من فضله فلن يهلك على الله إلا هالك .

(٢) صحيح : رواه البخارى ومسلم .

(١) سورة المجادلة الآية ٦ « .

(٣) صحيح : متفق عليه .

ذو القرنين ^(١)

قصة ذو القرنين هي آخر قصة في سورة الكهف ، قال قتادة أن اليهود سألو النبي ﷺ عن ذي القرنين فأنزل الله ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ ﴾ ^(٢) وقد تعلققت قصة ذي القرنين بخروج يأجوج ومأجوج ، وهما علامة من علامات الساعة الكبرى ، وخروجهما من السد الذي بناه ذو القرنين يؤذن بقرب يوم القيامة ، ولذلك خُتِمت القصة بقوله تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ ^(٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ^(١٠٠) ﴿ ^(٣) وقال العلماء : عاتب الله تعالى نبيه ﷺ قوله للكفار حين سأله عن الروح والفتية وذو القرنين : غداً أخبركم بجواب أسئلتكم ولم يستثن في ذلك « أى لم يقل إن شاء الله » فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يوماً حتى شق ذلك عليه وأرجف الكفار به ، فنزلت عليه هذه السورة - سورة الكهف - مفرجة ونزل عليه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴾ ^(٢٣) ﴿ ^(٤) وهذا العتاب وما حدث في هذه القصة دليل من دلائل النبوة ، وقد اختلف الناس في ذي القرنين ، فذكر البعض أنه الإسكندر المقدوني الذي بنى الإسكندرية ، والصحيح غيره ، فالإسكندر كان كافراً ، وذو القرنين كان مؤمناً ، وقد امتلك الدنيا مؤمناً وكافراً ، أم المؤمنين فليمان وذو القرنين ، وأما الكافران فالنمرود ويختصر .

(١) راجع كتابي « قصة ذي القرنين ويأجوج ومأجوج » .

(٢) سورة الكهف الآية « ٨٣ » .

(٣) سورة الكهف الآيات « ٩٩ ، ١٠٠ » .

(٤) سورة الكهف الآية « ٢٣ » .

وقد ذهب البعض إلى نبوة ذى القرنين ، والأشبه بالصحة أنه كان عبداً صالحاً ، ملكه الله الأرض ومكن له فيها ، وهى له من الأسباب ما ساعده على ذلك ، ويجوز أن يكون الله عز وجل خاطبه على لسان نبي فى وقته ، وفى سبب تسميته بذى القرنين ، أقوال كثيرة ، ليس منها شئ مرفوع لرسول الله ﷺ ومعظمها مأخوذ عن أهل الكتاب ، وسيرته تدل على علمه وحكمته وأنه قد ألبس لباس الهيبة ، وهو عبد طاف المشارق والمغارب من حيث يطلع قرن الشمس ويغرب ، وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ ﴾ (١) قال على - (رضي الله عنه) - : سخر له السحاب ومدت له الأسباب ، وبسط له فى النور فكان الليل والنهار عليه سواء ، وقال ابن كثير : أى أعطيناه ملكاً عظيماً ممكناً فيه من جميع ما يؤتى الملوك من التمكين والجنود وآلات الحرب والحصارات ، ولهذا ملك المشارق والمغارب من الأرض ودانت له البلاد وخضعت له ملوك البلاد وخدمته الأمم من العرب والعجم ، ولهذا ذكر بعضهم أنه إنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها . أ . هـ .

وقد أتبع ذو القرنين الأسباب التى أوتيتها بأسباب من عنده ، فلما سار جهة المغرب وجد أمة من الأمم ، ذكروا أنها كانت أمة عظيمة من بنى آدم ، فمكنه الله تعالى منهم وحكمه فيهم وأظفره بهم ، وكانوا كفاراً ، فخير الله ذا القرنين فيهم بين التعذيب لهم إن أقاموا على كفرهم وبين المن عليهم والعفو عنهم ، وهذا التخيير على معنى الإجتهد فى أصلح الأمرين ﴿ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ

رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ
وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) ﴿١﴾ فلا يستوى المؤمن
والكافر ولا المطيع والعاصى فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ثم سلك طريقاً فصار من
مغرب الشمس إلى مطلعها ولم تذكر الآيات ما الذى فعله ذو القرنين عند
بلوغه الشمس ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ
وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا
لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ﴾ (٢) أى ليس لهم بناء يكنهم ولا أشجار تظلمهم وتستترهم من
حر الشمس .

ثم سلك ذو القرنين من مشارق الأرض ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ﴾ (٣)
وهما جبلان بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك فيعيشون
فيها فساداً ويهلكون الحرث والنسل ، كما قال ابن كثير ، قال تعالى : ﴿ وَجَدَ
مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ (٤) أى لا يكادون يعرفون لساناً
غير لسانهم إلا بمشقة وعسر ، فاشتكوا لذى القرنين من إفساد يأجوج
ومأجوج ، فردم ذو القرنين حاجزاً بين يأجوج ومأجوج من ورائهم ليقطع مادة
غوائلهم وشرهم عنهم قال : ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) ﴾ (٥) ويتضح من فعله أنه عبد موفق مسدد ، وأن نية
الخير فى بناء السد ظاهرة فلم يأخذ خرجهم ولا شيئاً من أموالهم وقد أظهر

(١) سورة الكهف الآيات ٨٦ - ٨٩ .

(٢) سورة الكهف الآيات ٨٩ - ٩١ .

(٣) سورة الكهف الآية ٩٣ .

(٤) سورة الكهف الآية ٩٣ .

(٥) سورة الكهف الآية ٥٩ .

الامتنان والإنابة بعد فراغه من بناء السد ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ (٩٨) ﴿ (١) .

ولا ريب أن الحكم والخلافة موضوعة لإقامة الدين وسياسة الدنيا به ، والقيام على مصالح البلاد والعباد وفق شرع الله ، وهذا السد الذي بناه ذو القرنين سيأتي عليه يوم يندك فيه ويخرج يأجوج ومأجوج فيموجون في الناس ويفسدون على الناس أموالهم ويتلفون أشياءهم ، وهذا كله قبل يوم القيامة وبعد الدجال قال تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿ (١٠٠) ﴿ (٢) .

(١) سورة الكهف الآية « ٩٨ » .

(٢) سورة الكهف الآيات « ٩٩ ، ١٠٠ » .

(١) أصحاب الكهف

كانت قصة أصحاب الكهف والرقيم هي القصة الأولى في سورة الكهف، وهي قصة التضحية بالنفس في سبيل العقيدة ، وهؤلاء الفتية المؤمنون كانوا قد خرجوا من بلادهم فراراً بدينهم ولجئوا إلى غار في الجبل ثم مكثوا فيه نياماً ثلاثمائة وتسع سنين ، ثم بعثهم الله بعد تلك المدة الطويلة ، وهذه القصة تبدأ بالآية ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ (٩) ﴿ (٢) ثم تنتهي عند الآية ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ (٢٦) ﴿ (٣) لقد طوى القرآن اسمهم ورسومهم وطولهم ولونهم ويكفيهم وصف خالقهم لهم ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾ (١٤) ﴿ (٤) وقد بين سبحانه حالة البشر قديماً وحديثاً ، وكيف أنهم ينشغلون بالأشكال والأوصاف وأمور لا طائل تحتها ولا فائدة من ورائها عن الغايات والمقاصد ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (٢٢) ﴿ (٥) فالفائدة حاصلة

(١) راجع كتابي : « قصة أهل الكهف » .

(٢) سورة الكهف الآية ٩ .

(٣) سورة الكهف الآية ٢٦ .

(٤) سورة الكهف الآيات ١٣ ، ١٤ .

(٥) سورة الكهف الآية ٢٢ .

سواء كانوا ثلاثة أم أربعة ، خمسة أم ستة ، فلا داعي للانشغال بذلك عن المغزى الحقيقي وهو أنهم على حداثة سنهم ، آثروا ما عند الله ، تاركين حياة القصور ، وكانوا أولاد أمراء كما تذكر بعض كتب التفسير وقالوا : ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ (١٥) ﴿ (١) ودخلوا الكهف فراراً بدينهم من الوثنية والكفر فكانوا آية وقصتهم حكاية تتلى ﴿ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴾ (٢) ﴿ خرجوا من وسط قومهم مستعينين بالله ، متوكلين عليه منبئين إليه قائلين : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ (٣) ﴿ فما ضاعوا ولا خابوا عندما أوقعوا حاجتهم بالله ﴿ وَتَرَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ (١٧) ﴿ (٤) وما أعظم أن يحيا الإنسان بإسلامه وإسلامه ، ويؤثر دينه على الدنيا بمباهجها وزخارفها سواء كان كبيراً أو صغيراً ، رجلاً كان أم امرأة ، وجد في هذا العصر أو في غيره من العصور ، بحيث تصبح حياته جهاداً في سبيل الله ، وسعياً من أجل إعلاء كلمة الله ، والمسلم في جهاده هذا يعلم أنه ليس وحده ، وأنه لا يواجه عدوه بكثرة عدد أو عتاد ، وإنما يواجههم بالإيمان الصادق الذي يحمله ، وبما يعلمه من تأييد الله للمجاهدين الصادقين ، وبما ينزله عليهم من السكينة ورباطة الجأش والطمأنينة وبما

(١) سورة الكهف الآية « ١٥ » .

(٢) سورة الكهف الآية « ١٦ » .

(٣) سورة الكهف الآية « ٤ » .

(٤) سورة الكهف الآية « ١٧ » .

يمدهم به من الصبر وقوة التحمل وغير ذلك من الوسائل التي قد لا تتخيلها عقول البشر ، لقد أجرى سبحانه على أيديهم كرامات كثيرة ، قال تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝ (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۝ (١٢) ﴾ ^(١) وقال : ﴿ وَنَقَلْنَاهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ۝ (١٨) ﴾ ^(٢) وقال : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۝ (٢٥) ﴾ ^(٣) بل لما صحبتهم الكلب كان له شأن وخبر وكان محلاً للكرامة ، ولما لا ؟ ومصاحبة الصالحين صلاح ، وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم ، وهذه القصة ليست بطولية يهودية أو نصرانية ، وإنما هي قصة إسلام لوجه الله تعالى تحدث هنا وهناك في كل عصر ووقت ، وقد تكون أنت صاحبها ، هي قصة من يتعامل مع الله ويخلص أمره الله ويفر بدينه من الفتن ، ويخرج من الواقع السيئ حتى لو أدى به ذلك أن يهاجر من وطنه وأن يدخل غاراً ، أنها قصة فتية ، أتقياء أخفياء ، ساروا على درب الأنبياء والمرسلين ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَ ۝ (٤) ﴾ فلا حجة بعد ذلك في الكفر بخالق الأرض والسموات ، وقد رجح ابن جرير والكثيرون أن الفتية كانوا على دين عيسى - ﷺ - ومال ابن كثير إلى غير ذلك فقال : وقد ذكر أنهم كانوا على دين المسيح عيسى بن مريم فالله أعلم ، إلى أن قال : والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية ، فإنهم إن كانوا على دين النصرانية ما اعتنى

(١) سورة الكهف الآيات ١١ ، ١٢ .

(٢) سورة الكهف الآية ١٨ .

(٣) سورة الكهف الآية ٢٥ .

(٤) سورة الأنعام الآية ٩٠ .

أخبار اليهود بخبرهم وأمرهم لمباينتهم لهم ، وقال ابن إسحاق : طغى أهل الإنجيل وكثرت فيهم الخطايا حتى عبدوا الأصنام وذبحوا لها وبقي فيهم من هو على دين المسيح متمسكاً بدينه وعبادة الله وحده ، وكان بالروم ملك يقال دقيانوس عبد الأصنام وذبح للطواغيت ، وكان يحمل الناس على ذلك ، ويقتل من خالفه ، فمر بمدينة أصحاب الكهف ، وهى مدينة من الروم يقال لها أفسوس ، ولما مر دقيانوس بالمدينة اختفى منه أهل الإيمان فكان يبعث أعوانه ليحضرهم ، فيخبروهم بين الشرك والقتل ، إلى أن استدعى الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم هدى ، وطلب منهم أن يشركوا ، وأن يذبحوا للطواغيت ، فامتنعوا فهددهم بالقتل ، فربط الله على قلوبهم ، وثبتهم على التوحيد ، ثم بدا له فأمهلهم ليراجعوا أنفسهم فى مصيرهم .

ثم إن الإمبراطور رحل إلى مدينة أخرى لبعض شأنه ثم عاد ليطلبهم فلم يجدهم فقد فروا بدينهم من فتنة الشرك واعتزلوا المشركين ، وأووا إلى كهفهم ومعهم بعض النقود وبعض الطعام ومعهم رقيمهم « كتابهم المرقوم الذى فيه معتقدهم » وتذكر كتب التفاسير أنهم دخلوا الكهف ومعهم كلب ، فلما طلبهم الإمبراطور دعوا الله ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ ^(١) وناموا فكانت النومة التاريخية التى صارت مضرب المثل : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ ^(٢) وكان باب كهفهم إلى جهة الشمال وذلك من رحمة الله تعالى بهم حتى لا يؤذيهم شروق الشمس ولا غروبها ، وقلبهم الله على جنوبهم ذات اليمين وذات الشمال لئلا تبلى

(١) سورة الكهف الآية « ١٠ » .

(٢) سورة الكهف الآية « ١١ » .

أجسامهم ، و ﴿ وَنَقَلْنَاهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ (١) وفي ذات الوقت تأكيداً لحياتهم ، ثم بعث الله الفتية ليتساءلوا بينهم ، كم لبثوا ؟ وفي حيرة من أمرهم ، قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم ، وفي تسليم لله قالوا : ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ (٢) وفي تسليم لله قالوا : ﴿ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ (٣) وحذروهم : ﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴾ (٤) وخرج المتلطف الحذر ، فرأى كل شيء قد تغير في المدينة ، ودفع ما معه من النقود إلى رجل يبيع الطعام ، فتعجب التاجر لأن هذه العملة كانت على عهد دقيانوس ، وقد هلك هذا الطاغية المشرك ، وبقيت تحمل اسمه ، وشاع الخبر في المدينة وما حولها ، واجتمع الناس من هنا وهناك ليروا هذه الآية ﴿ وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ ﴾ (٥) .

وهكذا تظهر حكمة الله التي خفيت وينكشف سر الغيب الذي أدخره الله ليظهر في حينه ، لقد بعث أهل الكهف ، ليعلم الناس أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها وكانوا من قبل بين منكر ومصدق ، فجاء العثور على أهل الكهف حجة قاطعة وبرهاناً ساطعاً على البعث والحياة الآخرة .

ذكر ابن إسحاق عن ابن عباس ما خلاصته أن كفار قريش بعثوا النضر بن

(١) سورة الكهف الآية ١٨ .

(٢) سورة الكهف الآية ١٩ .

(٣) سورة الكهف الآية ١٩ .

(٤) سورة الكهف الآية ٢٠ .

(٥) سورة الكهف الآية ٢١ .

الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة ليسألوهم عن محمد ﷺ ويصفوا له صفته ، وما يدعوا إليه فإنهم أهل الكتاب وعندهم نبأ الأنبياء ، فلما كلموا اليهود في ذلك أشاروا على كفار قريش بأن يسألوا النبي ﷺ عن أشياء قالوا لهم : سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم ، فإنهم قد كان لهم حديث عجيب ، يعنون أهل الكهف ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغربها ما كان من نبؤه - يعنون ذا القرنين - وسلوه عن الروح ، فإن أخبركم بذلك فهو نبي مرسل ، فاتبعوه وإلا فهو رجل يقول ، فاصنعوا ما بدا لكم .

وسأل كفار قريش الرسول ﷺ عن الأمور الثلاثة ، فقال لهم ﷺ : أخبركم غداً ولم يستثن - لم يقل إن شاء الله - فاستلبث الوحى وشق عليه ، ثم جاء جبريل ﷺ بسورة الكهف وفيها معاتبه في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكْ غَدًا ﴾ (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴿ (١) .

صاحب يس (١)

قصة صاحب يس ، من أبلغ ما قصه ربنا جلا وعلا في كتابه ، لما فيها من العظات والعبر ، فهي قصة رجل من الأتقياء الأخفياء ، جهل قيمته أهل الأرض بينما كان له ذكر وخبر في أهل السماء ، هو رجل تابع المرسلين وآمن بهم ، وبغض النظر عن حرفته وصنعتة وعن اسمه ورسمه ، وطوله وشكله ... فقد بقيت قصته مثلاً يُحكى ، قيل : كان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة ، وكان يعكف على عبادة الأصنام سبعين سنة يدعوهم ، لعلمهم يرحمونه ويكشفون ضره فما استجابوا له ، فلما أبصر الرسل دعوته إلى عبادة الله فقال : هل من آية ؟ قالوا : نعم ، ندعو ربنا القادر فيفرج عنك ما بك ، فقال : إن هذا لعجب لى ، ادعوه هذه الآلهة سبعين سنة تفرج عنى فلم تستطع ، فكيف يفرجه ربكم فى غداة واحدة ؟ قالوا : نعم ربنا على ما يشاء قدير ، وهذه لا تنفع شيئاً ولا تضر . فآمن ودعوا ربهم ، فكشف الله ما به ، كأن لم يكن به بأس ، فحينئذ أقبل على التكسب ، فإذا أمسى تصدق بكسبه ، فأطعم عياله نصفاً وتصدق بنصف ، فلما هم قومه بقتل الرسل جاءهم فقال : ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ ^(٢) قال قتادة : كان يعبد الله فى غار ، فلما سمع بخبر المرسلين جاء يسعى ، فقال للمرسلين : أتطلبون على ما جئتم به أجراً ؟ قالوا : لا ، ما أجرنا إلا على الله ، قال أبو العالية : فاعتقد صدقهم وآمن بهم وأقبل على قومه فقال : ﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا ﴾ ^(٣) أى لو

(١) راجع كتابى « قصة صاحب يس » .

(٢) سورة يس الآية « ٢٠ » .

(٣) سورة يس الآية « ٢١ » .

كانوا متهمين لطلبوا منكم المال ﴿ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (٢١) ﴿ (١) فاهتدوا بهم .
قال قتادة : كان له قومه أنت على دينهم ؟ فقال : ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي
فَطَرَنِي ﴾ (٢) أى خلقنى ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٣) وهذا احتجاج منه عليهم ،
وأضاف الفطرة على نفسه ، لأن ذلك نعمة عليه توجب الشكر ، والبعث إليهم ،
لأن ذلك وعيد يقتضى الزجر ، فكان إضافة النعمة إلى نفسه أظهر شكراً ،
وإضافة البعث إلى الكافر أبلغ أثراً ، قال : ﴿ أَلَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾ (٤) يعنى
أصناماً ﴿ إِنْ يُرَدِّنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ ﴾ (٥) يعنى ما أصابه من القسم ﴿ لَا تُغْنِ
عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونَ ﴾ (٢٣) ﴿ (٦) يخلصونى مما أنا فيه من البلاء
﴿ إِنِّي إِذَا ﴾ (٧) يعنى إن فعلت ذلك ﴿ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٢٤) ﴿ (٨) أى
خسران ظاهر ﴿ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ ﴾ (٢٥) ﴿ (٩) قال ابن مسعود: خاطب
الرسول بأنه مؤمن بالله ربهم ، ومعنى ﴿ فَاسْمَعُونَ ﴾ أى فاشهدوا أى كونوا
شهود بالإيمان ، وقال كعب وهب : إنما قال ذلك لقومه إنى آمنت بربكم
الذى كفرتم به ، وقيل إنه لما قال لقومه : ﴿ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٢٠) ﴿ (١٠)
رفعوه إلى الملك ، وقالوا : قد تبعت عدونا ؟ ، فطول معهم الكلام ليشغلهم
بذلك عن قتل الرسول ، إلى أن قال : ﴿ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ فوثبوا عليه
فقتلوه ، وفى طريقة قتله أقوال كثيرة ، والظاهر من الآية أنه لما قتل قيل له
أدخل الجنة قال قتادة : أدخله الله الجنة وهو فيها حتى يرزق ، أراد قوله

(١) سورة يس الآية ٢١ .

(٢) ، (٣) سورة يس الآية ٢٢ .

(٤) ، (٥) ، (٦) سورة يس الآية ٢٣ .

(٧) ، (٨) سورة يس الآية ٢٤ .

(٩) سورة يس الآية ٢٥ .

(١٠) سورة يس الآية ٢٠ .

تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١٦٩) ﴿ (١) ثم لما قُتِلَ صاحب يس قال : ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (٢٧) ﴿ (٢) وكأنه تمنى أن يعلموا بحاله ليتعلموا حسن مآله وحميد عاقبته ، أو تمنى ذلك ليؤمنوا مثل إيمانه فيصيروا إلى مثل حاله . قال ابن عباس : نصح قومه حياً وميتاً ، قال القرطبي : « وفي هذه الآية تنبيه عظيم ، ودلالة على وجوب كظم الغيظ ، والحلم عن أهل الجهل ، والتروءف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي ، والتشمر في تخليصه ، والتلطف في افتدائه ، والاشتغال بذلك عن الشماته به والدعاء عليه ، ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته ، والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام » . أ . هـ .

فلما قُتِلَ صاحب يس غضب الله وعجل النقمة على قومه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ (٢٨) ﴿ إِنَّ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ (٢٩) ﴿ (٣) أى ما أنزلنا عليهم من رسالة ولا نبي بعد قتله ، قال قتادة ومجاهد والحسن : الجند الملائكة النازلون بالوحي على الأنبياء ، وقيل : الجند العساكر ، أى لم أحتج في هلاكهم إلى إرسال جنود ولا جيوش ، ولا عساكر ، بل أهلكتهم بصيحة واحدة ، قال معناه ابن مسعود وغيره ، وكأن القوم هانوا على ربهم بعدم صرع صاحب يس ، فما احتاجوا إلا إلى صيحة واحدة ، صاروا بها ميتين هامدين ، وقيل : إن الكفار

(١) سورة آل عمران الآية « ١٦٩ » .

(٢) سورة يس الآيات « ٢٦ ، ٢٧ » .

(٣) سورة يس الآيات « ٢٨ ، ٢٩ » .

لما رأوا العذاب قالوا : ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ﴾ ^(١) فتحسروا على قتلهم ، وترك الإيمان بهم ، فتمنوا الإيمان حين لم ينفعهم الإيمان ، وقال مجاهد وقال الضحاك : إنها حسرة الملائكة على الكفار حين كذبوا الرسل ، وكأنه حال مطرد ، ففي الذاريات قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴾ ^(٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ^(٥٣) ﴿ ^(٢) وقال سبحانه : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ^(١٢) وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ^(١٣) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ^(١٤) ﴾ ^(٣) ، فالتكذيب هو هو ، مما يدلُّك على قلة من يتعظ ويعتبر بمصارع الهلكى ، والناظر فى قصة صاحب يس سيلمس دروساً كثيرة ، منها ما يتعلق بالدعوة إلى الله والهمة العالية التى ينبغى أن يكون عليها الداعية ، فصاحب يس أتى من أقصى المدينة يسعى فلم يتوان ولم يتكاسل ، ولم يبذل لدعوته الفتات من وقته ، يتكلف لها السفر ويستصحبها معه فى حاله وترحاله ، ثم دعوته هى دعوة الاتباع التى لا ابتداع فيها ولا اختراع ، يركز فيها على معانى التوحيد ، وذلك لأن تقديم الأهم على المهم أمر واجب فى العلم والعمل والدعوة إلى الله تعالى ، والداعية إلى الله ينبغى أن يكون على بصيرة وعنده المقدرة على سوق الحجج والبراهين للمدعوين ، وإزالة ما يعلق بنفوسهم من شبهات ، ولا ينس فى غامرة ترغيبه وترهيبه وتذكيره بالله واليوم الآخر ، أن يبدأ بنفسه ، وأن تكون دعوته بالسلوك أبلغ من دعوته بالقول ولذلك قال :

(١) سورة يس الآية (٣٠) .

(٢) سورة الذاريات الآيات (٥٢ ، ٥٣) .

(٣) سورة ق الآيات (١٢ - ١٤) .

﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ^(١) وقد يقدم الداعية نفسه رخيصة في سبيل دينه ، ويقوم في موطن يعرضه للقتل محتسباً ذلك عند الله كما فعل صاحب يس ، فهو عندما جاء من أقصى المدينة يسعى وكان يعلم أنه لن يكون أكثر وأشد حرمة من المرسلين الثلاثة الذين قُتلوا ، أى أنها نهاية محتومة ، وعلى الرغم من ذلك واجه مصرعه ، بإيمان و يقين ، إن موقف الداعية يفترق عن موقف السياسى ، فلا نفاق ولا كذب ولا مدهانة على حساب الحق ، وقد يقول البعض : إن صاحب يس أضاع نفسه ، والأمر ليس كذلك ، فلا ضيعة ولا خيبة على من تعامل مع الله ، فهل ضاع من باع قليلاً بكثير وفانياً بياق وظلاً زائلاً وعاريةً مسترجعةً بجنةٍ فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ؟! لقد انتقل من دار إلى دار والفارق خروج نفسه ، والكل يموت ولكن هل الكل ينتقل شهيداً إلى ربه ؟! إن الحياة تمتد زماناً ومكاناً فى نظر المؤمن زماناً لأبد الآبدين ، ومكاناً إلى جنة فيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون ، ومن هنا تلمح لماذا طوى القرآن طريقة قتله ومصرعه ، واكتفى بذكر الفائدة وهى أنه نصحهم حياً كما نصحهم ميتاً ، وإلا فكل نفس ذائقة الموت وكانوا يقولون من لم يمت بالسيف مات بغيره ، وكأن حب الخير كان يجرى منه مجرى الدم من العروق ، وهذه هى الشفقة الحقيقية ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢٦) بما غفر لي ربِّي وجعلني من المُكْرَمِينَ ^(٢٧) ﴿ ^(٢) وهذا المعنى شبيهه بحالة شهداء أحد كعبد الله بن حرام وغيره عندما قتلوا شهداء قالوا : من يبلغ عنا قومنا أنا لقينا ربنا

(١) سورة يس الآية « ٢٢ » .

(٢) سورة يس الآيات « ٢٦ ، ٢٧ » .

فرضى الله عنا ورضينا عنه ، فكان هذا البلاغ المبين ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ (١٧٠) ﴾ (١) .

إن حرمة المؤمن عند الله عظيمة ، بل لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ (٢٨) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿ (٢٩) ﴾ (٢) ، وكان ابن عباس - رضى الله عنهما - ينظر إلى الكعبة ويقول : إن الله عظمك وشرفك وحرملك ، وإن المؤمن أعظم حرمة عند الله منك .

فليعتبر هؤلاء الذين يقتلون أولياء الله دون وجه حق ، ويصدون عن سبيل الله ويغونها عوجاً .

(١) سورة آل عمران الآيات ١٦٩ - ١٧٠ .

(٢) سورة يس الآيات ٢٨ ، ٢٩ .

عبد الله الغلام

فى صحيح مسلم عن صُهيب أن رسول الله ﷺ قال : [كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك : إني قد كبرت فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر ، فبعث إليه غلاماً يعلمه ، فكان فى طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه ، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلى الراهب فقال : إذا خشيت الساحر فقل : حبسنى أهلى ، وإذا خشيت أهلك فقل : حبسنى الساحر ، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجراً فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس ، فرماها فقتلها ومضى الناس ، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب : أى بنى ، أنت اليوم أفضل منى ، قد بلغ من أمرك ما أرى ، وإنك ستبتلى ، فإن ابتليت فلا تدل على ، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ، ويداوى الناس من سائر الأدواء ، فسمع جليس للملك كان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال : ما ها هنا لك أجمع إن أنت شفيتنى ، فقال : إني لا أشفى أحد ، إنما يشفى الله ، فإن أنت آمنت بالله دعوتُ الله فشفاك ، فأمن بالله فشفاه الله ، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس ، فقال له الملك : من رد عليك بصرك ؟ قال : ربى ، قال : أولك رب غيرى ؟ قال : ربى وربك الله ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فجئى بالغلام فقال له الملك : أى بنى ! أقد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص ، وتفعل وتفعل ؟!

فقال : إني لا أشفى أحداً ، إنما يشفى الله ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب ، فجئ بالراهب فقييل له : ارجع عن دينك . فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جئ بجليس الملك فقييل له : ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جئ بالغلام فقييل له : ارجع عن دينك ، فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل ، فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه ، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم اكفينهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال كفانيهم الله ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به فاحملوه في قرقور « سفينة صغيرة » فتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه به فقال : اللهم اكفينهم بما شئت ، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله ، فقال للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به ، قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ، ثم خذ سهماً من كنانتي « جعبة السهام » ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل : باسم الله رب الغلام ، ثم ارمني ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني ، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ، ثم قال : باسم الله رب الغلام ، ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات ، فقال الناس : آما برب الغلام ، فأتى الملك فقييل له : رأيت ما كنت تحذر ؟ قد والله نزل بك حذرک ، قد آمن الناس ، فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخذت وأضرم

فيها النيران ، وقال : من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها - أو قيل له اقتحم - ففعلوا ، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام : يا أمه اصبرى فإنك على الحق ^(١) . رواه الترمذى بمعناه وفيه : [وكان على طريق الغلام راهب فى صومعة] قال معمر : « أحسب أن أصحاب الصوامع كانوا يومئذ مسلمين » وفيه أن الدابة التى حبست الناس كانت أسداً وأن الغلام دفن - قال - فيذكر أنه أخرج فى زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قُتل « وقال حديث حسن غريب ، وقد حكت سورة البروج قصة أصحاب الأخدود ، قال تعالى : ﴿ قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ (٤) النَّارَ ذَاتَ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) ﴾ ^(٢) .

وهذه القصة لغلام من جملة الأتقياء الاخفياء ما نعلم لونه ولا سنه ولا طوله ولا اسم أبيه ... ومع ذلك فهى قصة تدل دلالة واضحة على أن معانى الإيمان والصبر والثبات على طاعة الله ليس لها سن معين ، وأن الغلام بفطرته السوية كان يميل للراهب الذى كان على الحق أكثر من ميله للساحر المبطل ، وفيها حرص الملك على استمرار صنعة السحر ، وهكذا شأن المنحرفين فى كل

(١) صحيح : رواه مسلم وغيره .

(٢) سورة البروج الآيات « ٤ - ١٠ » .

عصر في الوقت الذي تضيق فيه صدورهم بالحق وأهله ، وقد قدم الغلام روحه رخيصة في سبيل إعلاء كلمة الله وهو الذي دل الملك الطاغية على طريقة قتله ، وفي القصة صور من إكرام الله لهذا الغلام على الرغم من حداثة سنه ، فقد قتل الدابة العظيمة بحجر صغير ، وكان يُرى الأكمه والأبرص بإذن الله ، كما كان مجاب الدعوة ، ثم وجد على النحو الذي مات عليه ، وذلك بعد مئات السنين ، ويده على صدغه كلما أراحوها انبثق الدم من جرحه ، فكان بذلك آية بينة على عظيم قدرة الله جل وعلا وإكرام الله لأولياءه في حياتهم وبعد مماتهم .

قال القرطبي : قال علماؤنا : أعلم الله عز وجل المؤمنين من هذه الأمة في هذه الآية ، ما كان يلقاه من وحد قبلهم من الشدائد ، ويؤنسهم بذلك ، وذكر لهم النبي ﷺ قصة الغلام ليصبروا على ما يلقون من الأذى والآلام والمشقات التي كانوا عليها ، ليتأسوا بمثل هذا الغلام في صبره وتصلبه في الحق وتمسكه به ، وبذله نفسه في حق إظهار دعوته ، ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وعظم صبره ، وكذلك الراهب صبر على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار ، وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى ورسخ الإيمان في قلوبهم ، صبروا على الطرح في النار ولم يرجعوا عن دينهم ، وقال ابن العربي : وهذا منسوخ عندنا ... قلت ليس بمنسوخ عندنا ، وأن الصبر على ذلك لمن قويت نفسه وصلب دينه أولى ، قال الله تعالى مخبراً عن لقمان : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (١٧) (١) وروى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال : [من أعظم

(١) سورة لقمان الآية ١٧ .

الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر [(١)] ، وروى سنجر محمد بن سنجر عن أميمة مولاة النبي ﷺ قال : كنت أوضئ النبي ﷺ فأثاه رجل فقال : أوصني . فقال : [لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت أو حُرقت بالنار] (٢) .
الحديث ، قال علماؤنا : ولقد امتحن كثير من أصحاب النبي ﷺ بالقتل والصلب والتعذيب الشديد فصبروا ولم يلتفتوا إلى شيء من ذلك ، ويكفيك قصة عاصم وخبيب وأصحابهما وما لقوا من الحروب والمحن والقتل والأسر والحرق ، وغير ذلك . أ . هـ .

وقد ذكر النبي ﷺ خباب بن الأرت - (رضي الله عنه) - بقصة هؤلاء الذين نشروا بالمناشير وذلك عندما آتاه يقول له : ألا تستنصر لنا ألا تدعوا لنا ، وكان خباب من يؤذى في سبيل الله . والحديث رواه البخاري .

(١) صحيح : رواه الترمذي وصححه الألباني .
(٢) صحيح : رواه ابن ماجه ، وصححه الألباني .

المؤمن وصاحب الجنتين

إن الدنيا أحقر عند الله من أن يجعلها ثواباً لمحسن أو عقاباً لكافر ، وقد ضرب الله مثلاً لمن يتعزز بالدنيا ويستكف عن مجالسة المؤمنين فقال : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا (٣٢) كُلَّتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) ﴾ ^(١) قيل نزلت في الأخوين من أهل مكة مخزوميين أحدهما مؤمن والآخر كافر ، وقيل : نزلت في النبي ﷺ وأهل مكة ، وقيل هو مثل لجميع من آمن وجميع من كفر ، وقيل : هو مثل لعيينة بن حصن وأصحابه مع سلمان وصهيب وأصحابه ، وشبههم الله برجلين من بنى إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس والآخر كافر واسمه قرطوش ، وهما اللذان وصفهما الله تعالى في سورة الصافات ، قيل كانا شريكين ثم اقتسما المال ، فأنفق المؤمن ماله في طاعة الله ، وأما الآخر فنكح بماله نساء ذوات يسار ، واشترى دواب وبقراً فاستنتجها فنمت له نماء مفرطاً ، وأتجر باقيها فربح حتى فاق أهل زمانه غنى ، وأدركت المؤمن حاجة ، فأراد أن يستخدم نفسه في جنة يخدمها فقال : لو ذهبت لشريكي وصاحبي فسألته أن يستخدمني في بعض جناته رجوت أن يكون ذلك أصلح بي ، فجاءه فلم يكذب ليصل إليه من غلظ الحجاب ، فلما دخل عليه وعرفه وسأله حاجته قال له : ألم أكن

(١) سورة الكهف الآيات ٣٢ - ٣٤ .

قاسمتك المال نصفين ! فما صنعت بمالك ؟ قال : اشتريت به من الله تعالى ما هو خير منه وأبقى ، فقال : أئتتك لمن المصدقين ، ما أظن الساعة قائمة ! وما أراك إلا سفيهاً ، وما جزاؤك عندي عل سفاهتك إلا الحرمان ، أو ما ترى ما صنعت أنا بمالي حتى آل إلى ما تراه من الثروة وحسن الحال ، وذلك أني كسبت وسفهت أنت ، اخرج عني ، ثم كان من قصة هذا الغني ما ذكره الله تعالى في القرآن من الإحاطة بثمره وذهابها أصلاً بما أرسل الله عليها من السماء من الحسبان ، قيل : إن الله تعالى توفى المؤمن وأهلك الكافر بعذاب من عنده ، فلما استقر المؤمن في الجنة ورأى ما أعد الله له أقبل هو وأصحابه يتساءلون فقال : ﴿ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ (٥١) يَقُولُ أَتُنْكَلَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) ﴿ (١) فنأدى مناد : ﴿ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴾ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) ﴿ (٢) فنزلت : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾ (٣) بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى حَالِ الْأَخْوِينَ فِي الدُّنْيَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ - سُورَةِ الْكَهْفِ - وَبَيْنَ حَالِهِمَا فِي الْآخِرَةِ فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ (٥١) يَقُولُ أَتُنْكَلَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) ﴿ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ (٦١) ﴿ (٤)

قال تعالى حاكياً عن الكافر صاحب الجنتين : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾ (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِّدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ (٣٦) ﴿ (٥) ، قيل أخذ بيد أخيه المؤمن يطيف به

(١) سورة الصافات الآية « ٥١ ، ٥٢ » .

(٢) سورة الصافات الآيات « ٤٥ ، ٥٥ » .

(٣) سورة الكهف الآية « ٣٢ » .

(٤) سورة الصافات الآية « ٦١ » .

(٥) سورة الكهف الآيات « ٣٥ ، ٣٦ » .

فيها ويريه إياها ، وكان كافراً ظالماً لنفسه منكر البعث ، فقال : ﴿ وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ ^(١) وإن كان بعث فكما أعطاني هذا النعم في الدنيا فسيعطيني أفضل منه لكرامتي عليه ، وإنما قال ذلك لما دعاه أخوه إلى الإيمان بالحق والنشر ، فلما سمع المؤمن ذلك وعظ الكافر ﴿ أَكْفَرْتُم بِالَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ﴾ (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (٣٨) ^(٢) بين له أن ما اعترف به من هذه الأشياء التي لا ينكرها أحد أبدع من الإعادة ، ثم تواصل الحوار فقال المؤمن للكافر على سبيل التوبيخ والوصية له والرد عليه : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَأَىٰ أَفْعَلَ مِنْكَ مَلَأًا وَوَلَدًا ﴾ (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾ (٤١) ^(٣) أى ما اجتمع لك من المال فهو بقدرة الله تعالى وقوته لا بقدرتك وقوتك ، ولو شاء لنزع البركة منه فلم يجتمع ، وكان الكافر قد قال ﴿ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾ (٣٥) ^(٤) .

قال العلماء : ينبغي لكل من دخل منزله أن يقول : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - : [ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة أو قال كنز من كنوز الجنة قلت : بلى يا رسول الله ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله إذا قالها العبد قال الله عز وجل أسلم عبدي واستسلم] ^(٥) .

(١) سورة الكهف الآية « ٣٦ » .

(٢) سورة الكهف الآيات « ٣٧ ، ٣٨ » .

(٣) سورة الكهف الآيات « ٣٩ - ٤١ » .

(٤) سورة الكهف الآية « ٣٥ » .

(٥) صحيح : رواه الحاكم وصححه الألباني

وأصبح الكافر يضرب إحدى يديه على الأخرى ندماً ، فقد أحيط
بشمره ، أى أهلك ماله كله ، قال تعالى : ﴿ وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَّيْهِ
عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي
أَحَدًا ﴾ (٤٢) ﴿ (١) أى ياليتنى عرفت نعم الله على ، وعرفت أنها كانت بقدره
الله ولم أكفر به ، وهذا ندم منه حين لا ينفعه الندم .

وختمت القصة بقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا
كَانَ مُنْتَصِرًا ﴾ (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ (٤٤) ﴿ (٢) .

أى لم تكن له عشيرة يمنعونه من عذاب الله ، وضل عنه من افتخر بهم
من الخدم والولد وعلم بذلك أن الله خير ثواباً فى الدنيا والآخرة لمن آمن به ،
فالعاقبة للمتقين والنصر عقبى الصابرين ، والله لا يضيع أجر المحسنين ولا يصلح
عمل المفسدين .

(١) سورة الكهف الآية « ٤٢ » .

(٢) سورة الكهف الآيات « ٤٣ ، ٤٤ » .

مؤمن آل فرعون ^(١)

وقع الحق في قلب مؤمن آل فرعون ، عندما سمع دعوة نبي الله موسى - ﷺ - وقيل كان ابن عم فرعون كما ذكر السُّدسي ، وقال ابن جرير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - [لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون والذي قال : ﴿ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾] ^(٢) ، لقد اصطفاه سبحانه واجتباه من وسط ركام الكفر والضياح ، فهو من آل فرعون ، وما أعظم الفارق بينه وبين فرعون وآله ، إنه رجل أطلق الله بصيرته ، فلم ترهبه صولة الباطل ، ولا كثرة الانحراف ، وتابع نبي الله موسى صلوات الله وسلامه عليه ، معتصماً بالله ، مؤثراً ما عنده سبحانه وقد وصفه القرآن بأنه رجل - والرجال قليل - وبأنه مؤمن ، وما من إنسان قد علم الغاية التي من أجلها خلق إلا ويتمن أن يوصف بوصف الإيمان ، فعندما تأتي هذه الشهادة من خالق الأرض والسموات ، ممن يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ومن أحاط بكل شيء علماً ، فأنعم بهذا الوصف والثناء : وكعادة القرآن الكريم ، فقد طوى عنا اسمه ورسمه وسنه وطوله وشكله مما لا طائل تحته ولا فائدة من وراء معرفته ، لتبقى قصته درساً في إخلاص الأمر لله ، وعبرة لكل من أراد أن يتاجر مع الله ، وعظة لكل من أراد أن يقيم واجب العبودية ، حتى لو خفى اسمه على أهل الأرض يكفيه أن يعرف في أهل السماء ويكون من جملة الأتقياء الأخفياء ، فإذا ما زمجر الباطل من

(١) راجع كتابي « قصة مؤمن آل فرعون » .

(٢) سورة القصص الآية « ٢٠ » .

(٣) رواه ابن أبي حاتم .

حولك ، واشتد الظلم والظلام ، فانهض على ساق عزمك ، وجدد الوعظ القديم ، وردد على المسامع ما قاله مؤمن آل فرعون ، لقد كان يكتُم إيمانه بعد أن وقع الحق في قلبه ، ولهذا قام يدفع عن موسى - ﷺ - ويحتال لدفع القوم عنه فقال : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ^(١) وفي هذا إشارة إلى التوحيد والدلائل الدالة عليه ، صاغه على سبيل الاستفهام الإنكارى ، فما سب ولا لعن لكنه تسلل إلى قلوبهم بالنصيحة الرقيقة المزوجة بالتخويف والإقناع ، قال : ﴿ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ ^(٢) ومن المعلوم أن من هداه الله إلى الإتيان بالمعجزات لا يكون مسرفاً كذاباً ، وهذا تعريض بفرعون ، فقد كان مسرفاً فى عزمه على قتل موسى ، كذاب فى إقدامه على إدعاء الإلهية .

انتقل مؤمن آل فرعون بعد ذلك إلى تخويفهم من عذاب الله فقال : ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ﴾ ^(٣) يعنى قد علوتم الناس وقهرتموهم ، فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه ، فإنه لا قبل لكم به ، ولما علم فرعون بظهور حجته قال : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ ^(٤) لقد أخذ فرعون ما يأخذ كل طاغية توجه إليه النصيحة ، تأخذه

(١) سورة غافر الآية « ٢٨ » .

(٢) سورة غافر الآية « ٢٨ » .

(٣) سورة غافر الآية « ٢٩ » .

(٤) سورة غافر الآية « ٢٩ » .

العزة بالإثم ، ويرى فى النصح الخالص اعتداءً على سلطانه ، ونقص من نفوذه ، ومشاركة له فى النفوذ والسلطان ، لقد كان ادعاء فرعون عارياً من كل برهان ولذلك قال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ (٩٧) ﴿ (١) ثم إن مؤمن آل فرعون وكأنه لم يعبأ بقول فرعون فاستمر فى تحذيره : ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴾ (٣٠) مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ ﴾ (٣١) ﴿ (٢) ومن المعلوم أن قوم فرعون لم يقلوا فى كفرهم وعتوهم عن هؤلاء الهلكى ، وليسوا بأشد قوة من هذه الأمم المعذبة ، فوجب الاعتبار بالأمم الغابرة والإتعاض بأحوالهم ، ثم أفصح عن إيمانه ، إما مستسلماً موطناً نفسه على القتل أو واثقاً بأنهم لا يقصدونه بسوء فقال : ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ (٣٢) يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٣٣) ﴿ (٣) وهو اليوم الذى تنادى فيه الملائكة الذين يحشرون الناس للموقف ، وسمى بيوم التناد ، لمناداة الناس بعضهم بعضاً ، وهذا إفصاح منه عن إيمانه بالله واليوم الآخر .

وأمام مرواغة فرعون واستهتاره ، وإصراره على الكفر لم يجد مؤمن آل فرعون إلا أن يلقي كلمته الأخيرة مدوية صريحة : ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (٣٨) ﴿ (٤) وانتقل بهم من الإجمال إلى التفصيل ، فبين حقارة الدنيا ، وأنه يستمتع بها فى أيام قليلة ، ثم تنقطع وتزول ، بعكس

(١) سورة هود الآية « ٩٧ » .

(٢) سورة غافر الآيات « ٣٠ ، ٣١ » .

(٣) سورة غافر الآيات « ٣١ ، ٣٢ » .

(٤) سورة غافر الآية « ٣٨ » .

الآخرة فهي دار القرار ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ (١) فالذى يؤثر الدنيا على الآخرة : من أسفه الخلق وأقلهم عقلاً ، كما قرر المؤمن لقومه قاعدة الحساب والجزاء فى دار القرار فقال : ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢) .

وكان تعجبه من سفهمهم قد بلغ منتهاه فقال : ﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ (٣) يعنى أنا أدعوكم إلى الإيمان الذى يوجب النجاة وتدعوننى إلى الكفر الذى يوجب النار ، لقد دعاهم إلى الحياة الحقيقية والسعادة الأبدية ، فكانت دعوتهم له للدخول فى كفرهم هى جزاؤه ، ومكافأته !!! وهم لم يدعوه إلى النار ، إنما دعوه إلى الشرك ، وما الفرق بين الدعوة إلى الشرك والدعوة إلى النار ؟ إنها قريب من قريب فالكفر سبب الخلود فى النار ، والمؤمن يخاف أن يعود فى الكفر كما يخاف أن يقذف فى النار ﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴾ (٤)

لقد أعلن الرجل إيمانه وجهر بالحق فى مواجهة فرعون وملأه بلا تردد ولا تلثم ، فلا يبق بعد ذلك إلا أن يفوض أمره إلى الله ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٥) لقد قال كلمته

(١) سورة هود الآية ٣٩ .

(٢) سورة هود الآية ٤٠ .

(٣) سورة هود الآية ٤١ .

(٤) سورة هود الآية ٤٢ .

(٥) سورة هود الآية ٤٤ .

وأراح ضميره ، مهدداً إياهم بأنهم سيذكرون كلمته هذه فى موقف لا تنفع فيه الذكرى ، والأمر كله لله .

لقد طويت الدنيا ، وعرضت أول صفحة بعدها ، فإذا الرجل المؤمن الذى قال كلمة الحق ومضى ، وقد وقاه الله سيئات مكر فرعون وملأه ، فلم يصبه من أثارها شئ فى الدنيا ، ولا فيما بعدها أيضاً ، بينما حاق بآل فرعون سوء العذاب ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ (٤٦) ﴿ (١) .

لم يقصر مؤمن آل فرعون فى تقرير الدين الحق ، وفى الذب عنه ، ولم يسلمه سبحانه لأعدائه ، بل تولى عنه رد كيد الكافرين وقصد القاصدين ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكُرُوا ﴾ (٢) أى فى الدنيا والآخرة ، أما فى الدنيا فنجاه الله تعالى مع موسى - عليه السلام - وأما فى الآخرة فبالجنة ، وكان المؤمن لما صرح بتقرير الحق فقد قصده بنوع من أنواع السوء ، قال مقاتل : لما ذكر هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم إلى الجبل فطلبوه فلم يقدروا عليه .

(١) سورة هود الآية « ٤٦ » .

(٢) سورة هود الآية « ٤٥ » .

آسية بنت مزاحم

الأتقياء الأخفياء لا يقصرون على هذه الأمة ، منهم الكبار والصغار ، والرجال والنساء ، ومن جملة هؤلاء آسية بنت مزاحم ، امرأة فرعون ، وهي التي ضرب بها المثل في كتاب الله تعالى ، قال سبحانه : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

قال يحيى بن سلام : قوله ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (٢) مثل ضربه الله يحذر به عائشة وحفصة في المخالفة حين تظاهرتا على رسول الله ﷺ ، ثم ضرب لهما مثلاً بامرأة فرعون ومريم بنت عمران ، ترغيباً في التمسك بالطاعة والثبات على الدين ، وقيل : هذا حث للمؤمنين على الصبر في الشدة ، أى لا تكونوا في الصبر عند الشدة أضعف من امرأة فرعون حين صبرت على أذى فرعون ، وكانت آسية آمنت بموسى ، وقيل : هى عمة موسى آمنت به ، قال أبو العالية : اطلع فرعون على إيمان امرأته فخرج على الملأ فقال لهم : ما تعلمون من آسية بنت مزاحم ؟ فأثنوا عليها ، فقال لهم : إنها تعبد رباً غيرى ، فقالوا له : أقتلها . فأوتد لها أوتاداً وشد يديها ورجليها فقالت : ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ ووافق ذلك حضور فرعون ، فضحكت حين رأت بيتها في الجنة ، وقال فرعون : ألا تعجبون من جنونها !

(١) سورة التحريم الآية ١١ .

(٢) سورة التحريم الآية ١٠ .

إننا نعذبها وهي تضحك ، فقبض روحها وقال سلمان الفارسي فيما روى عنه عثمان النهدي : كانت تعذب بالشمس ، فإذا أذاها حر الشمس أظلتها الملائكة بأجنحتها . وقيل : سمر يديها ورجليها في الشمس ووضع على ظهرها رحي ، فأطلعها الله حتى رأت مكانها في الجنة ، وقال الحسن : إنه من درة ، ولما قالت : ونجني . نجأها الله أكرم نجاة ، فرفعها إلى الجنة ، فهي تأكل وتشرب وتتعم .

فهذه امرأة مؤمنة ، أقامت تحت فرعون إقامة اضطرار ، وكان زوجها من أكفر الخلق برب العالمين ، فقد ادعى الربوبية والألوهية مع الله ، فما طاعته على ذلك ، بل أنابت إلى الله في عسرها ويسرها ، وجأت إلى الله بالدعاء تسأله النجاة من فرعون وعمله بالكفر والظلم والشماتة ، كما تسأله النجاة من القوم الظالمين وهم القبط ، أهل مصر ، فما تخلفت عنها الإجابة ، فقد رفعها الله مكاناً عالياً ، وبنى لها بيتاً في الجنة ، وصارت قصتها مثلاً يضرب .

صاحبة الضفيرتين وابنها

داهم الروم الشام ، فقام أبو قدامة الشامي خطيباً في الناس ، يرغبهم في الآخرة ويزهدهم في الدنيا ويستحثهم على البذل والجهاد في سبيل الله ، ويذكرهم بمثل قوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (٣٨) ^(١) ثم نزل من على المنبر ، فاعترضته امرأة تنادى عليه يا أبا قدامة ، فلم يلتفت ، فنادت الثانية : يا أبا قدامة ، فلم يلتفت ، وكأنه تخوف على نفسه الفتنة ، وفي الثالثة قالت : يا أبا قدامة ، ما هذا بخلق الصالحين فلم يجد بداً فسألها ما حاجتها ، فقالت : سمعتك تُرغب الناس في الجهاد في سبيل الله ، ولا أملك من الدنيا إلا هاتين الضفيرتين ، خذهما ، اصنع منهما لجاماً تشد به فرسك تجاهد في سبيل الله ، فبكى أبو قدامة من صنيعها وحرصها على طاعة الله ، وأخذ الضفيرتين وما كاد ينصرف حتى اعترضه غلام ينادى عليه يا أبا قدامة ، يناشده بالله أن يحمله على فرسه حتى يقاتل الروم في سبيل الله ، فاستنكف أبو قدامة لصغر سنه ، فألح عليه الغلام ، فقبل أبو قدامة واشتراط على الغلام ، إن هو قُتل في سبيل الله أن يشفع له عند الله فقبل الغلام ، وعند لقاء الروم ، طلب الغلام من أبي قدامة ثلاثة أسهم يرمي بهم الأعداء ، فرفض أبو قدامة ، فالأسهم سلعة غالية ، والغلام قد لا يحسن استخدامها فناشده الغلام بالله ، فأعطاه أبو قدامه الأسهم ، وكرر عليه الشرط

(١) سورة التوبة الآية « ٣٨ » .

فقبل الغلام ، ثم أنه أخذ السهم الأول وقال : سلام عليك يا أبا قدامة ، بسم الله فقتل به رومياً ، وصنع بالثاني مثل صنيعه بالأول ، وأخذ السهم الثالث ورمى به وقال سلام عليكم يا أبا قدامة بسم الله ، فقتل به رومياً ثالث واختلف فيه سهم ، فوقع على الأرض ، ولحقه أبو قدامة يذكره بالشرط أن يشفع له عند الله ، وقبل أن يموت الغلام دفع جراباً لأبي قدامة وقال له أعطه لأمي ، قال : ومن أملك ؟ قال : صاحبة الضفيرتين .

ثم أرادوا دفن الغلام ، فكأنما رفضته الأرض ، فتركوه على ظهرها فنزل الطير يأكل لحمه ويترك عظمه ، فذهب أبو قدامة إلى دار الغلام ، فخرجت أخته تسأل أبا قدامة : أمهنتاً جئت أم معزياً ؟ قال : بل مهنتاً ، قالت : الحمد لله ، فقد قُتل أبي فاحتسبناه عند الله ، وها نحن نرزأ في أحنينا الأصغر فنحسبه عند الله ثم خرجت أمه تسأل أبا قدامة : أمهنتاً جئت أم معزياً ، قال بل مهنتاً ، فحمدت الله ، ثم أعطها الجراب ، فأخرجت منه حبلاً ، وقص عليها أبو قدامة ما حدث فأخبرته أن الغلام كان يقوم الليل ، فإذا فتر تعلق بالحبل يدعو ربه أن يبعثه الله يوم القيامة من حواصل الطير فأدرك أبو قدامة لماذا امتنعت الأرض من قبول الغلام عندما أرادوا دفنه ، فنزلت الطيور تأكل لحمه وترك عظمه ، لقد استجاب الله دعاء الغلام ، وهذا من عجيب صنع الله بأهله ، فهو سبحانه لا يضيع أولياءه .

قصة طريفة

لرجل كان يعبد صنماً فى البحر

ذكر عبد الواحد أنهم ركبوا سفينة فانكسرت فأرقاتهم إلى جزيرة بعرض البحر ، فوجدوا رجلاً يعبد صنماً ، فسألوه ما تعبد ؟ فأشار لهذا الصنم ، فقال : وأنتم ما تعبدون : قالوا : نعبد الله الذى فى السماء عرشه وفى الأرض سلطانه وفى الأحياء والأموات قضاؤه ، قال : فما دليلكم عليه ، قال عبد الواحد : قلنا : بعث إلينا رسولاً ، قال : وأين هو ؟ قلنا : قبضه الله إليه ، قال : فما علامتكم عليه ؟ قلنا : ترك لنا كتاب الملك ، قال : أرونيه ، قال عبد الواحد : فدفعنا له مصحفاً ، قال : لا أحسن هذا « أى لا يحسن القراءة » قال عبد الواحد : فقرأنا له سورة من كتاب الله ، وهو يكي ويقول : ما ينبغي لمن كان هذا كلامه أن يعصى ، قال عبد الواحد ، فعلمناه من شرائع الإسلام ، حتى أقبل الليل ، فصلينا ونمنا ، فقال الرجل : ألهكم الذى تعبدونه ينام ، قلنا : مولانا حياً قيوم لا ينام ، قال : بئس العبيد أنتم ، تنامون ومولاكم لا ينام ، قال عبد الواحد : فتعجبنا من أمره ، ثم وصلنا عبادان ، فجمعنا له مالا ودفعناه له ، فقال : سبحان الله دللتمونى على طريق لم تسلكوه ، إني كنت أعبد صنماً فى البحر فلم يضيعنى ، فكيف بعد ما عرفته !!! . قال عبد الواحد : فكان أمره عجباً ، ثم أنه مرض ، فذهبنا نعوذه ، وقلنا : ألك حاجة ، فقال : إله الذى دللتمونى عليه قضى إلى حوائجى ، قال عبد الواحد : فما لبثنا حتى مات ، فرأيت فى خيمة ويجواره امرأة وهو يقول : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ، وهذه القصة جاءت فى كتاب غذاء الألباب ، وقد نقلها

السفارينى عن ابن الجوزى ، وأنت تلمس من خلالها كيف أن الآيات إذا خالطت شفاف القلوب غيّرت حياة الناس ومفاهيمهم ، وأورثت النفس حياة من الله وتوكلأ عليه وإنابة إليه بالليل والنهار ، بحيث لا يتعلق القلب بالخلقين فى جلب النفع ودفع الضر ، ومثل هذا لا يضيع ولا يخيب ولا يشقى فى الدنيا ولا فى الآخرة ، بل لا يعد أن يسبق غيره ممن تقدمه بإسلام بحيث يكون أمره عجباً .

أمنت بالله ، ومن توكل على الله كفاه

دخل أحد الصحابة مسجد رسول الله ﷺ في غير وقت الصلاة ، فوجد غلاماً لم يبلغ العاشرة من عمره قائماً يصلي بخشوع فانتظر حتى انتهى من صلاته ، فجاء إليه وسلم عليه ، وقال له : يا بني ابن من أنت ؟ .

فطأطأ الغلام رأسه وانحدرت دمعته على خده ، ثم رفع رأسه ، وقال : يا عم إنني يتيم الأب والأم ، فرّق له الصحابي ، وقال له : يا بني أترضى أن تكون ابناً لى ؟ .

فقال الغلام : هل إذا جعت تطعمنى ؟ . قال : نعم .

فقال الغلام : هل إذا عريت تكسونى ؟ . قال : نعم .

فقال الغلام : هل إذا مرضت تشفينى ؟ . قال الصحابي : ليس إلى ذلك سبيل يا بني .

قال الغلام : هل إذا مت تحينى ؟ قال الصحابي : ليس إلى ذلك سبيل .

قال الغلام : فدعنى ياعم للذى : ﴿ خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) ﴾ (١) .

فسكت الصحابي ومضى لحاله ، وهو يقول : آمنت بالله من توكل على الله كفاه .

(١) سورة الشعراء الآيات « ٧٨ - ٨٢ » .

لقد غابت معاني التوكل ، وصار التعلق بالجوارح والدرهم والدينار فشقت البشرية بهذه المادية الطاغية .

سئل حاتم الأصم عما أدخله في التوكل ، فقال : علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي ، وعلمت أن عملي لا يعمل له غيري فأنا مشغول به ، وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره ، وعلمت أني لا أدخل من عين الله حيث كنت فأنا مستحي منه .

وكان البعض يقول : ما من صباح إلا والشيطان يقول لي : ما تأكل ، وأين تسكن ؟ فأقول : آكل الموت وألبس الكفن ، وأسكن القبر .

وقالوا : إذا عملت فاذا ذكر نظر الله إليك ، وإذا تكلمت فاذا ذكر سمع الله إليك ، وإذا سكت فاذا ذكر علم الله فيك .

صحبة أورثت دروساً قيمة

روى عن شقيق البلخي أنه قال لحاتم الأصم : قد صحبتني مدة فماذا تعلمت ، قال : ثمان مسائل :

الأولى : فإنني نظرت إلى الخلق إذ كل شخص له محبوب فإذا وصل إلى القبر فارقه محبوبه ، فجعلت محبوبى حسنتى لتكون معى فى القبر .

الثانية : فإذا نظرت إلى قول الله تعالى ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ ^(١) فأجهدتها فى دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله .

وأما الثالثة : فإنني رأيت كل من معه شئ له قيمة عنده يحفظه ثم نظرت فى قوله سبحانه : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ ^(٢) فكلما وقع معى شئ له قيمة وجهته إليه ليقى عنده .

وأما الرابعة : فإنني رأيت الناس يرجعون إلى المال والحسب والشرف ، وليست بشئ فنظرت إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ^(٣) فعملت بالتقوى لأكون عنده كريماً .

وأما الخامسة : فإنني رأيت الناس يتحاسدون ، فنظرت إلى قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ^(٤) فتركت الحسد .

(١) سورة النازعات الآية « ٤٠ » .

(٢) سورة النحل الآية « ٩٦ » .

(٣) سورة الحجرات الآية « ١٣ » .

(٤) سورة الزخرف الآية « ٣٢ » .

وأما السادسة : رأيتهم يتعادون فنظرت في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ ^(١) فتركت عداوتهم واتخذت الشيطان وحده عدوًّا .

وأما السابعة : رأيتهم يذلون أنفسهم في طلب الرزق فنظرت في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ ^(٢) فاشتغلت بماله على وتركت الذي لى عنده .

وأما الثامنة : رأيتهم متوكلين على تجارتهم وصنائعهم وصحة أبدانهم فتوكلت على الله تعالى .

وكان حاتم الأصم يقول : رأيت رزقى من عند ربى فلم أشتغل إلا بربى ، ورأيت أن الله وكل بى ملكين يكتبان على كل ما تكلمت به فلم أنطق إلا بالحق ، ورأيت أن الخلق ينظرون إلى ظاهرى والرب تعالى ينظر إلى باطنى فرأيت مراقبته أولى وأوجب فسقطت عنى رؤية الخلق ، ورأيت أن الله مستحشاً يدعو الخلق إليه فاستعددت له متى جاءنى لا أحتاج يقتلنى « يعنى ملك الموت » فقليل له : يا حاتم ما خاب سعيك .

(١) سورة فاطر الآية « ٦ » .

(٢) سورة هود الآية « ٦ » .

أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يستأثروا به دوننا ؟

« أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يستأثروا به دوننا ، والله لنزاحمهم عليه زحاما حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالا » كلمة قالها أبو مسلم الخولاني - رحمه الله - تدل على صدق المحبة ، والحرص على حسن التأسي والاتباع ، لقد علموا أن السبق سبق الفضل والصفات لا سبق الزمان والمكان ، فهذه الأمة أتت بعد اليهود والنصارى . وهي خير أمة أخرجت للناس ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ^(١) إنها كلمة رجل مجاب الدعوة ، من خيار التابعين ، رجل صنع الله به مثل صنيعه بإبراهيم عليه السلام ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴾ ^(٢) لقد أدرك معنى المنافسة في الخير ، وأن التطلع لما عند الله لا بد فيه من مزاحمة حقه حول رسول الله ﷺ ، فلا إيثار في القرب ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ ^(٣) ، لقد علت همتهم فلم تتلاعب بهم الدنيا ، ولا تطلعوا لمال أو منصب أو جاه ، ولا نظروا للموضات وحفظ الأغنيات ومشاهدة الأفلام والمسرحيات ، لقد كانت حياتهم ترجمة لمعانى الرضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ، وكان لسان حالهم ينطق : الله غايتنا والرسول ﷺ قدوتنا ، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا ، ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ

(١) سورة الحجرات الآية « ١٣ » .

(٢) سورة الأحزاب الآية « ٢٣ » .

(٣) سورة آل عمران الآية « ٣١ » .

وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿١﴾ .

هل نتجاسر اليوم ونقوى على النطق بمثل كلمة أبى مسلم ؟ وهل تواتينا الشجاعة لطلب المعانى ؟ لا سبل لعلاج العوج وإنهاء الغربة إلا بالرجوع لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ، لا سبيل للعودة لمعانى القوة والعزة والتمكين إلا باقتفاء آثار هؤلاء الأتقياء الأخفياء ، الذين عاشوا بالإسلام وللإسلام ، لا سبيل للوصول لمعانى الرجولة الحقة إلا بترك التخنث والميوعة وترك متابعة المغضوب عليهم والضالين ، لقد حفظ لنا تعالى الكتاب والسنة ، وحفظ لنا من يقوم بهذا الدين ، فلن تخلوا الأرض من قائم لله بحجة ، يقيمون حجج الله وبيناته على العباد ، ينفون عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، فاللهم اجعلنا من الذين يقومون بالحق وبه يعدلون .

عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز

ذكر البعض من أمر عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز عجباً ، وقالوا : كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز إنما أدخله في العباداة ما رأى من ابنه عبد الملك ، وغضب عمر بن عبد العزيز يوماً فاشتد غضبه وكان فيه حدة وعبد الملك حاضر فلما سكن غضبه قال : يا أمير المؤمنين أنت في قدر نعمة الله عليك وموضعك الذي وضعك الله به وما ولاك من أمر عبادته يبلغ بك الغضب ما أرى ؟ قال : كيف قلت ؟ فأعاد عليه كلامه وقال : أما تغضب يا عبد الملك ؟ فقال : ما تُغنى سعة جوفى إن لم أردد فيه الغضب حتى لا يظهر منه شيء أكرهه .

ودخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على عمر فقال يا أمير المؤمنين : إن لى إليك حاجة فأخّلنى ، وعنده مسلمة بن عبد الملك فقال عمر : أسردون عمك ؟ قال : نعم فقام مسلمة وخرج وجلس بين يديه فقال : رأيت بدعةً تميتها أو سنةً فلم تحيها ؟ فقال له : يا بنى أشئ حملك الرغبة إلى أم رأى رأيته من قبل نفسك ؟ قال : لا والله ولكن رأى رأيته من قبل نفسى ، عرفت أنك مسعول ، فما أنت قائل ؟ فقال له أبوه : رحمك الله وجزاك من ولد خيراً ، فوالله إنى لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير يابنى إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدةً عقدةً وعروةً عروةً ومتى ما أريد مكابرتهم على انتزاع ما فى أيديهم لم آمن أن يفتقوا على فتقاً تكثر فيه الدماء ، والله لزوال الدنيا أهون على من أن يهراق فى سببى محجةً من دم ، أو ما ترضى ألا يأتى على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعةً ويحيى فيه سنةً ؟ حتى يحكم الله بيننا بالحق وهو خير الحاكمين .

ودخل عبد الملك يوماً على أبيه عمر فقال : أين وقع لك رأيك فيما ذكر لك مزاحم من رد المظالم ؟ فقال : على إنفاذه ، فرفع عمر يده ثم قال : الحمد لله الذى جعل لى من ذريتى من يعيننى على أمر دينى ، نعم يابنى أصلى الظهر إن شاء الله ثم أضعد المنبر فأردها على رؤوس الناس ، فقال عبد الملك : يا أمير المؤمنين من لك بالظهر ؟ ومن لك إن بقيت أن تسلم لك نيتك ؟ فقال عمر : تفرق الناس للقائلة ، فقال عبد الملك تأمر مناديك فينادى : الصلاة جامعة ثم يجتمع الناس فأمر مناديه فنادى .

وجلس عمر يوماً للناس فلما صرف النهار ضجر وملّ فقال للناس مكانكم حتى أنصرف إليكم ودخل ليستريح ساعة فجاء إليه ابنه عبد الملك فسأل عنه فقالوا : دخل ، فاستأذن عليه فأذن له فلما دخل قال : يا أمير المؤمنين ما أدخلك ؟ قال أردت أن أستريح ساعة قال : أوأمنت الموت أن يأتيك ورعيتك على بابك ينتظرونك وأنت محتجب عنهم ؟ فقام عمر فخرج إلى الناس . واستوى عمر قائماً ، حين دفن ابنه عبد الملك أحاط به الناس فقال : والله يا بنى لقد كنت براً بأبيك ، والله ما زلت منذ وهبتك الله لى مسروراً بك ولا والله ما كنت قط أشدّ سروراً ولا أرجى لحظى من الله فيك منذ وضعتك فى المنزل الذى صيرك الله إليه ، فرحمك الله وغفر لك ذنباً وجزاك بأحسن عملك ، ورحم كل شافع يشفع لك بخير من شاهد وغائب ، رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمره ، الحمد لله رب العالمين . ثم انصرف .

قصة سعيد بن جبير

مع الحجاج بن يوسف الثقفي وقتل سعيد

عن أبي حصين قال : أتيت سعيد بن جبير بمكة فقلت : إن هذا الرجل قادم يعنى خالد بن عبد الله ، ولا آمنه عليك ، فأطعنى واخرج فقال : والله لقد فررت حتى استحييت من الله ، قلت : والله إني لأراك كما سمتك أمك ، سعيداً ، قال : فقدم مكة فأرسل إليه فأخذه ، فأخبرني يزيد بن عبد الله قال : أتينا سعيد بن جبير حين جئ به فإذا هو طيب النفس ، وبنية له في حجره ، فنظرت إلى القيد فبكت فشيعناه إلى باب الجسر ، فقال له الحرس : أعطنا كُفلاء فإننا نخاف أن تُغرق نفسك ، قال يزيد : فكنت فيمن كُفّل به .

وعن داود بن أبي هند قال : لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير قال : ما أراني إلا مقتولاً وسأخبركم أني كنت أنا وصاحبان لى دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء ، ثم سألنا الشهادة فكلا صاحبي رزقها وأنا أنتظرها ، فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء .

وعن عمر بن سعيد قال : دعا سعيد بن جبير ابنه حين دُعِيَ ليقْتل فجعل ابنه يبكي ، فقال : ما يبكيك ؟ ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة ؟ .

وعن الحسن قال : لما أتى الحجاج بسعيد بن جبير قال : أنت الشقيّ ابن كُسَيْر ؟ قال : بل أنا سعيد بن جبير ، قال : بل أنت الشقيّ بن كسير قال : كانت أمي أعرف باسمي منك ، قال : ما تقول في محمد ؟ قال : تعنى النبي ﷺ ، قال : نعم ، قال : سيد ولد آدم ، المصطفى ، خير من بقى وخير من مضى ، قال : فما تقول في أبي بكر الصديق ؟ قال : الصديق خليفة رسول الله

ﷺ ، مضى حميداً وعاش سعيداً ، ومضى على منهاج نبيه ﷺ لم يغير ولم يبدل ، قال : فما تقول في عمر ؟ قال : عمر الفاروق خيرة الله وخيرة رسوله مضى حميداً على منهاج صاحبيه لم يغير ولم يبدل ، قال : فما تقول في عثمان ؟ قال : المقتول ظلماً ، المجهز جيش العسرة ، الحافر بئر رومة ، المشتري بيته في الجنة ، صهر رسول الله ﷺ على ابنتيه ، زوجة النبي ﷺ بوحي من السماء ، قال : فما تقول في علي ؟ قال : ابن عم رسول الله ﷺ وأول من أسلم ، وزوج فاطمة وأبو الحسن والحسين . قال فما تقول في ؟ قال أنت أعلم بنفسك ، قال : بُثَّ بعلمك ، قال أعفني ، قال : لا عفا الله عني إن أعفيتك . قال : إني لأعلم أنك مخالف لكتاب الله ، ترى من نفسك أموراً تريد بها الهيبة وهي التي تُحملك الهلاك وستردُّ غداً فتعلم ، قال : أما والله لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحداً قبلك ولا أقتلها أحداً بعدك ، قال : إذا تُفسد عليّ دنيائى وأفسد عليك آخرتك ، قال : يا غلام السيف والنَّطع ، فلما ولى ضحك قال : قد بلغني أنك تضحك ، قال : قد كان ذلك ، قال فما أضحكك عند القتل ؟ قال : من جرأتك على الله عز وجل ، ومن حلم الله عنك ، قال : يا غلام اقتله ، فاستقبل القبلة فقال : ﴿ وَجْهَتْ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٧٩) ﴿ (١) ، فصرف وجهه عن القبلة فقال : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ (٢) قال : اضرب به الأرض ، قال : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (٣) قال : اذبح عدو

(١) سورة البقرة الآية « ١١٥ » .

(٢) سورة الأنعام الآية « ٧٩ » .

(٣) سورة طه الآية « ٥٥ » .

الله فما أنزعه آيات القرآن منذ اليوم .

قال ابن ذكوان : إن الحجاج بن يوسف بعث إلى سعيد بن جبير فأصابه الرسول بمكة فلما سار به ثلاثة أيام رآه يصوم نهاره ويقوم ليله ، فقال الرسول : والله إنى لأعلم أنى أذهب بك إلى من يقتلك فاذهب إلى أى طريق شئت ، فقال له سعيد : أنه سيبليخ الحجاج أنك قد أخذتنى فإن خلّيت عنى خفت أن يقتلك ولكن اذهب بى إليه ، قال : فذهب به ، فلما دخل عليه قال له الحجاج : ما اسمك ؟ قال : سعيد بن جبير ، فقال : بل شقى بن كسير ، فقال : أمى سمّتنى . قال : شقيت . قال : الغيب يعلمه غيرك . قال له الحجاج : أما والله لأبدلنك من دنيائك ناراً تلظى ، قال سعيد : لو علمت أن ذلك إليك ما اتخذت إلهاً غيرك . ثم قال له الحجاج : ما تقول فى رسول الله ﷺ ؟ قال : نبى مصطفى ، خير الباقين وخير الماضين ، قال : فما تقول فى أبى بكر الصديق ؟ قال ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، أعز الله به الدين ، وجمع به بعد الفرقة ، قال : فما هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؟ قال : فاروق وخيرة الله من خلقه ، أحب الله أن يعز الدين بأحد الرجلين ، فكان أحقهما بالخيرة والفضيلة ، قال : فما تقول فى عثمان بن عفان ؟ قال : مجهز جيش العسرة ، والمشتري بيتاً فى الجنة ، والمقتول ظلماً ، قال : فما تقول فى على ؟ قال : أولهم إسلاماً ، وأكثرهم هجرة ، تزوج بنت رسول الله ﷺ التى هى أحب بناته إليه . قال : فما تقول فى معاوية ؟ قال : كاتب رسول الله ﷺ ، قال : فما تقول فى الخلفاء منذ كان رسول الله ﷺ إلى الآن ؟ قال : سيجزون بأعمالهم ، فمسرور ومثبور « هالك » ولست عليهم بوكيل ، قال : فما تقول فى عبد الملك بن مروان ؟ قال : إن يكن محسناً فعند الله ثواب إحسانه ، وإن يكن

مسيئاً فلن يُعجز الله ، قال : فما تقول فيّ ؟ قال : أنت بنفسك أعلم ، قال : بُثَّ فيّ علمك ، قال : إذا أسوءك ولا أسرك ، قال : بُثَّ ، قال : نعم ، ظهر منك جورٌ في حدِّ الله ، وجراً على معاصيه بقتلك أولياء الله . قال : والله لأقطعنك قطعاً وأفرقن أعضائك عضواً عضواً ، قال : إذا تُفسد علىّ دنياي وأفسد عليك آخرتك ، والقصاص أمامك ، قال : الويل لك من الله ، قال : لمن زُحِرَ عن الجنة وأُدخل النار ، قال : اذهبوا به فاضربوا عنقه قال سعيد : إني أشهدك أني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أستحفظك بها حتى ألقاك يوم القيامة : فذبح من قفاه . قال : فبلغ ذلك الحسن بن أبي آل حسن البصري فقال : اللهم يا قاصم الجابرة اقصم الحجاج ، فما بقي إلا ثلاثاً حتى وقع في جوفه الدود فمات .

وعن يحيى بن سعيد ، عن كاتب الحجاج يقال له يعلى ، قال : كنت أكتب للحجاج وأنا يومئذ غلام حديث السن ، فدخلت عليه يوماً بعدما قتل سعيد بن جبير ، وهو في قبة لها أربعة أبواب ، فدخلت عليه مما يلي ظهره ، فسمعتة يقول : ما لي ولسعيد بن جبير ؟ فخرجت رويداً ، وعلمت أنه إن علم بي قتلني ، فلم ينشب « لم يلبث » الحجاج بعد ذلك إلا يسيراً وفي رواية أخرى : عاش بعده خمسة عشر يوماً ، وفي رواية : ثلاثة أيام ، وكان يقول : مالي ولسعيد بن جبير ؟ كلما أردت النوم أخذ برجلي .

وعن عمرو بن ميمون ، عن أبيه قال : لقد مات سعيد بن جبير وما على الأرض أحد إلا وهو يحتاج إلى علمه .

ينابيع الحكمة

كان إبراهيم النخعي رحمه الله يقول : تكلمت ولو وجدت بدأ ما تكلمت فإن زماناً أكون فيه فقيه الكوفة لزمان سوء ، وقال : كنا إذا حضرنا جنازة أو سمعنا بميت عرف فينا أياماً لأننا قد عرفنا أنه قد نزل به أمر صيرّه إلى الجنة أو النار قال : وإنكم في جنائزكم تحدثون بأحاديث دنياكم ، وكان إذا سئل في مسألة عرفت الكراهية في وجهه ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً .

وعن الأعمش قال : كنت عند إبراهيم وهو يقرأ في المصحف واستأذن عليه رجل فعطى المصحف وقال : لا يرى هذا أننى أقرأ فيه كل ساعة .

وقال : كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى صلاته ، وإلى هديه ، وإلى سمته ، وعن مغيرة قال : كان رجل على حال حسنة فأحدث حدثاً أو أذنب ذنباً فرفضه أصحابه ونبذوه ، فبلغ إبراهيم فقال : مه تداركوه وعظوه ولا تدعوه .

وقال إبراهيم التيمي : ما عرضتُ عملي على قولي إلا خشيت أن أكون مكذباً .

وقال : كم بينكم وبين القوم ؟ أقبلت عليهم الدنيا فهربوا وأدبرت عنكم فاتبعتموها ، وكان لا يخوض في شيء من أمر الدنيا قط ، ويقول : إن الرجل ليظلمني فأرحمه ، وقال : ينبغي لمن لا يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار لأن أهل الجنة قالوا : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ ^(١) وينبغي لمن لا يشفق أن يخاف ألا يكون من أهل الجنة لأنهم قالوا : ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ ^(٢) .

(١) سورة فاطر الآية ٣٤ .

(٢) سورة الطور الآية ٢٦ .

هل تعرف جليبيبا ؟

لابد وأن يعترينا الخجل إذا كانت الإجابة بالنفي في الوقت الذي تعرفنا فيه على دقائق سير المشهورين من الساسة والزعماء ورجال الأدب والفن وأضعنا الأوقات الكثيرة فيما لا فائدة فيه ، وكان أخرى بنا وأولى أن نتعرف على هؤلاء الأفاضل الأخيار فذكرهم تحيى القلوب وكلنا يحتاج لأسوة وقدوة ، روى مسلم عن أبي بزة أن النبي ﷺ كان في مغزى له فأفاء الله عليه فقال لأصحابه [هل تفقدون من أحد] قالوا : نعم فلاناً وفلاناً وفلاناً ، ثم قال : [هل تفقدون من أحد ؟] قالوا : نعم ، فلاناً وفلاناً وفلاناً ، ثم قال : [هل تفقدون من أحد] ، قالوا : لا . قال : [لكنى أفقد جليبيبا فاطلبوه] . فطلب في القتلى فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه ، فأتى النبي ﷺ فوقف فقال : [قتل سبعة ثم قتلوه هذا منى وأنا منى هذا منى وأنا منه] . قال : فوضعه على ساعديه ليس له إلا ساعدا النبي ﷺ . قال فحفر له ووضع في قبره ولم يذكر غسلًا . وقول النبي ﷺ عن جليبيب هذا منى وأنا منه معناه في المبالغة في اتحاد طريقتهما واتفاقهما في طاعة الله تعالى ولكونه مات شهيداً - ﷺ - لم يغسل ولم يصل عليه ، وهكذا رفع الإسلام جليبيبا بينما وضع أبا جهل وأبا لهب . وفي الحديث حث على التعرف على أمثال الصالحين حتى وإن كانوا مغمورين والسؤال عنهم وإبراز فضلهم والاعتراف بقدرهم ويتأكد هذا بصفة خاصة في حق من يقود ويتزعم ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١) ﴿

وعن أبي برزة الأسلمي أن جليبيبا كان امراً من الأنصار وكان أصحاب النبي ﷺ إذا كان لأحدهم أيم « التي لا زوج لها » لم يزوجها حتى يعلم النبي ﷺ هل له فيها حاجة أم لا ؟ فقال رسول الله ﷺ ذات يوم لرجل من الأنصار : [يا فلان زوجني ابنتك قال : نعم ونعمة عين ، قال إني لست لنفسى أريدها قال : لمن ؟ قال لجليب قال : يا رسول الله حتى أستأمر «أشاور» أمها . فأتاها فقال : إن رسول الله ﷺ يخطب ابنتك قال : نعم ونعمة عين زوج رسول الله ﷺ ، قال إنه ليس لنفسه يريدها قالت : فلمن ؟ قال لجليب قالت حلقي أجليب ؟ لا لعمر الله لا أزوج جليبيبا . فلما قام أبوها ليأتي النبي ﷺ قالت الفتاة من خدرها لأبويها من خطبني إليكما ؟ قالا : رسول الله ﷺ قال : أفتردون على رسول الله ﷺ أمره ؟ ادفعوني إلى رسول الله ﷺ فإنه لن يضيعني . فذهب أبوها إلى النبي ﷺ فقال شأئك بها فزوجها جليبيبا ، قال إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة لثابت : أتدرى ما دعا لها به النبي ﷺ ؟ قال : وما دعا لها به النبي ﷺ ؟ ، قال : اللهم صب عليها اخير صباً صباً ولا تجعل عيشها كدأ كدأ] ^(١) ، قال ثابت فزوجها إياه فما في الأنصار أيم أنفق منها ، قال ابن سعد : وسمعت من يذكر أن جليبيبا كان رجلاً من بني ثعلبة حليفاً في الأنصار ، والمرأة التي زوجها النبي ﷺ إياهم من بني الحارث بن الخزرج رضي الله عنه ، ولسائل أن يسأل مالونه ؟ وما اسم أبيه ؟ وما عمره ؟ كل هذا طوى عنا لكونه لا فائدة فيه وبقي جليبيب عالماً من أعلام الصلاح والتقى ترد سيرته على كل من طلب شهرة زائفة لا خير فيها ولا فائدة معها .

(١) صحيح : رواه الإمام أحمد بسند صحيح .

ثم احرص على تحقيق معانى الأخوة الإيمانية وإلا فهي لا تقتصر على هؤلاء البارزين ، ولا بد من السعى فى مصالح هؤلاء الأخفياء الذين نتوسم فيهم الصلاح والتقوى ، وإذا افتخر الناس يوماً بأنهم قابلوا فلاناً المشهور وتحدثوا معه أو صافحوه ، فليكن لك أنت شأن آخر تحرص على تقوى الله وتقترب من أهلها .

وماذا تعرف أيضاً عن ذى البجادين ؟

عن محمد بن سعد قال : كان ذو البجادين يتيماً لا مال له فمات أبوه ولم يورثه شيئاً وكفله عمه حتى أيسر ، فلما قدم النبي ﷺ المدينة كانت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يقدر عليه من عمه حتى مضت السنون والمشاهد ، فقال لعمه : يا عم إنى قد انتظرت إسلامك فلا أراك تريد محمداً فائذن لى فى الإسلام ، قال : والله لئن اتبعت محمداً لا أترك لك بيدك شيئاً كنت أعطيتكه إلا نزعته منه حتى ثوبيك قال : فأنا والله متبع محمداً وتارك عبادة الحجر ، وهذا ما بيدى فخذ فأخذ ما أعطاه حتى جرده من إزاره ، فأتى أمه فقطعت بجاداً لها بائنتين فأنزرت بواحد وارتدى بالآخر ثم أقبل إلى المدينة وكان بورقان « جبل على يمين المار من المدينة إلى مكة » فاضطجع فى المسجد فى السحر « الوقت من آخر الليل » وكان رسول الله ﷺ يتصفح الناس إذ انصرف من الصبح فنظر إليه فقال : من أنت ؟ فانتسب له وكان اسمه عبد العزى فقال : أنت عبد الله ذو البجادين . ثم قال : انزل منى قريباً . فكان يكون فى أضيافه حتى قرأ قرآناً كثيراً ، فلما خرج النبي ﷺ إلى تبوك قال : ادع الله لى بالشهادة فربط النبي ﷺ على عضده لحى سمرة « من شج الطلح » وقال : اللهم إنى أحرم دمه على الكفار فقال : ليس هذا أردت . قال النبي ﷺ : إنك إذا خرجت غازياً فأخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد أو وقصتك دابتك « كسر العنق » فأنت شهيد . فأقاموا بتبوك أياماً ثم توفى . قال بلال بن الحارث : حضرت رسول الله ﷺ ومع بلال المؤذن شعلة من نار عند القبر واقفاً بها وإذا رسول الله ﷺ وهو يقول : [أدنيا إلى أخاكما] فلما هبأه لشقه فى اللحد

قال : [اللهم إني قد أمسيت عنه راضياً فارض عنه] فقال ابن مسعود ليتني كنت صاحب اللحد . وعن أبي وائل عن عبد الله قال : والله لكأني أرى رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبر عبد الله ذي الجادين وأبو بكر وعمر يقول أدنيا إليّ أخاكما وأخذه من قبل القبلة حتى أسكنه في لحده ثم خرج النبي ﷺ ولياهما العمل فلما فرغ من دفنه استقبل القبلة رافعاً يديه يقول : [اللهم إني أمسيت عنه راضياً فارض عنه] ^(١) وكان ذلك ليلاً ، يقول ابن مسعود فوالله لو ددت أني مكانه ولقد أسلمت قبله بخمس عشر سنة ، فرضى الله عن ذي الجادين وعن سائر الصحابة النبي ﷺ واعلم أن كل صحابي أفضل من كل من جاء بعده سواء كان مشهوراً أو غير مشهور .

(١) أخرجه البزار عن شيخه عباد بن أحمد العزمي وهو متروك .

حُدِير

أورد ابن الجوزي في صفة الصفوة رواية عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث جيشاً فيهم رجل يقال له : حدير وكانت تلك السنة قد أصابتهم سنة « شدة » من قلة الطعام فزودهم رسول الله ﷺ ونسى أن يزود حديراً فخرج حدير صابراً محتسباً وهو في آخر الركب يقول : لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ويقول : نعم الزاد هو يارب ، فهو يرددها وهو في آخر الركب ، قال : فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له : إن ربي أرسلني إليك يخبرك أنك زودت أصحابك ونسيت أن تزود حديراً وهو في آخر الركب يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويقول : نعم الزاد هو يارب . قال : فكلامه ذلك له نور يوم القيامة ما بين السماء والأرض فابعث إليه بزاد . فدعا النبي ﷺ رجلاً فدفع إليه زاد حدير وأمره إذا انتهى إليه حفظ عليه ما يقول وإذا دفع إليه الزاد حفظ عليه ما يقول ويقول له : إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ورحمة الله ويخبرك أنه كان نسي أن يزودك وإن ربي تبارك وتعالى أرسل إليه جبريل يذكرني بك فذكره جبريل وأعلمه مكانك فأنتهى إليه وهو يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ويقول : نعم الزاد هذا يارب . قال : فدنا منه ثم قال له : إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ورحمة الله وقد أرسلني إليك بزاد معي ويقول : إني إنما نسيتك فأرسل إلى جبريل من السماء يذكرني بك قال : فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال : الحمد لله رب العالمين ذكرني ربي من فوق سبع سماوات ومن فوق

عرشه ورحم جوعى وضعفى ، يارب كما لم تنس حديراً فاجعل حديراً لا ينساك . قال فحفظ ما قال ورجع إلى النبي ﷺ فأخبره بما سمع منه حين أتاه وبما قال حين أخبره فقال رسول الله ﷺ : أما إنك لو رفعت رأسك إلى السماء لرأيت لكلامه ذلك نوراً ساطعاً ما بين السماء والأرض .

سعيد بن عامر

أسلم قبل خيبر وشهدها مع رسول الله ﷺ وما بعدها . أرسل إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : إنا مستعملوك على هؤلاء ففسر بهم إلى أرض العدو فتجاهد بهم . فقال يا عمر لا تفتنى فقال عمر : والله أأدعكم جعلتموها في عنقي ثم تخليتم مني . ثم استعمله على حمص وقال له ألا نفرض لك رزقاً ؟ قال : قد جعل الله تعالى في عطائي ما يكفيني دونه أو فضلاً على ما أريد . وعن حسان بن عطيه قال : لما عزل عمر بن الخطاب معاوية بن أبي سفيان عن الشام بعث سعيد بن عامر بن حزم الجهمي قال : فخرج معه بجارية من قريش نضيرة الوجه قال : فما لبث إلا يسيراً حتى أصابته حاجة شديدة . قال : فبلغ ذلك عمر فبعث إليه بألف دينار . قال : فدخل بها على امرأته فقال : إن عمر بعث إلينا بما ترين . فقالت : لو أنك اشتريت أدماً طعاماً وادخرت سائرهما فقال لها : أولاً أدلك على أفضل من ذلك ؟ نعطي هذا المال من يتجر لنا فيه فنأكل من ربحها وضماتها عليه قالت : فنعم إذاً ، فاشتري أدماً وطعاماً واشتري غلامين وبغيرين يمتران عليها حوائجهم وفرقها على المساكين وأهل الحاجة . قال : فما لبث إلا يسيراً حتى قالت له امرأته إنه قد نفذ كذا وكذا فلو أتيت ذلك الرجل فأخذت لنا من الربح فاشتريت لنا مكانه . قال فسكت عنها ثم عاودته فسكت عنها حتى آذته ولم يدخل بيته إلا من ليل إلى ليل قال : وكان رجل من أهل بيته ممن يدخل بدخوله . فقال لها : ما تصنعين ؟ إنك قد آذيتك إنه قد تصدق بذلك قال : فبكت أسفاً على ذلك المال . قال : ثم إنه دخل عليها يوماً فقال على رسلك إنه كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب ما أحب

أنى صددت عنهم وإنى لى الدنيا وما فيها ولو أن خيرة من خيرات الجنان اطلعت من السماء لأضاءت لأهل الأرض ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر ولنصيف تكسى خير من الدنيا وما فيها ، فلأنت فى نفسى أحرى أن أدعك لهن من أن أدعهن لك قال : فسمحت ورضيت .

وعن خالد بن معدان قال : استعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحمص سعيد بن عامر بن حذيم . فلما قدم عمر حمص قال : يا أهل حمص كيف وجدتم عاملكم ؟ فشكوه إليه وكان يقال لأهل حمص الكويفة الصغرى لشكايتهم العمال . قالوا : نشكوا أربعاً : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار ، قال أعظم بها قال : وماذا ؟ قالوا : له يوم فى الشهر لا يخرج فيه إلينا . قال عظيمة . قال : وماذا ؟ قالوا : لا يجيب أحداً بليل . قال وعظيمة . قال : وماذا ؟ قالوا يغنظ الغنظة بين الأيام أى تأخذه موة قال : فجمع عمر بينهم وبينه وقال : اللهم لا تفيل رأى فيه اليوم ، ما تشتكون منه ؟ قالوا لا يخرج حتى يتعالى النهار قال : والله إن كنت لأكره ذكره ، إنه ليس لأهلى خادم فأعجن عجينهم ثم أجلس حتى يتخمر ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم فقال : ما تشتكون منه ؟ قالوا : لا يجيب أحداً بليل . قال ما يقولون ؟ قال : إن كنت لأكره ذكره . إنى جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل قال : وما تشكون منه ؟ قالوا : إنه له يوماً فى الشهر لا يخرج إلينا فيه قال : ما يقولون ؟ قال : ليس لى خادم يغسل ثيابى ولا لى ثياب أبدلها فأجلس حتى تجف ثم أدلكها ثم أخرج إليهم من آخر النهار قال : ما تشكون منه ؟ قالوا يغنظ الغنظة « أشد الكرب والجهد » بين الأيام قال : ما يقولون ؟ قال شهدت مصرع خبيب الأنصارى بمكة وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذع

فقالوا : أتحب أن محمداً مكانك ؟ فقال : والله ما أحب أنى فى أهلى وولدى وأن محمداً شيك بشوكة . ثم نادى : يا محمد فما ذكرت ذلك اليوم وتركى نصرته فى تلك الحال وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم إلا ظننت أن الله عز وجل لا يغفر لى بذلك الذنب أبداً ، فتصيبنى تلك الغنظة فقال عمر : الحمد لله الذى لم يفيل فراستى . فبعث إليه بألف دينار وقال استعن بها على حاجتك ، فقالت امرأته الحمد لله الذى أغنانا عن خدمتك فقال لها : فهل لك فى خير من ذلك ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما نكون إليها قالت : نعم فدعا رجلاً من أهله يثق به صررها صرراً ثم قال انطلق بهذه إلى أرملة فلان وإلى مسكين آل فلان وإلى مبتلى فلان فبقيت منها ذهيبة فقال : أنفقى هذه ثم عاد إلى عمله فقالت : ألا تشتري لنا خادماً ما فعل ذلك المال ؟ قال : سيأتيك أحوج ما تكونين .

وقد مات سعيد بن عامر رضي الله عنه فى سنة عشرين فى خلافة عمر رضي الله عنه .
ونسأل الله تعالى أن يميتنا على محبة صحابة النبى صلى الله عليه وسلم وأن يحشرنا فى زمرة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

أويس بن عامر القرني

روى مسلم عن أسير بن جابر أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر وفيهم رجل من كان يسخر بأويس ، فقال عمر : هل ههنا أحد من القرنيين ، فجاء ذلك الرجل فقال عمر إن رسول الله ﷺ قد قال : [إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له قد كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم] ^(١) ، قال النووي : « قوله وفيهم رجل يسخر بأويس أى يحتقره ويستهزئ به وهذا دليل على أنه يخفى حاله ويكتُم السر الذي بينه وبين الله عز وجل ولا يظهر منه شيء يدل لذلك وهذه طريق العارفين وخواص الأولياء رضى الله عنهم » أ . هـ .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : [إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم] ^(٢) ، وفي رواية أخرى قال لعمر فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل وهذه منقبة ظاهرة لأويس رضي الله عنه وفيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم .

وروى مسلم أيضاً عن أسير بن جابر قال كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر حتى أتى على أويس فقال : أنت أويس بن عامر قال : نعم ، قال من مراد ثم من قرن . قال : نعم . قال :

(١) صحيح : رواه مسلم .

(٢) صحيح : رواه مسلم .

فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم قال : نعم . قال : لك والدة . قال : نعم . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم ، له والدة هو بها بر ، لو أقسم على الله لأبره ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل] ^(١) فاستغفر لي فاستغفر له ، فقال عمر : أين تريد ؟ قال : الكوفة . قال : ألا أكتب لك إلى عاملها . قال : أكون في غبراء الناس « أى ضعافهم الذين لا يؤبه لهم وهذا من إيثار كتم حاله وترك الشهرة » أحب إلى قال فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشrafهم فوافق عمر فسأله عن أويس قال : تركته رث البيت قليل المتاع ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : [يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل] ^(٢) ، فأتى أويساً فقال استغفر لي قال أنت أحدث عهداً بسفر صالح فاستغفر لي ، قال : لقيت عمر ، قال نعم ، فاستغفر لي ففطن له الناس فانطلق على وجهه قال أسير وكسوته بردة فكان كلما رآه إنسان قال : من أين لأويس هذه البردة « وفي قصة أويس هذه معجزات ظاهرة لرسول الله ﷺ ، وفيها التصريح بفضل أويس القرني وأنه خير التابعين قال النووي : « وقد يقال : قد قال أحمد بن حنبل وغيره أفضل التابعين سعيد بن المسيب والجواب أن مرادهم أن سعيداً أفضل في العلوم الشرعية كال تفسير والحديث والفقه ونحوها لا في الخير عند الله تعالى ، وفي

هذه اللفظة معجزة ظاهرة أيضاً « أ . ه .

ويذكر أن أويساً ارتقى يوماً درج مسجد الكوفة ثم قال يا أهل الكوفة
توسدوا الموت إذا نمتم وضعوه نصب أعينكم إذا قمتم ، وقد سماه الشاطبي
سيد العباد بعد الصحابة لما عرف عنه من كثرة العبادة ويصفه الذهبي بأنه
« القدوة سيد التابعين في زمانه » وكان أحمد بن حنبل يضرب به المثل في
الزهد فيقول : لا زهد إلا زهد أويس بلغ به العرى حتى قعد في قوصره . وكان
أويس يقول : بلغني أن لله عبادةً سجوداً أبداً ، وكان يقول : « لأعبدن الله في
الأرض كما تعبد الملائكة في السماء » . وكان يقول : « يا عجباً ممن يعلم أن
الجنة تزين فوقه وأن النار تسعر تحته كيف ينام من هو بينهما ينظر إليهما » .
وكان ينصح هرم بن حيان بلزوم الجماعة يقول له : « لا تفارق الجماعة
فتفارق دينك » وكان يعتذر إلى ربه ويقول : « اللهم إني أعتذر إليك اليوم من
كل كبد جائعة وبدن عارى فإنه ليس في بيتي من الطعام إلا ما في بطني ،
وليس شيء من الدنيا إلا ما على ظهري » ، ولم يكن على ظهره حينئذ إلا
خرقة وكان يقول : « إن قيام المؤمن بأمر الله لم يبق له صديقاً » فرحمه الله
رحمة واسعة .

على^(١) بن الحسين بن علي بن

أبي طالب رضي الله عنه

أمه أم ولد اسمها غزالة ، وهو علي الأصغر . وأما الأكبر فإنه قُتل مع الحسين رضي الله عنه ، وكان علي هذا مع أبيه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة إلا أنه كان مريضاً نائماً على فراش فلم يُقتل : وكان يكنى أبا الحسين ، وقيل أبا محمد .

عن عبد الرحمن بن حفص القرشي قال : كان علي بن الحسين إذا توضأ يصفرُ فيقول له أهله : ما هذا الذي يعتادك عن الوضوء ؟ فيقول : تدرون بين يدي من أريد أن أقوم ؟ .

وعن عبد الله بن أبي سليم قال : كان علي بن الحسين إذا مشى لا تجاوز يدهُ فخذه . ولا يخطر بيده ، وكان إذا قام إلى الصلاة أخذته رِعه ، فقليل له : مالك ؟ فقال : ما تدرون بين يدي من أقوم ومن أناجي ؟ .

وعن أبي نوح الأنصاري قال : وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين ، وهو ساجد ، فجعلوا يقولون له : يا ابن رسول الله النار ، يا ابن رسول الله النار ، فما رفع رأسه حتى أطفئت . فقليل له : ما الذي أهلك عنها ؟ قال : ألتهنتي عنها النار الأخرى .

وعن سفيان قال : جاء رجل إلى علي بن الحسين رضي الله عنه فقال له : إن

(١) وهو الملقب بزين العابدين « فتح الباري » ١٤ / ٤١٢ .

فلاناً قد آذاك ووقع فيك . قال : فانطلق بنا إليه فانطلق معه وهو يرى أنه سيتنصر لنفسه فلما أتاه قال : يا هذا إن كان ما قلت في حقاً فغفر الله لي ، وإن كان ما قلت في باطلاً فغفر الله لك .

وعن أبي يعقوب المدني قال : كان بين حسن بن حسن وبين علي بن الحسين بعض الأمور ، فجاء حسن بن حسن إلى علي بن الحسين وهو مع أصحابه في المسجد ، فما ترك شيئاً إلا قاله له . قال : وعلى ساكت . فانصرف حسن فلما كان في الليل أتاه في منزله فقرع عليه بابه فخرج إليه فقال له علي : يا أخي إن كنت صادقاً فيما قلت لي فغفر الله لي ، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك ، السلام عليكم ، وولّى . قال : فأتبعه حسن فالتزمه من خلفه وبكى حتى رثى له ثم قال : لا جرم لا عدت في أمرٍ تكرهه . فقال علي : وأنت في حلٍّ مما قلت لي .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال علي بن الحسين : فقدُ الأحبةَ غربةً ، وكان يقول : اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لوامع العيون علانيتي وتقبح سريرتي ، اللهم كما أسأتُ وأحسنْتُ إليَّ فإذا عدتُ فعد علي .

وعنه ، عن أبيه أن علي بن الحسين كان لا يحب أن يُعينه أحدٌ على طهوره وكان يستقي الماء لظهوره ويخمره قبل أن ينام . فإذا قام من الليل بدأ بالسَّواك ثم يتوضأ ثم يأخذ في صلاته وكان يقضى ما فاتته من صلاة النهار بالليل ثم يقول : يا بني ليس هذا عليكم بواجبٍ ولكن أحب لمن عود نفسه منكم عادةً من الخير أن يدوم عليها .

وكان لا يدعُ صلاة الليل في الحضر والسفر . وكان يقول : عجبت

للمتكبر الفخور الذى كان بالأمس نُطفةً ثم هو غداً جيفةً ، وعجبت كلُّ العجب لمن شكَّ فى الله وهو يرى خلقه ، وعجبت كلُّ العجب لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى ، وعجبت كلُّ العجب لمن عمل لدارِ الفناء وترك دار البقاء .

وكان إذا أتاه السائل رحب به وقال مرحباً بمن يحمل زادى إلى الآخرة ، وكلّمه رجل فافتى عليه فقال : إن كنّا كما قلت فنستغفر الله ، وإن لم نكن كما قلت فغفر الله لك . فقام إليه الرجل فقبل رأسه وقال : جعلت فداك ، ليس كما قلت أنا فاغفر لى قال : غفر الله لك . فقال الرجل : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

وعن شيبه بن نعامه قال : كان على بن الحسين يبخل فلما مات وجدوه يَقيّوت مائة أهل بيت بالمدينة .

وعن محمد بن إسحاق قال : كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم . فلما مات على بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به بالليل .
وعن أبى حمزة الثمالى قال : كان على بن الحسين يحمل جراب الخبز ^(١) على ظهره بالليل فيتصدّق به ، ويقول : إن صدقة السرّ تطفئ غضب الرب عز وجل .

وعن عمرو بن ثابت قال : لما مات على بن الحسين فغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثار سود فى ظهره ، فقالوا : ما هذا ؟ فقالوا : كان يحمل جرب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة .

(١) الجراب : وعاء من حليه .

وعن ابن عائشة قال : قال أبي : سمعت أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السر حتى مات على بن الحسين .

وعن سفيان قال : أراد على بن الحسين الخروج في حج أو عمرة فاتخذت له سَكِينَةَ بنت الحسين سَفْرَةَ أنفقت عليها ألف درهم أو نحو ذلك ، وأرسلت بها إليه فلما كان بظهره الحَرَّة أمر بها فقسّمت على المساكين .

وعن سعيد بن مرجانة أنه قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : [من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب ^(١) منها إرباً منه من النار ، حتى إنه يعتق باليد اليد ، وبالرجل الرجل ، وبالفرج الفرج] فقال على بن الحسين : أنت سمعت هذا من أبي هريرة ؟ قال سعيد : نعم فقال لغلام له أفره غلماناه : ادع مطرفاً . فلما قام بين يديه قال : اذهب فأنت حر لوجه الله عز وجل ^(٢) .

وكان عبد الله بن جعفر قد أعطى على بن الحسين بهذا الغلام الذي أعتقه ألف دينار .

وعن محمد بن حاطب عن على بن الحسين أنه أتاه نفر من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ، فلما فرغوا قال :

ألا تخبروني : أنتم المهاجرون الأولون ﴿ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (٨) ؟ قالوا : لا . قال فأنتم ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾ (٣)

(١) الإرب : العضو .

(٢) الحديث صحيح أخرجه البخارى فى كتاب العتق وفى الكفارات ، وأخرجه مسلم فى كتاب العتق والترمذى فى كتاب النذور برقم ١٤٥١ كلهم بلفظ يقارب هذا اللفظ ، وأخرجه الإمام أحمد فى المسند باللفظ الذى ذكره المصنف ، وغلام فاره : نشيط خفيف .

(٣) سورة الحشر الآية « ٨ » .

مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴿١﴾ ؟ قَالُوا : لَا . قال : أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين . ثم قال : أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (٢) اخرجوا فعل الله بكم .

وقال نافع بن جبير لعلى بن الحسين : أنت سيد الناس وأفضلهم تذهب إلى هذا العبد فتجلس معه ؟ يعنى زين بن أسلم . فقال : إنه ينبغي للعلم أن يتبع حيثما كان .

وعن ابن عائشة ، عن أبيه قال : حجَّ هشام بن عبد الملك قبل أن يلى الخلافة فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه . قال : وجاء على بن الحسين فوقف له الناس وتنحَّوا حتى استلم . فقال الناس لهشام : من هذا ؟ قال : لا أعرفه .

فقال الفرزدق : لكنى أعرفه ، هذا على بن الحسين .

وعن صالح بن حسان قال : قال رجل لسعيد بن المسيب : ما رأيتُ أحداً أروع من فلان . قال : هل رأيت على بن الحسين ، قال : لا . قال : ما رأيت أحداً أروع منه .

وقال الزُّهرى : لم أرَ هاشمياً أفضل من على بن الحسين ، وما رأيت أحداً

(١) سورة الحشر الآية ٩ .

(٢) سورة الحشر الآية ١٠ .

كان أفقه منه .

وعن طاووس قال : رأيت علي بن الحسين ساجداً في الحجر فقلت : رجل صالح من أهل بيت طيب ، لأسمعن ما يقول : فأصغيت إليه فسمعتة يقول : عبيدك بفنائك ، مسكينك بفنائك ، سائلك بفنائك ، فقيرك بفنائك ، فوالله ما دعوت الله بها في كرب إلا كشف الله عني .

وعن أبي جعفر قال : كان علي بن الحسين رحمه الله يصلي في كل يوم ليلة ألف ركعة وتهيج الريح فيسقط مغشياً عليه .

وعن عبد الغفار بن القاسم قال : كان علي بن الحسين خارجاً من المسجد فلقيه رجل فسبه فثارت إليه العبيد والموالي فقال علي بن الحسين : مهلاً عن الرجل : ثم أقبل علي الرجل فقال : ما ستر عنك من أمرنا أكثر . ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحيا الرجل . فألقى عليه خميصة ^(١) كانت عليه ، وأمر له بألف درهم فكان الرجل بعد ذلك يقول : أشهد أنك من أولاد الرسول .

وعن رجل من ولد عمار بن ياسر قال : كان عند علي بن الحسين قوم فاستعجل خادماً له بشواء كان له في التنور . فأقبل به الخادم مسرعاً وسقط السّفود من يده على بُني لعلّى أسفل الدّرجة فأصاب رأسه فقتله فقال علي للغلام : أنت حرّ ، لم تعمده ^(٢) وأخذ في جهاز ابنه .

وعن عمرو بن دينار قال : دخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة ابن زيد في مرضه فجعل محمد يبكي فقال علي : ما شأنك ؟ قال : علي دين

(١) الخميصة : كساء أسود مربع له علمان .

(٢) عمدته : ضربه بالعمود ، أو ضرب العمود بطنه .

قال : كم هو ؟ قال : خمسة عشر ألف دينار . قال : فهو علي .
وعن أبي جعفر محمد بن علي قال : أوصاني أبي قال : لا تصحبنَّ
خمسَةً ولا تحادثهم ولا تراققهم في طريق . قال : قلت : جعلت فداك يا أبت
من هؤلاء الخمسة ؟ قال : لا تصحبنَّ فاسقاً فإنه يبيعك بأكلةٍ فما دونها .
قال : قلت : يا أبة وما دونها ؟ يطمع فيها ثم لا ينالها .
قال : قلت : يا أبة ومن الثاني ؟ قال : لا تصحبنَّ البخيل فإنه يقطع بك
في ماله أحوج ما كنت إليه .
قال : قلت : يا أبة ومن الثالث ؟ قال : لا تصحبنَّ كذاباً فإنه بمنزلة
السرَّاب يُعد منك القريب ويُقرَّب منك البعيد .
قال : قلت : يا أبة ومن الرابع ؟ قال : لا تصحبنَّ أحمق فإنه يريد أن
يتفعلك فيضرك .
قال : قلت : يا أبة ومن الخامس ؟ قال : لا تصحبنَّ قاطعَ رحمٍ فإنني
وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع ^(١) .
وتوفي بالمدينة سنة أربع وتسعين ، وقيل ثنتين وتسعين ، ودفن بالبقيع وهو
ابن ثمان وخمسين سنة رحمته الله .

(١) هي : في سورة الرعد « الآية ٢٥ » وفي سورة محمد الآيتان « ٢٢ - ٢٣ » وفي سورة البقرة الآية « ٢٧ » ولكنه في الأخيرة وصف قاطعي الرحم بأنهم خاسرون ولم يصرح بلفظ اللعن في الآية .

عتبة الغلام وهو عتبة بن أبان بن صمعة

وإنما سمي بالغلام لجده واجتهاده لا لصغر سنه وكان يفتل الشريط ^(١) .
 عن سوار أبو عبيدة قال : بكى عتبة الغلام في مجلس عبد الواحد بن زيد
 تسع سنين لا يفتربكاء من حين يبتدئ عبد الواحد في الموعظة إلى أن يقوم
 لا يكاد يسكت عتبة . فقيل لعبد الواحد إنا لا نفهم كلامك من بكاء عتبة .
 قال : فأصنع ماذا ؟ يكي عتبة على نفسه وأنها أنا ، لبئس واعظ قوم أنا .
 وعن أبو توبة قال : كان عتبة الغلام يأكل خبزاً وملحاً ويقول : العرس في
 الدار الأخرى .

وعن عبد الله بن الفرّج العابد قال : كان عتبة يعجن دقيقه ويجفّفه في
 الشمس ثم يأكله ويقول : كِسْرَة ومِلْح حتى نهأ في الدار الأخرى الشواء
 والطعام الطيب .

عن مخلد بن الحسين قال : كان عتبة يجالسنا فقال لنا يوماً : إنه لا
 يعجبني رجل لا يكون في يده حرفة . فقلنا : ما نراك تحترف . فقال : بلي
 رأس مالي طسّوج ^(٢) أشتري به خوصاً أعمله وأبيعه بثلاثة طساسيج فطسّوج
 رأس مالي وقيراط ^(٣) خبزي .

وعن أبو عمر الضرير قال : سمعت رياحاً القيسي يقول : قال لي عتبة :

(١) هذه صنعتته ، والشريط : خوص مفتول يربط ويشد به السرير ونحوه .

(٢) الطسّوج : ربع الدائق .

(٣) الطسّوج بوزن الفروج ، حبتان ، والدائق أربعة طساسيج وهما معربان .

يا رياح إن كنتُ كلما دَعَتْنِي نفسي إلى الكلام تكَلَّمْتُ فبئس الناظر لها أنا .
يارياح إن لي موقفاً تغتبط فيه بطول الصمت عن الفضول .

عن مسلمة بن عرفة العنبري قال : سمعت عنبة الخواص يقول : كان
عتبة الغلام يزورني فربما بات عندي . قال : ذات ليلة فبكى من السحر بكاءً
شديداً فلما أصبح قلت له : قد فزعت قلبي الليلة بيكائك ، فممّ ذاك
يأخى ؟ قال : يا عنبة إني والله ذكرت يوم العرض على الله .

وعن داود بن المحبر قال : سمعت عبد الواحد بن زيد يقول : ربما سهرت
مفكراً في طول حزن عتبة ، وقد كلمته ليرفق بنفسه فبكى وقال : إنما أبكى
على تقصيري .

وعن الخليل بن عمرو البكري قال : سمعت مهدي بن ميمون يقول :
خرجت في بعض الليالي إلى الجبان فإذا عتبة الغلام ، فقال لي جئت ؟ قد
دعوت الله أن يجيء بك . قلت : أطعمنا رطباً . قال : فدعا فإذا دَوْخَلَةٌ^(١)
رُطَبٍ بين أيدينا فأكلنا منه .

وعن زيدان قال : قال عتبة الغلام : كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعمت
بها عشرين سنة .

وعن عبد الله بن مبشر قال : دعا عتبة الغلام ربه أن يهب له ثلاث خصال
في دار الدنيا : دعا الله أن يمن عليه بصوت حزين ، ودمع غزير ، وغذاء من
غير تكلف .

(١) الدوخلة « بفتح الدال والخاء وتشديد اللام ، وتخفيف اللام » : وعاء من خوص يوضع فيه الرطب
أى التمر .

قال : فكان إذا قرأ بكى وأبكى ، وكانت دموعه جارية دهره ، وكان يأوى إلى منزله فيصيب قوته لا يدري من أين يأتيه .

وعن الحسن بن دعامة قال : رأيت عتبة الغلام إذا استحسّن الطير دعاه فيجىء حتى يسقط على فخذيه فيمسّه ثم يسيّبه فيطير ^(١) .

عن عبد الواحد بن زيد قال : انطلقت أنا وعتبة الغلام فى حاجة حتى إذا كنا برحبة القاصبين جعلت أنظر إلى عتبة يعرق عرقاً شديداً حتى رشح وذلك فى يوم شات شديد البرد « فقلت : عتبة ترشح عرقاً فى مثل هذا اليوم الشديد البرد ؟ » فسكت ولم يخبرنى فقلت : الذى بينى وبينك ، ولم أزل به ، فقال : ذكرت ذنباً أذنبته فى هذا الموضع .

وعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدى قال : سألت يوسف بن عطية فقلت له : ما كان لباس عتبة ؟ قال : كان يلبس كساءين يأتزر بواحد ويرتدى بآخر ، وإذا رأيته قلت بعض الأكرة ^(٢) .

قال إبراهيم : كان عتبة عربياً شريفاً من عوذ .

قال إبراهيم : وحدثنى مضر قال : قال رجل لعبد الواحد بن زيد ، تعلم أحداً يمشى فى الطريق مشتغلاً بنفسه ؟ قال : ما أعرف إلا رجلاً واحداً الساعة يدخل عليكم . فدخل عتبة قال : وطريقه على السوق فقال له : يا عتبة من تلقاك فى الطريق ؟ قال : ما رأيت أحداً .

قال عبد الواحد : وكان عتبة يسجد السجدة الطويلة على الحصى يوم

(١) سيبه « بشديد الباء » تركه يسبب ويذهب .

(٢) جمع أكار ، وهو الحراث .

الجمعة فما أراه يعقل بحرّه (١) .

وعن أحمد بن زهير المروزي قال : ركب عتبة في زورق مع قوم فأراد الملاح أن يعدل ببعضهم السفينة فلم يجد أحداً منهم أحقر في عينيه من عتبة . فضرب جنبه فقال : استَوْ فقال عتبة : الحمد لله الذي لم يره فيهم أحقر في عينه مني .

وعن أبو عبد الله الشحام قال : كان عتبة يبيت عندي . فقلت له : ما كانت عبادته ؟ قال : كان يستقبل القبلة فلا يزال في فكر وبكاء حتى يصبح ، وربما جاءني مساءً فيقول : أخرجْ إلى شربة من ماء وتمرات أفطر عليها فيكون لك مثل أجرى .

اشتغل عتبة بالعبادة عن الرواية، وقتل شهيداً في بعض الغزوات .

وعن قدامة بن أيوب - وكان من أصحاب عتبة - قال : رأيت عتبة الغلام في المنام فقلت : ما صنع الله بك ؟ قال : يا قدامة دخلت الجنة بتلك الدعوات المكتوبة في بيتك ، فلما أصبحت أتيت إلى بيتي فإذا خطّ عتبة في الحائط مكتوب : يا هادي المضلّين وراحم المذنبين ومُقيل عثرات العائرين ، ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلّهم أجمعين ، واجعلنا مع الأحياء المرزوقين ، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدّقين والشهداء والصالحين آمين ربّ العالمين .

(١) كأنه لا يشعر بحر الحصار لاستفراقه في السجود .

شميط بن عجلان

أبو عبد الله ، ويقال أبو همام عن سيار قال : أنبأ عبيد الله بن شميّط قال : سمعت أبي يقول : بادروا بالصحة السقم وبالفراغ الشغل ، وبادروا بالحياة الموت . وسمعتة يقول : بئس العبد عبد خلق للعاقبة فصدته العاجلة عن العاقبة فزالت عنه العاجلة وشقى فى العاقبة وسمعتة يقول : أعطيت ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك ؟ لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع ، كيف يعمل للآخرة من لا تنقضى من الدنيا شهوته ؟ العجب العجب كل العجب لمصدق بدار الحق وهو يسعى لدار الغرور .

وسمعتة يقول : إن الله عز وجل جعل قوة المؤمن فى قلبه ولم يجعلها فى أعضائه . ألا ترون أن الشيخ يكون ضعيفاً يصوم الهواجر ويقوم الليل والشاب يعجز عن ذلك .

وسمعتة يقول : يعمد أحدهم فيقرأ القرآن ويطلب العلم حتى إذا علمه أخذ الدنيا فضمها إلى صدره وحملها على رأسه فنظر إليه ثلاثة ضعفاء : امرأة ضعيفة وأعرابى جاهل وأعجمى ، فقالوا : هذا أعلم بالله منا لو ير فى الدنيا ذخيرة ما فعل هذا . فرغبوا فى الدنيا وجمعوها .

وسمعتة يقول : من رضى بالفسق فهو من أهله ، ومن رضى أن يعصى الله عز وجل لم يرفع له عمل .

أبو معاوية الغلابى قال : حدثنى رجل قال : قالت امرأة شميّط : يا أبا همام إنا نعمل الشئ فيبرد فنشتهى أن تأكل منه معنا فلا تجئ حتى يفسد ويبرد

فقال : والله إن أبغض ساعاتى إلى الساعة التى أكل فيها .

عن جعفر قال : سمعت شميظاً يقول : رأس مال المؤمن دينه حيثما زال معه لا يخلفه فى الرجال ولا يأمن عليه الرجال .

وعن جعفر بن سليمان قال : سمعت شميظاً يقول : من جعل الموت نصبَ عينيه لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها .

وعن إبراهيم بن عبد الملك قال : قال شميظ بن عجلان : إن الله عز وجل وسمَ الدين بالوحشة ليكون أنسُ المطيعين به .

وعن عبيد الله بن شميظ بن عجلان ، عن أبيه أنه كان يقول فى موعظة : إذا أصبحت آمناً فى سِرِّكَ ^(١) معافاً فى بدنك ، عندك قوتُ يومك فعلى الدنيا العفاء وعلى من يحزن عليها ، إن المؤمن يقول لنفسه : إنما هى ثلاثة أيام فقد مضى أمس بما فيه وغداً أمل ، لعلك لا تدركيه ، إنما هو يومك هذا فإن كنت من أهل غدٍ فسيجئ ربّ غدٍ برزق غدٍ إن دون غدٍ يوماً وليلة تُخترم ^(٢) فيه أنفس كثيرة فلعلك المخترم فيه .

كفى كل يوم همه ثم حملت على قلبك الضعيف هم السنين والدّور والأزمة وهم الغلاء والرخص وهم الشتاء قبل أن يجيئ وهم الصيف قبل أن يجيئ ، فماذا أبقيت من قلبك الضعيف للآخرة ؟ ما تطلب الجنة بهذا . متى تهرب من النار ؟ كل يوم ينقص من أجلك ثم لا تحزن ، أعطيت ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك ، لا بقليل تقنع ولا من كثير تشبع ، فكيف لا يستبين للعالم جهله ، وقد عجز عن شكر ما هو فيه ، وهو مفتنٌ فى طلب الزيادة ؟ أم

(١) السِّرْب « بكسر السين وسكون الراء » : النفس يقال فلان آمن فى سربه أى فى نفسه .

(٢) تخترم : أى تموت فيها أنفس كثيرة .

كيف يعمل للآخرة من لا تنقضى من الدنيا شهوته ولا تنقطع عنها رغبته ؟
فالعجب كل العجب لمن صدق بدار الحيوان كيف يسعى لدار الغرور .

وكان يقول : إن أولياء الله آثروا رضا ربهم تعالى على هوى أنفسهم ،
فأرغموا أنفسهم كثيراً في رضا ربهم فأفلحوا والله وأنجحوا ، وإن المنافق عبد
هواه وعبد بطنه وعبد فرجه وعبد جلده ، عبد الدنيا وعبد أهل الدنيا .

وكان يقول : الناس رجالان ، فمتزود من الدنيا ومتنعم فيها فانظر أى
الرجلين أنت ؟ إنى أراك تحب طول البقاء فى الدنيا فلأى شئ تحبه ؟ أن
تطيع ^(١) الله عز وجل وتحسن عبادته وتتقرب إليه بالأعمال الصالحة ؟ فطوبى
لك . أم لتأكل وتشرب وتلهو وتلعب وتجمع الدنيا وتثمرها وتنعم وزوجتك
وولدك ؟ فلبئس ما أردت له البقاء .

وكان يقول إذا وصف المؤمنين : أتاهم عن الله تبارك وتعالى أمر وقذهم ^(٢)
عن الباطل فأسهروا الأعين وأجاعوا البطون وأظمأوا الأكباد وأنفقوا الأموال
واهتضموا التالد والطارف ^(٣) فى طلب ما يقربهم إلى الله عز وجل وفى طلب
النجاة مما خوفهم به .

وكان يقول : إن المؤمن اتخذ كتاب الله عز وجل مرآة ، فمرة ينظر إلى
مانعت الله عز وجل به المؤمنين ، ومرة ينظر إلى ما نعت الله عز وجل به المغترين ،
ومرة ينظر إلى الجنة وما وعد الله عز وجل فيها ، ومرة ينظر إلى النار وما أعد الله
عز وجل فيها . تلقاه حزينا كالسهم المرمى به شوقاً إلى ما شوقه الله عز وجل

(١) أى لأن تطيع .

(٢) صرفهم بشدة .

(٣) الطارف والطريف من المال : المستحدث وهو ضد التالد والـ

إليه وهرباً مما خوّفه الله عز وجل منه .

وكان يقول : بلغنا أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود ألا ترى إلى المنافق كيف يخدعني وأنا أخدعه ؟ يسبّحني ويوقّر بلسانه وقلبه منى بعيد ، ياد داود قل للملأ من بنى إسرائيل لا يدعوني والخطايا في أضبانهم ^(١) ليضعوها ثم ليدعوني أستجب لهم .

وكان يقول : اللهم اجعل القليل من الدنيا يكفيني كما يكفى الكثير أهله . اللهم ارفع رغبتنا إليك واقطع رجاءنا ممن سواك . اللهم اجعل طاعتك ألذّ عندنا من الطعام عند الجوع ، ومن الشراب عند الظمأ ، اللهم اجعل غفلة الناس لنا ذكراً ومرح الناس لنا شكراً ، اللهم إذا تنعم المتنعمون بالدنيا فاجعلنا نتنعم بذكرك .

وكان يقول : بالدراهم والدنانير أزمة المنافقين تقودهم إلى السّوءات .
وكان يقول : تلقى أحدهم عنده فضول ^(٢) يغلق بابه دون جاره وذوى رحمه ، ثم يخرج على القوم يحدثهم بما أكل وشرب ولعل جاره الفقير وذا رحمه المحتاج يكون فى القوم يسمع ما يقول : ويحك ما كفاك أن أغلقت بابك دونه فلم تؤاسه ولم تذكره حتى قعدت فأخبرته بما أكلت وشربت ؟ فإذا أنت قد جمعت إساءة بعد إساءة .

وكان يقول : إن المؤمن أبصر الدنيا فأنزلها منزلتها فإن هى أقبلت عليه قال : لا مرحباً ولا أهلاً والله ما أراك جئت بخير وما فيك من خير إلا أن تطلب بك الجنة ، ويتفدى بك من النار ، فإن هى أدبرت عنه قال : عليك العفاء

(١) مفرداً : ضبن « بكسر الضاء وسكون الباء » وهو ما بين الكشح والإبط .

(٢) ما يزيد على حاجته من الطعام والشراب .

وعلى من يتبعك . والحمد لله الذى خار لى وصرف عنى فتنك وشغلك .

وكان يقول : إذا وصف أهل الدنيا : حيارى سكارى فارسهم يركض ركضاً وراجلهم يسمى سعيّاً ، لا غنيهم يشبع ولا فقيرهم يقنع .

وكان يقول : إذا وصف المُقبل على الدنيا : دائبُ البطنة قليل الفطنة إنما همه بطنه وفرجه وجلده ، متى أصبح فأكل وأشرب وألهو وألعب متى أمسى فأنام ، جيفة بالليل بطل بالنهار ويحك ألهذا خلقت ؟ أم بهذا أُمّرت ؟ أم بهذا تطلب الجنة وتهرب من النار ؟ .

وكان يقول : إن العافية سترت البرّ والفاجر ، فإذا جاءت البلى استبان عندها الرجلان ، فجاءت البلى إلى المؤمن فأذهبت ماله وخادمه ودابته حتى جاع بعد الشبع ومشى بعد الركوب وخدم نفسه بعد أن كان مخدوماً فصبر ، ورضى بقضاء الله عزّ وجل ، وقال : هذا نظرٌ من الله عزّ وجل لى ، هذا أهون لحسابى غداً ، وجاءت البلى إلى الفاجر فأذهبت ماله وخادمه ودابته فجزع وهلع وقال : والله مالى بهذا طاقة ، والله لقد دعوت نفسى عادة مالى عنها صبر من الحلو والحامض والحر والبارد ولين العيش . فإن هو أصابه من الحلال وإلا طلبه من الحرام والظلم ليعود إليه ذلك العيش .

وكان يقول : إنسانان معذبَان فى الدنيا : غنى أعطى دنيا فهو بها مشغول ، وفقير زُويت^(١) عنه فهو يتبعها نفسه فنفسه تقطع عليها حسرات .

وكان يقول : الناس ثلاثة : فرجل ابتكر الخير فى حداثة سنّه ثم داوم عليه

(١) زوى الشيء بزويه زياً : جمعه وقبضه ، وفى الحديث « زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغاربها » .

حتى خرج من الدنيا . فهذا المقرب . ورجل ابتكر عُمره بالذنوب ^(١) وطول الغفلة ثم راجع توبة ، فهذا صاحب يمين ، ورجل ابتكر الشر في حداثة سنّه ثم لم يزل فيه حتى خرج من الدنيا ، فهذا صاحب الشمال .

وعن أبو عمر الضير قال : أنبأنا عبيد الله بن شميظ قال : سمعت أبي يقول : أيها المغتر بطول صحته أما رأيت ميتاً قط من غير سقم ؟ أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذاً قط من غير عذّة ، أبالصحة تغترون ؟ أم بطول العافية تمرحون ؟ أم بالموت تأمنون ؟ أم على مالك تجترئون ؟ إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه ثروة مالك ولا كثرة احتشادك . أما علمت أن ساعة الموت ذات كربٍ شديد وغُصَصٍ وندامة على التفريط ؟ ثم يقول : رحم الله عبداً عمل لساعة الموت ، رحم الله عبداً عَمِلَ لما بعد الموت ، رحم الله عبداً نظر لنفسه قبل نزول الموت .

(١) أى ارتكب الذنوب في باكورة حياته وريعائها .

حبيب أبو محمد الفارسي

كان مجاب الدعوة حضر مجلس الحسن فتأثر بموعظته فخرج عما كان يملك .

يونس بن محمد قال : سمعت مشيخةً يقولون : وكان الحسن يجلس في مجلسه الذي يذكر فيه في كل يوم ، وكان حبيب أبو محمد يجلس في مجلسه الذي يأتيه فيه أهل النار والتجار وهو غافل عما فيه الحسن لا يلتفت إلى شيء من مقالاته . إلى أن التفت إليه يوماً فذكره الحسن بالجنة وخوفه من النار فانصرف من عنده فلم يزل في تبديد ماله حتى لم يبق له شيء ثم جعل بعدُ يستقرض على الله .

قال يونس : وجاء رجل إلى أبي محمد فشكا إليه ديناً عليه فقال : اذهب فاستقرض وأنا أضمن . فأتى رجلاً فأقرضه خمس مائة درهم وضمنها أبو محمد . ثم جاء الرجل فقال : يا أبا محمد دراهمي ، فقد أضربني حبسها . فقال : نعم غداً . فتوضأ أبو محمد ودخل المسجد ودعا الله تعالى . وجاء الرجل فقال له : اذهب فإن وجدت في المسجد شيئاً فخذ . فذهب فإذا في المسجد صُرَّة فيها خمس مائة درهم فذهب فوجدها تزيد على خمس مائة فرجع إليه فقال : يا أبا محمد تلك الدراهم تزيد . فقال : اذهب فهي لك ، من وزنها وزنها راجحة .

وعن جعفر بن سليمان : قال سمعت حبيباً يقول : أنا سائل وقد عجت عمرة وذهبت تجيء بنارٍ تخبزه فقلت للسائل : خذ العجين فاحتمله . فجاءت عمرة فقالت : أين العجين ؟ فقلت : ذهبوا به يخبزونه . قال : فلما أكثرت

على أخبرتها فقالت : سبحان الله لا بد لنا من شيء نأكله قال : فإذا رجل قد جاء بجفنة عظيمة مملوءة خبزاً ولحماً . فقالت عمرة : ما أسرع ما ردّوه عليك قد خبزوه وجعلوا معه لحماً .

وعن جعفر قال : كان حبيب أبو محمد رقيقاً من أكثر الناس بكاءً فبكى ذات ليلة كثيراً فقالت عمرة بالفارسية : لم تبكى يا أبا محمد ؟ فقال لها حبيب : دعيني فإنني أريد أن أسلك طريقاً لم أسلكه قبل .

وعنه قال : وسمعت حبيباً يقول : والله إن الشيطان ليلعب بالقرءاء كما يلعب الصبيان بالجوز . ولو أن الله دعاني يوم القيامة فقال : يا حبيب فقلت : لبيك ، فقال : جئني بصلاة يوم أو صوم يوم أو ركعة أو سجدة أو تسبيحة اتقيت عليها من إبليس أن يكون طعن فيها طعنة فأفسدها ، ما استطعت . وسمعت حبيباً يقول : لا تقعدوا فراغاً فإن الموت يليكم .

وعن جميل أبو على قال : قال حبيب : إن من سعادة المرء إذا مات ماتت معه ذنوبه .

وعن خلف بن الوليد قال اشترى حبيب الفارسي نفسه من ربه أربع مرات بأربعين ألف درهم . أخرج بدرة ^(١) فقال : يارب اشتريت منك نفسي بهذه ثم أخرج بدرة أخرى فقال : إلهي إن كنت قبلت تلك فهذه شكر لها ، ثم أخرج الثالثة فقال إلهي : إن كنت لم تقبل الأولى والثانية فأقبل هذه . ثم أخرج الرابعة فقال : إلهي إن كنت قبلت الثالثة فهذه شكر لها .

(١) البدره : كيس يتسع لعشرة آلاف درهم .

وعن أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت أبا سليمان الداراني يقول :
كان حبيب أبو محمد يأخذ متاعاً من التجار يتصدق به فأخذ مرة فلم يجد شيئاً
يعطيهم فقال : يارب كأنه . أي ينكسر وجهي « عندهم » فدخل فإذا هو
بجوالق^(١) من شعر كأنه نُصب من أرض البيت إلى قريب السقف مملوءاً
دراهم فقال : يارب ليس . أريد هذا ، فأخذ حاجته وترك البقية .

وعن مسلم بن إبراهيم قال : إن رجلاً أتى حبيباً أبا محمد فقال : إن لي
عليك ثلاثة مائة درهم قال : من أين ؟ قال : لي عليك ثلاث مائة درهم . قال
حبيب : اذهب إلى غد . فلما كان من الليل توضأ وصلى وقال : اللهم إن
كان صادقاً فأدِّ إليه وإن كان كاذباً فابتله في بدنه . قال : فجيء بالرجل من
غد قد حمل وقد ضرب شقه الفالج . فقال : ما لك ؟ قال : أنا الذي جئتك
بالأمس لم يكن لي عليك شيء وإنما قلت يستحي من الناس فيعطيني . فقال
له : تعود ؟ قال : اللهم إن كان صادقاً فألبسه العافية . فقام الرجل على
الأرض كأن لم يكن به شيء .

عن السري بن يحيى قال : اشترى أبو محمد حبيب طعاماً في مجاعة
أصاب الناس فقسمه على المساكين ثم خاط أكيسة فجعلها تحت فراشه ثم
دعا الله فجاء أصحاب الطعام يتقاضونه فاخرج تلك الأكيسة فإذا هي مملوءة
دراهم فوزنها فإذا هي حقوقهم فدفعها إليهم .

عن حماد قال : شهدت حبيباً الفارسي يوماً فجاءته امرأة فقالت يا أبا
محمد كأنها طلبت منه شيئاً . فقال لها : كم لك من العيال ؟ فقالت : كذا

(١) الجوالق : هو وعاء .

وكذا . فقام حبيب أبو محمد إلى وضوئه فتوضأ ثم جاء إلى مصلاه فصلى بخضوع وسكون فلما فرغ قال : يارب إن الناس يحسنون ظنهم بي وذاك من سترك على فلا تخلف ظنهم بي ، ثم رفع حصيره فإذا بخمسين درهماً فأعطاه إياها . ثم قال : يا حماد اكتم ما رأيت حياتي ^(١) .

وعن عبد الواحد بن زيد قال : كنا عند مالك بن دينار ومعنا محمد بن واسع وحبيب أبو محمد . فجاء رجل فكلّم مالكا فأغلظ في قسمة قسمها وقال : وضعتها في غير حقها وتتبع بها أهل مجلسك ومن يغشاك لتكثر غاشيتك ^(٢) وتصرف وجوه الناس إليك . قال : فبكى مالك وقال : والله ما أردت هذا . قال : بلى والله لقد أردت هذا . فجعل مالك يبكي والرجل يغلظ له . فلما كثر ذلك عليهم رفع حبيب يديه إلى السماء ثم قال : اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه كيف شئت . قال : فسقط ، والله ، الرجل على وجهه ميتاً فحمل إلى أهله على سرير ، وكان يقال : إن أبا محمد مستجاب الدعوة .

وعن أبو قرة محمد بن ثابت قال : قال حبيب أبو محمد . لا قرّة عين لمن لم تقرّ عينه ، ولا فرح لمن لم يفرح بك . وعزتك إنك لتعلم أني أحبك .
وعن عبيد الله بن محمد التيمي قال : أصحابنا قالوا : كان حبيب أبو محمد يخلوا في بيته ويقول : من لم تقرّ عينه بك فلا قرّت ، ومن لم يأنس بلا فلا أنس .

(١) أي ما دمت حياً ، مدة حياتي .

(٢) من يلتف حوله من الناس ويغشونه ، أي لتكثر الناس حولك .

وعن إسماعيل بن زكريا ، وكان جاراً لحبيب أبي محمد ، قال : كنت إذا أمسيت سمعت بكاءه ، وإذا أصبحت سمعت بكاءه . فأتيت أهله فقلت : ما شأنه ؟ يبكي إذا أمسى ويبكي إذا أصبح . قال : فقالت لي : يخاف - والله - إذا أمسى أن لا يصبح ، وإذا أصبح أن لا يمسي .

وعن أبو زكريا قال : قالت امرأة حبيب أبي محمد . كان يقول : إن مت اليوم فأرسل إلى فلان يغسلني وافعلي كذا واصنعي كذا . فقبل لامرأته أراى رؤيا ؟ قالت : هذا يقوله كل يوم .

عن عبد الواحد بن زيد أن حبيباً أبا محمد جزع جزعاً شديداً عند الموت فجعل يقول بالفارسية . أريد أن أسافر سفراً ما سافرت قط ، أريد أن أسلك طريقاً ما سلكته قط ، أريد أن أزور سيدى ومولاي وما رأيته قط ، أريد أن أشرف على أهوال ما شاهدت مثلها قط ، أريد أن أدخل تحت التراب فأبقى تحته إلى يوم القيامة ، ثم أوقف بين يدى الله فأخاف أن يقول لي : يا حبيب هات تسبيحة واحدة سبّحتني في ستين سنة لم يظفر بك الشيطان فيها بشئ ، فماذا أقول وليس لي حيلة أقول : يارب هو ذا قد أتيت مقبوض اليدين إلى عنقي .

قال عبد الواحد : هذا عبد الله ستين سنة مشغلاً به ولم يشتغل من الدنيا بشئ قط فأى شئ حالنا ؟ واغوثاه بالله .

محمد بن واسع بن جابر

يكنى أبا عبد الله شبابة قال : أخبرني موسى بن بشار قال : صحبت محمد بن واسع من مكة إلى البصرة فكان يصلى الليل أجمع ، يصلى في المحمل جالسا يومئ برأسه إيماءً وكان يأمر الحادى يكون خلفه ويرفع صوته حتى لا يفطن له وكان ربما عرس من الليل ^(١) فينزل فيصلّى فإذا أصبح أيقظ أصحابه .

وعن عبد الملك بن قريب قال : حدثني نسيب لهشام القردوسى قال : قال رجل : دخلنا على محمد بن واسع فقالت عُلجة فى داره فذكرت كلمات بالأعجمية معناها : هذا رجل إذا جاء الليل لو كان قتل أهل الدنيا ما زاد .

وعن عبد الواحد بن زيد قال : شهدت حوشباً جاء إلى مالك بن دينار ، فقال : يا أبا يحيى رأيت البارحة كأن منادياً يقول : يا أيها الناس ، الرحيل الرحيل . فما رأيت أحداً يرحل إلا محمد بن واسع . قال : فصاح مالك صيحة وخر مغشياً عليه .

قال مضر : كان الحسن يُسمّى محمدَ بن واسعَ زين ^(٢) القرآن .

وعن مخلد قال : كان محمد بن واسع مع قتيبة بن مسلم فى جيش ، وكان صاحب خراسان ، وكانت الترك خرجت إليهم فبعث إلى المسجد ينظر من فيه ؟ فقليل له ليس فيه إلا محمد بن واسع رافعاً إصبعه فقال قتيبة : إصبعه

(١) نزل ليستريح ، التعريس : نزول القوم فى السفر من آخر الليل يقفون للاستراحة ثم يرحلون .

(٢) الزين : ضد الشين .

تلك أحبّ إليّ من ثلاثين ألف عنان ^(١) .

وعن جعفر قال : كنت إذا وجدت من قلبي قسوة نظرت إلى وجه محمد بن واسع نظرة ، وكنت إذا رأيت وجه محمد بن واسع حسبت أن وجهه وجه ثكلي .

وعن عليّ بن بزيع الهلالي قال : قال مطر الوراق : ما اشتهيت أن أبكي قطّ حتى أشتفى إلا نظرت إلى وجه محمد بن واسع ، وكنت إذا نظرت إلى وجهه كأنه ثكل عشرة ^(٢) من الحزن .

عن ابن شوذب قال : كان إذا قيل : من أفضل أهل البصرة ؟ قالوا : محمد بن واسع ولم يكن يرى كثير عبادة وكان يلبس قميصاً بصرياً وساجاً وكان له علية فإذا كان الليل دخل ثم أغلقها عليها .

عن يونس قال : سمعت محمد بن واسع يقول : لو كان يوجد للذنوب ريح ما قدرتم أن تدنوا مني ، من نتن ريحي .

وعن الحارث بن نبهان قال : سمعت بن واسع يقول : واصحاباه ، ذهب أصحابي ، فقلت : يرحمك الله أليس قد نشأ شباب يصومون النهار ويقومون الليل ويجاهدون في سبيل الله عز وجل ؟ قال : بلى ولكن أخّ وتُفّل ، أفسدهم العُجب .

عن عبد العزيز بن أبي رواد قال : رأيت في يد محمد بن واسع قرحة فكأنه رأى ما شقّ عليّ منها فقال : تدري ما لله عليّ في هذه القرحة من نعمة ؟

(١) العنان : يعني الفرس .

(٢) أي فقد عشرة أولاد .

قال : فسكت . فقال : حيث لم يجعلها على حدقتي ولا طرف لساني ولا على طرف ذكري . قال : فهانت على قرحتي .

عن ابن شاذب قال : قسم أمير البصرة على أهل البصرة ، فبعث إلى مالك بن دينار فقبل ، وأتاه محمد بن واسع فقال : يا مالك قبلت جوائز السلطان قال : فقال : يا أبا بكر سل جلسائي فقالوا : يا أبا بكر اشترى بها رقاباً فأعتقهم ، فقال له محمد بن واسع : أنشدك الله أقلبك الساعة له على ما كان قبل أن يجيزك قال : اللهم لا . قال : ترى أى شيء دخل عليك ؟ فقال مالك لجلسائه ؟ إنما مالك حمار ، إنما يعبد الله مثل محمد بن واسع .

عن ليث بن أبي سليم عن محمد بن واسع قال : إذا أقبل العبد بقلبه إلى الله عز وجل أقبل الله عز وجل إليه بقلوب المؤمنين .

وعن سليمان التيمي : ما أحد أحب إلى أن ألقى الله عز وجل بمثل صحيفته إلا محمد بن واسع .

وعن حماد بن زيد قال : دخلنا على محمد بن واسع نعوده في مرضه فجاء يحيى البكاء يستأذن فقالوا : يحيى البكاء فقال : إن شر أيامكم يوم نسبتم إلى البكاء .

وعن عمران بن خالد قال : سمعت محمد بن واسع يقول : إن كان الرجل ليكي عشرين سنة وامرأته معه لا تعلم .

وعن إبراهيم بن الأشعث قال : سمعت الفضيل بن عياض قال : قال مالك بن دينار : إنى لأغبط الرجل يكون عيشة كفافاً فيقنع به ، فقال محمد بن واسع : أغبط والله عندي من ذلك أن يصبح جائعاً ويمسى جائعاً وهو عن الله عز وجل راضٍ .

وعن محمد بن عبد الله الزرّاد قال : رأى محمد بن واسع ابناً له وهو يخطر بيده فقال : ويحك تعال ، تدري من أنت ؟ أملك اشتريتها بمائتي درهم ، وأبوك فلا أكثر الله في المسلمين مثله تمشى هذه المشية ؟ .

وعن محمد بن مهزم قال : كان محمد بن واسع يصوم الدهر ويخفي ذلك . وعن حيان بن يسار قال : قال محمد بن واسع : اللهم إن كان أخلق وجهي كثرة ذنوبي فهبني لمن أحببت من خلقك .

وعن ابن سلام قال : قال محمد بن واسع : ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث : صاحب إذا اعوججت قومي ، وصلاة في جماعة يحمل عني سهوها وأفوز بفضلها ، وقوت من الدنيا ليس لأحد فيه منة ولا لله عز وجل فيه تبعه . وعن زياد بن الربيع ، عن أبيه قال : رأيت محمد بن واسع بسوق مرو^(١) يعرض حماراً له على البيع . فقال له رجل : أترضاه لي ؟ قال : لو رضيت لك لم أبعه .

وعن قاسم الخواص قال : قال محمد بن واسع لرجل : أبكاك قط سابق علم الله عز وجل فيك ؟ .

وعن أبو عامر قال : حدثني صاحب لنا قال : لما ثقل محمد بن واسع كثير الناس عليه في العبادة . قال : فدخلت فإذا قوم قيام وآخرون قعود . فأقبل عليّ فقال : أخبرني ما يغني هؤلاء عني إذا أخذ بناصيتي وقدمي غداً وألقيت في النار ؟ ثم تلا هذه الآية ﴿ يُعْرِفُ الْمَجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ (٤١) ﴿ (٢) .

(١) مروه : مدينة مشهورة في خراسان .

(٢) سورة الرحمن الآية « ٤١ » .

وعن يونس بن عبيد قال : دخلنا على محمد بن واسع نعوذه فقال :
ما يغنى عنى ما يقول الناس إذا أخذ بيدي ورجلى فألقيتُ فى النار ؟ .

عن حزم قال : قال محمد بن واسع وهو فى الموت : يا إخوانه تدرون أين
يذهب بى ؟ يذهب بى ، والله الذى لا إله إلا هو ، إلى النار أو يعفو عنى .

وعن محمد بن عبد الله ، مولى الشقيين ، قال : دخلنا على محمد بن
واسع وهو يقضى ، فقال : يا إخوانى ، يا إخوانه هبونى وإياكم سألنا الله الرجعة
فأعطاكموها ومنعنيها فلا تخسروا أنفسكم .

ثابت بن مسلم البناني

يكنى أبا محمد عن بكر بن عبد الله قال : من سرّه أن ينظر إلى أعبد رجل أدركناه في زمانه فلينظر إلى ثابت البناني ، فما أدركنا الذي هو أعبد منه ، تراه في يوم معمعاني بعيد ما بين الطرفين ^(١) يظلّ صائماً ويرواح ما بين جبينه وقدمه .

وعن عمرو بن محمد بن أبي رزين قال : قال ثابت البناني : كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة .

عن سلام بن مسكين قال : أنبأ ثابت قال : ما دعا الله عز وجلّ المؤمن بدعوة إلا وكلّ بحاجته جبرائيل عليه السلام فيقول : لا تعجل بإجابته فإنّي أحب أن أسمع صوت عبدى المؤمن ، وإن الفاجر يدعو الله عز وجلّ فيوكلّ جبرائيل بحاجته فيقول يا جبرائيل أعجل إجابة دعوته فإنّي أحب أن لا أسمع صوت عبدى الفاجر .

وعن جعفر قال : أنبأ ثابت البناني عن رجل من العباد أنه قال يوماً لإخوانه : إني لأعلم متى يذكرني ربّي عز وجلّ ؟ قال : ففزعوا من ذلك فقالوا : تعلم حين يذكرك ربك ؟ قال : نعم ، قالوا : متى ؟ قال : إذا ذكرته ذكرني . قال : وإني لأعلم حين يستجيب لي ربّي عز وجلّ . قال : فعجبوا من قوله . قالوا : تعلم حين يستجيب لك ربك ؟ قال : نعم . قالوا : وكيف تعلم ذلك ؟ قال : إذا وجلّ قلبي واقشعرّ جلدی وافاضت عيني وفتح لي في الدعاء فثمّ أعلم أن قد استجيب لي .

(١) شديد الحر والطول .

عن شعبة قال : كان ثابت البناني يقرأ القرآن في كل يوم وليلة يصوم الدهر .
وعن جعفر بن سليمان قال : حدثنا ثابت البناني قال : كان رجل من
العباد يقول : إذا أنا نمت ثم استيقظت ثم أردت أن أعود إلى النوم فلا أنام الله
عيني إذا . قال جعفر : كنا نراه يعني نفسه .

وعن حميد قال : كنا نأتى أنس بن مالك ومعنا ثابت ، فكلما مرّ بمسجد
صلّى فيه فكنا نأتى أنساً فيقول : أين ثابت ؟ أين ثابت ؟ إن ثابتاً دوبةً أحبها .
قال عبد الله : وحدثني أبي قال : بلغني أن أنساً قال لثابت : ما أشبه عينك
بعيني رسول الله ﷺ قال : فما زال ييكي حتى عمشت عيناه .

وعن جعفر بن سليمان قال : اشتكى ثابت البناني عينه فقال له الطبيب :
اضمن لى خصلةً تبرأ عينك وما هي ؟ قال : لا تبك قال : وما خير في عين
لا تبكي ؟ .

عن حماد بن زيد قال : رأيت ثابتاً البناني ييكي حتى تختلف أضلاعه .
عن هشام قال : ما رأيت قطّ أصبر على طول القيام والسهر من ثابت
البناني ، صحبناه مرة إلى مكة فكنا إن نزلنا ليلاً فهو قائم يصلّي وإلا فمتى
شئت أن تراه أو تحس به مستيقظاً ونحن نسير إما باكياً وإما تالياً .

عن مبارك بن فضالة قال : كان ثابت البناني يقوم الليل يصوم النهار .
وكان يقول : ماشيء أجده في قلبي ألد عندي من قيام الليل .

وعن جعفر قال : سمعت ثابتاً يقول : ما تركت في المسجد الجامع ساريةً
إلا وقد ختمت القرآن عندها وبكيت عندها .

وعن جعفر قال : أخبرنا محمد بن ثابت البناني قال : ذهبت ألّقن أبي
وهو في الموت فقلت : يا أبة قل لا إله إلا الله . فقال : يا بني خلّ عني فإنني
في وردى السادس أو السابع .

العلاء بن زياد بن مطر العدوى

عن أوفهم بن دلهم قال : كان للعلاء بن زياد مال ورقيق فأعتق بعضهم وباع بعضهم وأمسك غلاماً أو اثنين يأكل غلتهما فتعبد فكان يأكل كل يوم رغيفين ، وترك مجالسة الناس فلم يكن يجالس أحداً ، يصلى فى جماعة ثم يرجع إلى أهله ويجمع ثم يرجع إلى أهله ، ويشيع الجنازة ويعود المرضى ، ثم يرجع إلى أهله فطفئ فبلغ ذلك إخوانه فاجتمعوا فأتاه أنس بن مالك والحسن والناس وقالوا : رحمة الله أهلكت نفسك لا يسعك هذا . فكلموه وهو ساكت حتى إذا فرغوا من كلامهم قال : إنما أتذلل لله عز وجل لعله يرحمنى .

عن حميد بن هلال قال : دخلت مع الحسن على العلاء بن زياد العدوى نعوذه وقد سلّه الحزن ، وكانت له أخت يقال لها شادة تندف تحته القطن غدوة وعشية . فقال له الحسن : كيف أنت يا علاء ؟ فقال : واحزنه على الحزن . فقال الحسن : قوموا ، فإلى هذا والله انتهى استقلال الحزن .

وعن هشام بن زياد ، أخو العلاء بن زياد ، قال : كان العلاء بن زياد يحيى كل ليلة جمعة . قال : وجد ليلة فترة^(١) فقال : لامراته أسماء : إبنى أجد فترة فإذا مضى كذا وكذا ، فأيقظينى . قالت : نعم . فأتاه آت فى منامه فأخذ بناصيته فقال : يا بن زياد قم فاذكر الله عز وجل يذكرك . قال : فقام فما زالت تلك الشعرات التى أخذ بها منه قائمة حتى الموت .

وعن قتادة ، عن العلاء بن زياد قال : إنما نحن قوم وضعنا أنفسنا فى النار

(١) ضعفاً فى الجسم أو انكساراً .

، فإن شاء الله أن يُخرجنا منها أخرجنا .

عن قتادة قال : حدثنا العلاء بن زياد أن رجلاً كان يُرائي بعمله فجعل يشمّر ثيابه ويرفع صوته إذا قرأ فجعل لا يأتي على أحدٍ إلا سبّه ولعنه . ثم رزقه الله تعالى يقيناً بعد ذلك فخفض من صوته وجل صلاته فيما بينه وبين ربه عز وجل ، فجعل لا يأتي بعد ذلك على أحدٍ إلا دعا له بخير .

عن قتادة قال : كان العلاء بن زياد يقول : لِيُنْزِلَ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ أَنَّهُ قَدْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ فَاسْتَقَالَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَأَقَالَهُ فَلْيَعْمَلْ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

عن قتادة قال : كان زياد بن مطر العدوي قد بكى حتى عمى ، وبكى ابنه العلاء بن زياد بعده حتى عَشِيََ بصره ، وكان إذا أراد أن يتكلم أو يقرأ أجهشه البكاء .

محمد بن سيرين

يكنى أبا بكر ، مولى أنس بن مالك كاتبه أنس ، وقال ابن عائشة : كان سيرين من أهل جَرْجَرَايَا ^(١) وكان يعمل قُدُور النحاس ، فجاء إلى عين التمر ^(٢) يعمل بها فسباه خالد بن الوليد .

عن عبيد الله بن أبي بكر بن أنس بن مالك قال : هذه مكاتبة سيرين عندنا : هذا ما كاتب عليه أنس بن مالك فتاه شيرون على كذا وكذا ألفاً ، وعلى غلامين يعملان عليه .

وعن بكار بن محمد قال : حدثني أبي أن أم محمد بن سيرين صفيّة مولاة أبي بكر بن أبي قحافة طيّبها ثلاث من أزواج رسول الله ﷺ ودعوته لها ، وحضر إملاكها ثمانية عشر بدرية منهم أبي ابن كعب يدعو ، وهم يؤمنون . قال بكار : وأنبأ ابن عون قال : كان محمد بن سيرين إذا حدث كأنه يتقى شيئاً ، كأنه يحذر شيئاً .

وعن جرير بن حازم قال : سمعت محمد بن سيرين يحدث رجلاً فقال : ما رأيت الرجل الأسود ، ثم قال : أستغفر الله ما أراني إلا قد اغتبت الرجل . عن ابن عون قال : كانوا إذا ذكروا عند محمد رجلاً بسيئة ذكره محمد بأحسن ما يعلم .

(١) بلد من أعمال النهروان ، بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي ، وقد خرج منها جماعة من العلماء والشعراء .

(٢) بلدة قرية من الأنبار غربي الكوفة .

وعن طوق بن وهب قال : دخلت على محمد بن سيرين وقد اشتكيت . فقال : كأني أراك شاكياً . قلت : أجل . قال : اذهب إلى فلان الطيب فاستوصفه . ثم قال : اذهب إلى فلان فإنه أطب منه . ثم قال : أستغفر الله أراني قد اغتبتته .

وعن عاصم الأحوال قال : سمعت مورقاً العجلي يقول : ما رأيت رجلاً أفقه في ورعه ولا أروع في فقهه من محمد بن سيرين . قال : وقال أبو قلابة : اصرفوه حيث شئتم فلتجدنه أشدكم ورعاً وأملككم لنفسه .

عن أيوب قال : قال أبو قلابة : وأينا يطيق ما يطيق محمد بن سيرين ؟ يركب مثل حدّ السنان .

وعن أبو عوانة قال : رأيت محمد بن سيرين يمر في السوق فيكبر الناس . قال خلف : كان محمد بن سيرين قد أعطى هدياً وسمناً وخشوعاً فكان الناس إذا رأوه ذكروا الله .

وعن بسطام بن مسلم قال : كان محمد بن سيرين إذا مشى معه رجل قام وقال : ألك حاجة ؟ فإن كان له حاجة قضأها . فإن عاد يمشى معه قام فقال له : ألك حاجة ؟ .

عن عاصم قال : لم يكن ابن سيرين يترك أحداً يمشى معه .

وعن حماد عن حبيب عن ابن سيرين قال : إذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً جعل له واعظاً من قلبه يأمره وينهاه .

وعن ابن عون قال : سمعت محمداً يقول في شيء راجعته فيه : إني لم

أقل لك ليس به بأس ، إنما قلت لك لا أعلم به بأساً .

وعن الأشعث قال : كان محمد بن سيرين إذا سئل عن شيء من الفقه ،
الحلال والحرام ، تغيّر لونه وتبدل حتى كأنه ليس بالذي كان .

وعن هشام قال : أوصى أنس بن مالك أن يغسله محمد بن سيرين ، فقليل
له في ذلك . وكان محبوباً . فقال : أنا محبوب . قالوا : قد استأذنا الأمير فأذن
لك في ذلك . قال : فإن الأمير لم يجبسنى إنما جبسنى الذي له الحق . فأذن
له صاحب الحق فخرج فغسله .

وعن رجاء بن أبي سلمة قال : سمعت يونس بن عبيد يقول : أما ابن
سيرين فإنه لم يعرض له أمران في دينه إلا أخذ بأوثقهما .

وعن هشام عن ابن سيرين أنه اشترى بيعاً فأشرف فيه على ثمانين ألفاً
فعرض في قلبه منه شيء فتركه . قال هشام : والله ما هو برّيا .

عن السري بن يحيى قال : لقد ترك ابن سيرين ربح أربعين ألفاً في شيء
دخله .

قال سري : فسمعت سليمان التيمي يقول : لقد تركه في شيء ما يختلف
فيه أحد من العلماء .

وعن سعيد بن عامر قال : سمعت هشام بن حسان يقول : ترك محمد بن
سيرين أربعين ألف درهم في شيء ما ترون به اليوم بأساً .

وعن هشام بن حسان يذكره قال : كان ابن سيرين إذا دُعِيَ إلى وليمة أو
إلى عرس يدخل منزله فيقول : اسقوني شربة سويق . فيقال له يا أبا بكر أنت
تذهب إلى الوليمة أو العرس تشرب سويقاً ؟ فيقول : إنني أكره أن أحمل حدّاً

جوعى على طعام الناس .

عن ابن شوذب قال : كان ابن سيرين يصوم يوماً ويفطر يوماً وكان اليوم الذى يفطر فيه يتغذى ولا يتعشى ، ثم يتسحر ويصبح صائماً .

وعن موسى بن المغيرة قال : رأيت محمد بن سيرين يدخل السوق نصف النهار يكبر ويسبح ويذكر الله عز وجل . فقال له رجل : يا أبا بكر فى هذه الساعة ؟ قال : إنها ساعة غفلة .

وعن هشام بن حسان ، عن حفصة بنت سيرين قالت : كان محمد إذا دخل على أمه لم يكلمها بلسانه كله تخشعاً لها .

وعن ابن عون قال : دخل رجل على محمد وهو عند أمه فقال : ما شأن محمد ؟ يشتكى شيئاً ؟ فقالوا : لا ولكن هكذا يكون إذا كان عند أمه .

وعن الربيع ، عن ابن سيرين قال : ظُلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم وتكتم خيره .

وعن ابن عون قال : أرسل ابن هبيرة إلى ابن سيرين فأتاه فقال له : كيف تركت أهل مصر ؟ قال تركتهم والظلم فيهم فاش .

قال ابن عون : كان محمد يرى أنها شهادة يسأل عنها فكره أن يكتمها .

وعن جعفر بن مرزوق قال : بعث ابن هبيرة إلى ابن سيرين والحسن والشعبي . قال : فدخلوا عليه فقال لابن سيرين : يا أبا بكر ماذا رأيت منذ قربت من بابنا ؟ قال : رأيت ظلماً فاشياً . قال : فغمزه ابن أخيه بمنكبه ، فالتفت إليه ابن سيرين فقال ابن سيرين : إنك لست تسأل إنما أسأل أنا . فأرسل إلى الحسن بأربعة آلاف ، وإلى ابن سيرين بثلاثة آلاف ، وإلى الشعبي

بألفين . فأما ابن سيرين فلم يأخذها .

وعن جعفر بن أبي الصلت قال : قلت لمحمد بن سيرين : ما منعك أن تقبل من ابن هبيرة ؟ قال : فقال لي : يا أبا عبد الله ، أو يا هذا ، إنما أعطاني على خيرٍ كان يظنه بي ، ولئن كنت كما ظن بي فما ينبغي لي أن أقبل ، وإن لم أكن كما ظن فبالحرى أن لا يجوز لي أن أقبل .

وعن عمير بن رثاب ، عن ابن سيرين قال : العزلة عبادة .

وعن ابن عون قال : كان لابن سيرين منازل لا يكرها إلا من أهل الذمة . فقليل له في ذلك : إذا جاء رأس الشهر رُعتُه وأكره أن أُرُوع ^(١) مسلماً .

وعن عبيد الله بن السرى قال : قال ابن سيرين : إنني لأعرف الذنب الذي حُمِلَ به على الدين ما هو . قلت لرجل منذ أربعين سنة : يامفلس فحدثت به أبا سليمان الداراني فقال : قلت ذنوبهم فعرفوا من أين يؤتون ، وكثرت ذنوبي وذنوبك فليس ندرى من أين تؤتى ؟ .

وعن عاصم الأحول قال : كان عامة كلام ابن سيرين : سبحان الله العظيم سبحان الله ويحمده .

وعن هشام بن حسان قال : ربما سمعت بكاء محمد بن سيرين في جوف الليل وهو يصلي .

وعن أنس بن سيرين قال : كان لمحمد بن سيرين سبعة أرواد يقرؤها بالليل ، فإذا فاته منها شيء قرأه من النهار .

وعن هشام قال : كان ابن سيرين يحيى الليل في رمضان .

(١) أى أفزعه .

وعن دُهيرى قال : كان ابن سيرين إذا ذكر الموت مات كل عضو منه على حدته .

وعن مهدي قال : كنا نجلس إلى محمد فيحدثنا ونحدثه ويكثر إلينا ونكثر إليه فإذا ذكر الموت تغير لونه واصفر وأنكرناه وكأنه ليس بالذى كان .

وعن ابن عون أن محمد بن سيرين كان إذا نام وجه نفسه .

أبى قال : كان الرجل إذا سأل ابن سيرين عن الرؤيا قال : أتق الله عز وجل فى اليقظة ولا يضرك ما رأيت فى المنام .

وعن بشر بن عمر قال : حدثتنا أم عباد ، امرأة هشام بن حسان قالت : نزلوا^(١) مع محمد ابن سيرين فى الدار ، فكنا نسمع بكاءه بالليل وضحكه بالنهار .

وعن الصقر : يعنى ابن حبيب ، قال : مرّ ابن سيرين برأس^(٢) قد أخرج رأساً فغشى عليه .

عن حبيب بن الشهيد قال : كنت أنا وأيوب السخيتاني عند عمر بن دينار فحلف ما رأى أحداً أفضل من طاوس . فقال أيوب : لو رأى ابن سيرين لم يحلف .

(١) فى رواية نزلنا .

(٢) بائع الرؤوس .

بكر بن عبد الله المزني

عن كنانة بن جبلة السلمي قال : قال بكر بن عبد الله : إذا رأيت من هو أكبر منك فقل : هذا سبقني بالإيمان والعمل الصالح فهو خير مني ، وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل : سبقته إلى الذنوب والمعاصي فهو خير مني ، وإذا رأيت إخوانك يكرمونك ويعظمونك فقل : هذا فضل أخذوا به ، وإذا رأيت منهم تقصيراً فقل : هذا ذنب أحدثته .

عن صالح المري قال : وقف مطرف بن عبد الله بن الشخير ، وبكر بن عبد الله المزني بعرفة فقال مطرف : اللهم لا تردهم اليوم من أجلى ، وقال بكر : ما أشرفه من مقام وأرجاه لأجله لولا أنى فيهم .

عن معاوية بن عبد الكريم ، عن بكر بن عبد الله قال : كان الرجل من بني إسرائيل إذا بلغ المبلغ فمشى في الناس تظله غمامة . قال : فمرّ رجل قد أظلته على رجلٍ فأعظمه لما رآه لما آتاه الله عز وجل .

قال : فاحتقره صاحب الغمامة ، أو قال كلمة نحوها ، فأمرت أن تتحول من رأسه إلى رأس الذي عظم أمر الله عز وجل .
وعن حميد قال : كان بكر مجاب الدعوة .

وعن إبراهيم بن عيسى قال : قال بكر بن عبد الله المزني : من مثلك يا بن آدم ؟ خلّى بينك وبين الحراب والماء ؟ كلما شئت دخلت على الله عز وجل ليس بينك وبينه ترجمان .

وعن حصين عن بكر بن عبد الله المزني قال : لا يكون العبد تقياً حتى

يكون تقى الطمع ، تقى الغضب .

وعن المفضل بن غسان عن أبيه قال : قال بكر بن عبد الله : إذا رأيتم الرجل موثقاً بعيوب الناس ناسياً لعيبه فاعلموا أنه قد مكر به ^(١) .

وعن مسمع بن عاصم قال : حدثني رجل من آل عاصم الجحدري قال : رأيت عاصماً الجحدري بعد موته بستين فقلت : أليس قد مت ؟ قال : بلى . فقلت : أين أنت ؟ قال : أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفسي من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى في أخباركم . قال : قلت أجسامكم أم أرواحكم ؟ فلا : هيهات بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح .

(١) مكر الرجل ، ومكر به : خدعه .

حفصة بنت سيرين

عن عاصم الأحول قال : كنا ندخل على حفصة بنت سيرين وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقبت به فنقول لها : رحمك الله قال الله : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ (١) . وهو الجلباب . قال فتقول لنا : أى شيء بعد ذلك ؟ فنقول : ﴿ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ﴾ (٢) . فتقول هو إثبات الجلباب .

وعن هشام بن حسان قال : كانت حفصة تقول لنا : يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب فإنى ما رأيت العمل إلا فى الشباب . وقال : قرأت القرآن وهى ابنة اثنى عشرة سنة وماتت وهى ابنة تسعين . وعن هشام أن حفصة كانت تدخل فى مسجدتها فتصلى فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ثم لا تزال فيه حتى يرتفع النهار وتركع ثم تخرج فيكون عند ذلك وضوءها ونومها ، حتى إذا حضرت الصلاة عادت إلى مسجدتها إلى مثلها .

وعن مهدي بن ميمون قال : مكثت حفصة فى مصلاها ثلاثين سنة لا تخرج إلا لحاجة أو لقائلة . وعن هشام ابن سيرين كان إذا أشكل عليه شيء من القراءة قال اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ .

(١) سورة النور الآية ٦٠ .

(٢) سورة النور الآية ٦٠ .

وعن هشام بن حسان . قال كان الهذيل بن حفصة يجمع الحطب في الصيف فيقشّره ويأخذ القصب ، فيفلقه قالت حفصة : وكنت أجد قرّة فكان إذا جاء الشتاء جاء بالكانون فيضعه خلفي وأنا في مصلاى ثم يقعد فيوقد بذلك الحطب المقشّر وذاك القصب المفلّق وقوداً لا يؤذى دخانه ويدفئني . نمكث بذلك ماشاء الله . قالت : وعنده من يكفيه لو أراد ذلك .

قالت : وربما أردت أنصرف إليه فأقول يا بني ارجع إلى أهلك ثم أذكر ما يريد فأدعه (*) .

قالت حفصة : فلما مات رزق الله عليه من الصبر ماشاء أن يرزق غير أني كنت أجد غصّة لا تذهب . قالت فبينما أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل إذ أتيت على هذه الآية ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٩٥) مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٦) ﴿ (١) قالت : فأعدتها فأذهب الله ما كنت أجد .

قال هشام : وكانت له لقحة (٢) قالت حفصة : كان يبعث إلى بحلبه بالغداة فأقول : يا بني إنك لتعلم أن لا أشربه ، أنا صائمة .

فيقول : يا أم الهذيل إن أطيب اللبن مابات في ضروع الإبل ، أسقيه من شئت .

عن هشام بن حسان قال : اشترت حفصة جارية أظنها سنديّة فقيل لها : كيف رأيت مولاتك ؟ فذكر إبراهيم كلاماً بالفارسية تفسيره أنها امرأة صالحة

(*) أى أنها تعلم أنه ما يفعل ذلك إلا طلباً للأجر من الله في بره لها .

(١) سورة النحل الآيات « ٩٥ - ٩٦ » .

(٢) اللقحة « بكسر فسكون » : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .

إلا أنها أذنبت ذنباً عظيماً فهي الليل كله تبكى وتصلّي .

وعن عبد الكريم بن معاوية قال : ذكر لي عن حفصة أنها كانت تقرأ نصف القرآن في كل ليلة وكانت تصوم الدهر وتفطر العيدين وأيام التشريق .

وعن هشام بن حسان قال : قد رأيت الحسن وابن سيرين وما رأيت أحداً أرى أنه أعقل من حفصة .

عن هشام بن حفصة قال : كان لها كفنٌ معدٌّ فإذا حجت وأحرمت لبسته وكانت إذا كانت العشر الأواخر من رمضان قامت من الليل فلبسته .

وعن هشام قال : حدثتني أم سليم بنت سيرين قالت : ربما نُورٌ لحفصة بنت سيرين بيتها .

عن هشام قال : كانت حفصة بنت سيرين تُسرجُ سراجها من الليل ثم تقوم في مصلاها فربما طفقَ السراجُ فيضيءُ لها البيت حتى تصبح .

منية البصرية وابنتها

عن أبو عيَّاش القطَّان قال : كانت امرأة بالبصرة متعبدة يقال لها منية ، وكانت لها ابنة أشدَّ عبادة منها ، فكان الحسن ربما رآها وتعجب من عبادتها على حدائثها .

فبينما الحسن ذات يوم جالس إذ آتاه آتٍ فقال : أما علمت أن الجارية قد نزل بها الموت فوثب الحسن فدخل عليها فلما نظرت الجارية إليه بكت . فقال لها يا حبيبتي ما يبكيك ؟ قالت له : يا أبا سعيد التراب يُحَثَّى على شبابي ولم أشبع من طاعة ربِّي ، يا أبا سعيد انظر إلى والدتي وهي تقول لوالدي : احفر لابنتي قبراً واسعاً وكفنها بكفنٍ حسن ، والله لو كنتُ أجهزُ إلى مكة لطلال بكائي ، وكيف وأنا أجهزُ إلى ظُلْمة القبور ووحشتها وبيت الظلمة والدود ؟

رابعة العدوية

عن عبد الله بن عيسى قال : دخلت على رابعة العدوية بيتها فرأيتُ على وجهها النور وكانت كثيرة البكاء فقرأ رجلٌ عندها آية من القرآن فيها ذكر النار فصاحت ثم سقطت .

ودخلت عليها وهي جالسة علي قطعة بُورى خلَقَ فتكلَّم رجلٌ عندها بشيء فجعلتُ اسمع وقع دموعها على البُورى مثل الوَكْف ، ثم اضطربت وصاحت فقمنا وخرجنا

وعن مسمع بن عاصم ورياح القيسى قالا : شهدنا رابعة وقد أتاها رجل بأربعين ديناراً فقال لها : تستعينين بها على بعض حوائجك . فبكت ثم رفعت رأسها إلى السماء فقالت : هو يعلم أن استحيى منه أن أسأله الدنيا وهو يملكها ، فكيف أريد أن آخذها من لا يملكها ؟ .

وعن محمد بن عمرو قال : دخلت على رابعة وكانت عجوزاً كبيرة بنت ثمانين سنة كأنها الشن^(١) تكاد تسقط ، ورأيت في بيتها كراخةً بواري^(٢) ومشجب^(٣) قصب فارسي طوله من الأرض قدر ذراعين . وستر البيت جلد وربما كان بُورياً ، وحُب^(٤) . وكوز ولبد هو فراشها وهو مصلاها . وكان لها مشجب من قصب عليه أكفانها وكانت إذا ذكرت الموت انتفضت وأصابتها رعدة وإذا مرت يقوم عرفوا فيها العبادة .

وقال لها رجل : ادعي فالتصقت بحائط وقالت : من أنا يرحمك الله ؟

(١) القربة البالية الصغيرة .

(٢) أى قطعة من الحصير شقت مستطيلة .

(٣) ما تعلق عليه الثياب ، ويكون من خشب ونحوه .

(٤) الحب « يضم الحاء » : الحجر الكبيرة أو الخاوية .

أطع ربك وادعه فإنه يجيب المضطرين .

وعن سجف بن منظور قال : دخلتُ على رابعة وهى ساجدة فلما أحسَّت بمكانى رفعت رأسها فإذا موضعُ سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها . فسلمت فأقبلت علىَّ فقالت : يا بنى ألك حاجة ؟ فقلت جئتُ لأسلم عليك قال : فبكيتُ وقالت : سترك اللهم سترك ، ودعت بدعوات ثم قامت إلى الصلاة وانصرفت .

وعن العباد بن الوليد قال : قالت رابعة : أستغفر الله من قلة صدقى فى قولى : أستغفر الله .

وعن أزهر بن مروان قال : دخل على رابعة رياح القيسى ، وصالح ابن عبد الجليل ، وكلاب ، فتذكروا الدنيا فأقبلوا يذمونها فقالت رابعة : إنى لأرى الدنيا بتراييعها ^(١) فى قلوبكم . قالوا : ومن أين توهمت علينا ؟ قالت : إنكم نظرتم إلى أقرب الأشياء من قلوبكم فتكلمتم فيه .

وعن أبو جعفر المدينى ، عن شيخ من قریش قال : قيل لرابعة : هل عملت عملاً ترين أن يقبل منك ؟ قالت : إن كان فمخافتى أن يرد على .

وعن جعفر بن سليمان قال : أخذ يمدى سفيان الثورى وقال مُرَبَّنَا إلى المؤدبة التى لا أجد من أستريح إليه إذا فارقتُها . فلما دخلنا عليها رفع سفيان يده وقال : اللهم إنى أسألك السلامة فبكيت رابعة فقال لها : ما ييكيك ؟ قالت : أنت عرضتنى للبكاء . فقال : وكيف ؟ قالت : أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها فكيف وأنت متلطخ بها ؟ .

وقال الثورى بين يدى رابعة : واحزنه . فقالت : لا تكذب . قل : وأقله

(١) بجهاتها الأربع وكل ما فيها .

حُزنًا . ولو كنت مَحْزُونًا ما هناك العيشُ .

وعن جعفر بن سليمان قال : سمعتُ رابعة تقول لسفيان : إنما أنت أيام معدودة ، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك ، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكلّ وأنت تعلم ، فاعمل .

وعن عبيس بن مرحوم العطار قال : حدثتني عبدة بنت أبي شوال ، وكانت من خيار إماء الله ، وكانت تخدم رابعة ، قالت : كانت رابعة تصلّي الليل كله فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هَجْعَةً خفيفةً حتى يُسْفِرَ الفجر ، فكنت أسمعها تقول : إذا وثيت من مرقدِها ذلك وهي فزعة : يانفس كم تنامين؟ وإلى كم تقومين؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور . وذكر رياح القيسي قال : كنت اختلفت إلى شُميظ أنا ورابعة ، فقالت مرة: تعال يا غلام ، وأخذت بيدي ، ودعت الله ، فإذا جرة خضراء مملوءة عسلًا أبيض ، فقالت : كل ، فهذا والله لم تحوه بطون النحل ففزعت من ذلك وقمنا وتركناه .

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : قال أبو سعيد بن الأعرابي : أما رابعة فقد حمل الناس عنها حكمة كثيرة ، وحكى عنها سفيان وشعبة ، وغيرهما ما يدل على بطلان ما قيل عنها وقد تمثلته بهذا :

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثني وأبحث جسمي من أراد جلوس

فنسبها بعضهم إلى الحلول بنصف البيت وإلى الإباحة بتمامه ، قلت : فهذا غلو ، وجهل ولعل من نسبها إلى ذلك مباحي حلولي ليحتج بها على كفره كاحتجاجهم بخبر : [كنت سمعه الذي يسمع به] ^(١)

(١) صحيح : رواه البخاري .

أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : ما رأيت أحداً الحكمة إلى فيه أقرب من أبي حازم .

وعن سفيان قال : قيل لأبي حازم ما مالك ؟ قال : ثقتي بالله عز وجل ويأسي مما في أيدي الناس .

وعن ثوبة بن رافع قال : قال أبو حازم : ما مضى من الدنيا فُعلِمَ وما بقي فأمانى .

وعن محمد مطرف قال : ثنا (*) أبو حازم قال : لا يحسن عبد فيما بينه وبين الله إلا أحسن الله ما بينه وبين العباد ، ولا يغير فيما بينه وبين الله عز وجل إلا أعور^(١) فيما بينه وبين العباد ، ولمصانعة وجه واحد أيسر من مصانعة الوجوه كلها ، إنك إذا صانعت هذا الوجه مالت الوجوه كلها إليك ، وإذا أفسدت ما بينك وبينه شفتك الوجوه^(٢) كلها .

وعن عمر بن سعيد بن حسين عن أبي حازم قال : إذا رأيت الله عز وجل يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره .

وعن محمد بن عبيد قال : أخبرنا بعض أهل الحجاز قال : قال أبو حازم : كلّ نعمة لا تقرب من الله عز وجل فهي بليّة .

وعن أبي معشر قال : رأيت أبا حازم لم يقصّ في المسجد ويكسى ويمسح

(*) معناها حدثنا . وهذا مصطلح يستخدمه علماء الحديث للإختصار .

(١) أعور : بدت عورته . يقال : عور الراعى الغنم ، عرضها للضياع والتلف .

(٢) أبفضتك ونظرت إليك كالمعتضة .

بدموعه وجهه . فقلت : يا أبا حازم لم تفعل هذا ؟ قال : بلغنى أن النار لا تصيب موضعاً أصابته الدموع من خشية الله تعالى .

وعن سفيان قال : قال أبو حازم : ينبغى للمؤمن أن يكون أشدَّ حفظاً للسان منه لموضع قدميه .

وعن سعيد بن عامر قال : قال أبو حازم نعمة الله فيما زوى ^(١) عني من الدنيا أفضل من نعمته فيما أعطاني منها .

وقال أبو حازم : إن وقينا ما أُعطينا لم نبال ما فاتنا .

وقال ابن عيينة : قال أبو حازم : إن كان يُغنيك من الدنيا ما يكفيك فأدنى عيشٍ من الدنيا يكفيك ، وإن كان لا يُغنيك ما يكفيك فليس شئٌ يكفيك .

وعن عبد الجبار بن عبد العزيز بن أبي حازم قال : حدثني أبي قال : بعث سليمان بن عبد الملك إلى أبي حازم فجاءه فقال : يا أبا حازم ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم أخرجتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب . قال : صدقت ، فكيف القدوم على الله عز وجل ؟ قال : أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله ، وأما المسئ فكالأبق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال : ليت شعري ما لنا عند الله يا أبا حازم ؟ قال : اعرض نفسك على كتاب الله عز وجل فإنك تعلم مالك عند الله قال : يا أبا حازم وأنى أصيب ذلك ؟ قال : عند قوله : ﴿ وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) ﴾ ^(٢) فقال سليمان : فأين رحمة الله ؟ قال : ﴿ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٣)

(١) زوى الشيء : أبعد .

(٢) سورة الانقطار الآية ١٤ .

(٣) سورة الأعراف الآية ٥٦ .

قال : ما تقول فيما نحن ؟ قال : أعفنى عن هذا . قال سليمان : نصيحة تلقىها . قال أبو حازم : إن أناساً أخذوا هذا الأمر عنوةً من غير مشاورة من المسلمين ولا اجتماع من رأيهم فسفكوا فيه الدماء على طلب الدنيا ثم ارتحلوا عنها فليت شعري ما قالوا وما قيل لهم ؟ فقال بعض جلسائه : بئس ما قلت يا شيخ . قال أبو حازم ؟ كذبت ، إن الله تعالى أخذ على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتُمونه . قال سليمان : اصحبنا يا أبا حازم تصب منا ونصب منك قال : أعوذ بالله من ذلك . قال : ولم ؟ قال : أخاف أن أركن إليكم شيئاً قليلاً فيذيقني ضعف الحياة وضعف الممات . قال : فأشر على ، قال : اتق الله أن يراك حيث نهاك ، وأن يفقدك حيث أمرك . قال : يا أبا حازم ادع لنا بخير . قال : اللهم إن كان سليمان وليك فيسره للخير ، وإن كان عدوك فخذ إلى الخير بناصيته . فقال : يا غلام هات مائة دينار . ثم قال : خذها يا أبا حازم ، فقال : لا حاجة لى فيها إني أخاف أن يكون لما سمعت من كلامى .

وعن محمد بن إسحاق الموصلى قال : قال أبو حازم : إن بضاعة الآخرة كاسدة فاستكثروا منها فى أوان كسادها فإنه لو جاء يوم نفاقها لم تصل منها إلى قليل ولا إلى كثير .

وقال ابن أبي الحواري : وسمعت مروان بن محمد يقول : قال أبو حازم : ويحك يا أعرج يدعى يوم القيامة بأهل خطيئة كذا وكذا فتقوم معهم ، ثم يدعى بأهل خطيئة كذا وكذا فتقوم معهم .

وعن عبد الرحمن بن جرير قال : سمعت أبا حازم يقول : عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر ، وإذا عزم العبد على ترك الآثام أتته الفتوح .

وعن محمد بن مطرف قال : قال أبو حازم : ما فى الدنيا شئ يسرك إلا

وقد أُلزق به شئ يسوءك .

وعن سعيد بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال : إن العبد ليعمل الحسنة تسره حين يعملها وما خلق الله من سيئة هي عليه أضرم منها ، وإن العبد ليعمل السيئة ثم تسوءه حين يعملها ، وما خلق الله عز وجل من حسنة أنفع له منها ، وذلك أن العبد حين يعمل الحسنة يتجبر فيها ويرى أن له فضلاً على غيره ، ولعل الله عز وجل يحبطها ويحبط معها عملاً كثيراً ، وإن العبد ليعمل السيئة تسوءه ولعل الله عز وجل يحدث له فيها وجلاً فيلقى الله وإن خوفها لفي جوفه باقٍ .

وعن عون بن جرير قال : سمعت أبي يقول : كان أبو حازم يمرّ على الفاكهة فيقول : موعدك الجنة .

وعن جويرية بن أسماء قال : مر أبو حازم بجزار فقال : يا أبا حازم خذ من هذا اللحم فإنه سمين . قال : ليس معي درهم : قال أنظرك . قال : أنا أنظر نفسي .

وعن الفضل قال : قال حازم المديني : وجدت الدنيا شيئين : فشيء منها هو لى فلن أعجله قبل أجله ولو طلبته بقوة السموات والأرض ، وشيء منها هو لغيرى فلم أنله فيما مضى ، ولا أرجوه فيما بقى ، ويمنع الذى لى من غيرى كما يمنع الذى لغيرى منى ، ففى أى هذين أفنى عمري ؟ ووجدت ما أعطيت من الدنيا شيئين فشيء يأتى أجله قبل أجلى فأغلب عليه ، وشيء يأتى أجلى قبل أجله فأموت وأخلفه لمن بعدى ، ففى أى هذين أعصى ربي عز وجل ؟ .

وعن حفص بن ميسرة قال : قال أبو حازم : عجباً لقوم يعلمون لدارٍ يرحلون عنها كل يوم مرحلة ، ويدعون أن يعملوا لدارٍ يرحلون إليها كل يوم مرحلة ! .

وعن ابن عيينة قال أبو حازم : إني لأعظ وما أرى له موضعاً وما أريد إلا نفسي . وقال لو أن أحدكم قيل له ضع ثوبك على هذا الهوف حتى يرمى لقال : ما كنت لأخرق ثوبي ، وهو يخرق دينه . وحلف أبو حازم لجلسائه : لو وددت أن أحدكم يئقى على دينه كما يئقى على نعله .

وعن فضيل بن عياض قال : قال أبو حازم : اضمنوا لى اثنين أضمن لكم الجنة : عملاً بما تكرهون إذا أحبه الله تعالى ، وترك ما تحبون إذا كرهه الله عز وجل .
وعن يعقوب بن عبد الرحمن قال : سمعت أبا حازم يقول : يسير الدنيا يشغل عن كثير من الآخرة . وقال : ما أحببت أن يكون معك فى الآخرة فقدّمه اليوم ، وما كرهت أن يكون معك فى الآخرة فاتركه اليوم .

وقال : كل عمل تكره الموت من أجله فاتركه ثم لا يضرك متى مت .
وقال : إنك لتجد الرجل يعمل بالمعاصى فإذا قيل له : أحب أن تموت ؟ قال : ويقول : وكيف ؟ وعندى ما عندى . فيقال له : أفلا تترك ما تعمل من المعاصى ؟ فيقول : ما أريد تركه وما أحب أن أموت حتى أتركه .

وقال : شيئان إذا عملت بهما أصبت بهما خير الدنيا والآخرة : لا أطول عليك . قيل : وما هما أبا حازم ؟ قال : تحمل ما تكره إذا أحبه الله ، وتترك ما تحب إذا كرهه الله .

وعن محمد بن يحيى المازنى قال : قال أبو حازم : رضى الناس من العمل بالعلم ومن الفعل بالقول .

جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين

يكنى أبا عبد الله . أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق
كان مغشولاً بالعبادة عن حبّ الرياسة .
وعن عمرو بن أبي المقدام قال : كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد
علمت أنه من سلالة النبيّين .

وعن مالك بن أنس قال : قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري : ياسفيان
إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر
عليها فإن الله عز وجل قال في كتابه : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ
لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ ﴾ (١) وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإن الله تعالى
قال في كتابه : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۖ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ
مِدْرَارًا ۖ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينَ ۖ ﴾ (٢) يعنى فى الدنيا ﴿ وَيَجْعَلَ لَكُمْ
أَنْهَارًا ۖ ﴾ (٣) فى الآخرة ياسفيان إذا حزبك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من
قول [لا حول ولا قوة إلا بالله] فإنها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة .

وعن أبي حازم قال : كنت عند جعفر بن محمد إذ جاءه آذنه فقال :
سفيان الثوري بالباب . فقال : ائذن له . فدخل فقال جعفر : ياسفيان : إنك
رجل يطلبك السلطان وأنا أتقى السلطان ، قم فاخرج غير مطرود . فقال

(١) سورة إبراهيم عليه السلام الآية (٧) .

(٢) سورة نوح عليه السلام الآيات من (١٠ - ١٢) .

(٣) سورة نوح عليه السلام الآية (١٢) .

سفيان : حدثني حتى أسمع وأقوم . فقال جعفر : حدثني أبي عن جدي أن رسول الله ﷺ قال : [من أنعم الله عليه فليحمد الله ، ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله ، ومن حزنه أمر فليقل : لا حول ولا قوة إلا بالله] ^(١) . فلما قام سفيان قال جعفر : خذها ياسفيان ثلاث وأى ثلاث .

وعن الهياج بن بسطام قال : كان جعفر بن محمد يطعم حتى لا يبقى لعياله شيء .

وعن يحيى بن الفرات قال : قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري لا يتم المعروف إلا بثلاثة : بتعجيله وتصغيره وسره .

وسئل جعفر بن محمد لم حرم الله الربا ؟ قال : لئلا يمتنع الناس المعروف .

وعن بعض أصحاب جعفر الصادق قال : دخلت على جعفر وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية فكان مما حفظت منها أن قال : يا بني أقبل وصيتي واحفظ مقالتي فإنك إن حفظتها تعيش سعيداً وتمت حميداً ، يا بني إنه من قنع بما قسم الله له استغنى ، ومن مدّ عينه إلى ما فى يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسم الله عز وجل له اتهم الله تعالى فى قضائه ، ومن استصغر زلة نفسه استعصم زلة غيره ، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه . يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن سلّ سيف البغى قتل به . ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها ، ومن داخل السفهاء حُقّر ، ومن خالط العلماء وُقّر ، ومن دخل مداخل السوء اتهم . يا بني قل الحق لك

(١) الحديث حسن : أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان .

وعليك . وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال ، يابنى إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه .

وعن أحمد بن عمرو بن المقدام الرازى قال : وقع الذباب على المنصور فذّبه عنه ، فعاد فذّبه حتى أضجره . فدخل جعفر بن محمد فقال له المنصور : يا أبا عبد الله لم خلق الله عز وجل الذباب ؟ قال : لِيُذِلَّ به الجابرة .

وعن الحسن بن سعيد اللخمي عن جعفر بن محمد قال : من لم يغضب من الجفوة لم يشكر النعمة .

وعن الحرمازى قال : ان رجل من أهل السواد يلزم جعفر بن محمد ففقده فسأل عنه فقال له رجل : إنه نبطى يريد أن يضع منه فقال جعفر : أصل الرجل عقله ، وحسنه دينه ، وكرمه تقواه ، والناس في آدم مستون .

وعن سفيان الثورى قال : سمعت جعفر بن محمد الصادق يقول : عزت السلامة حتى لقد خفى مطلبها ، فإن تكن فى شئ فيوشك أن تكون فى الخمول ، فإن طُلبت فى الخمول ولم توجد فيوشك أن تكون فى التخلّى ، وليس كالخمول ، فإن طُلبت فى التخلّى ولم توجد فيوشك أن تكون فى الصمت وليس كالتخلّى ، فإن طُلبت فى الصمت فلم توجد فيوشك أن تكون فى كلام السلف الصالح ، والسعيد من وجد فى نفسه خلوة يشتغل بها .

وعن عبد الله بن الفضل بن الربيع عن أبيه ولم يحفظ على الدعاء وبعضه عن غيره قال : حج أبو جعفر سنة سبع وأربعين ومائة فقدم المدينة وقال : ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به تعباً ، قتلنى الله إن لم أقتله . فتغافل عنه الربيع لينساه . ثم أعاد ذكره للربيع وقال : أرسل إليه من يأتى به متعباً فتشاغل عنه . ثم أرسل إلى الربيع برسالة قبيحة فى جعفر وأمره أن يبعث إليه ففعل .

فلما أتاه قال له : يا أبا عبد الله اذكر الله فإنه قد أرسل إليك التي لا سوى لها قال جعفر : لا حول ولا قوة إلا بالله . ثم اعلم أبا جعفر حضوره . فلما دخل أوعده وقال : أي عدو الله اتخذك أهل العراق إماماً يجبون إليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطانى وتبغيه الغوائل ؟ قتلنى الله إن لم أقتلك . فقال : يا أمير المؤمنين إن سليمان أعطى الشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف ظلم فغفر ، وأنت من ذلك السنخ فقال له أبو جعفر : إلىّ وعندى ، أبا عبد الله ، البرئ الساحة . السليم الناحية ، القليل الغائلة ، جزاك الله من ذى رحم أفضل ما جزى ذوى الأرحام عن أرحامهم .

ثم تناول يده فأجلسه معه على فراشه ثم قال : على بالمنجفة ^(١) فأتى بدهن فيه غالية ^(٢) فغفله بيده حتى خلت لحيته قاطرة ^(٣) . ثم قال : فى حفظ الله وفى كلاءته . ثم قال : ياربيع ألحق أبا عبد الله جائزته وكسوته ، انصرف أبا عبد الله فى حفظ الله وفى كنفه ، فانصرف ولحقته فقلت له : إني قد رأيت قبل ذلك ما لم تره ، ورأيت بعد ذلك ما قدر رأيت ، فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت ؟ قال : قلت اللهم احرسنى بعينك التي لا تنام ، واكنفنى بركنك الذى لا يرامّ واغفر لى بقدرتك على لا أهلك وأنت رجائى . اللهم إنك أكبر وأجلّ ممن أخاف وأحذر ، اللهم بك أدفع فى نحره وأستعيذ بك من شره .

وعن الليث بن سعد قال : حججت سنة ثلاث عشرة ومائة فأتيت مكة

(١) قيل : القفة أو الجراب أو الوعاء الواسع الأسفل والجواب .

(٢) الغالية : أخلاط من الطيب .

(٣) قطر الدمع والماء : وسال وسقط قطرة قطرة .

فلما أن صليت العصر رقيت أبا قُبَيْس ^(١) فإذا أنا برجل جالس وهو يدعو فقال : يارب يارب . حتى انقطع نفسه . ثم قال : يارباه . حتى انقطع نفسه . ثم قال : يارب . حتى انقطع نفسه . ثم قال : يا الله يا الله حتى انقطع نفسه . ثم قال : يا حيّ يا حيّ . حتى انقطع نفسه . ثم قال : يارحيم حتى انقطع نفسه . ثم قال : يا أرحم الراحمين . حتى انقطع نفسه . سمع مرات . ثم قال : اللهم إني أشتهى من العنب فأطعمنيه . اللهم إن بُردى قد أُخلقا قال الليث : فوالله ما استتمّ كلامه حتى نظرتُ إلى سلّة مملوءة عنباً وليس على الأرض يومئذ عنب ، وبردين موضوعين ، فأراد أن يأكل فقلت : أنا شريكك ، فقال لى : تقدم وكل ولا تأخذ منه شيئاً . فتقدمت فأكلت شيئاً لم آكل مثله قطُّ وإذا عنب لا عَجَم ^(٢) له فأكلت حتى شبع ، والسلّة بحالها . ثم قال لى : خذ أحب البردين إليك فقلت له : أما البردين فأنا غنى عنهما . فقال لى : توار عنى حتى ألبسهما . فتواريت عنه فارتدى أحدهما وائتزر الآخر . ثم أخذ البردين اللذين كانا عليه فجعلهما على عاتقه فنزل فاتبعته حتى إذا كان بالمسعى لقيه رجل فقال : اكسنى كساك الله يا ابن رسول الله . فدفعهما إليه . فلحقت بالرجل فقلت له من هذا ؟ قال : جعفر قال : بن محمد . قال الليث : فطلبتّه لأسمع منه فلم أجده .

(١) أبو قُبَيْس : جبل مشرف على مكة شرقاً .

(٢) العجم : النوى .

عطاء بن أبي رباح

واسم أبي رباح أسلم ، وكان عطاء من مولدَى الجند نشأ بمكة وهو مولى آل أبي ميسرة الفهرى . وكان عطاء يكنى أبا محمد .

عن أبي عبد الله يعنى أحمد بن حنبل قال : العلم خزائن يقسم الله لمن أحب ، ولو كان يُخصر بالعلم أحدٌ لكان بيت النبي ﷺ أولى ، وكان عطاء بن أبي رباح حبشياً وكان يزيد بن أبي حبيب نوبياً أسود وكان الحسن مولى للأنصار وكان ابن سيرين مولى للأنصار .

وقال إبراهيم بن إسحاق الحرى : كان عطاء بن أبي رباح عبداً أسود لامرأة من أهل مكة وكان أنفه كأنه باقلاة ^(١) قال : وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه فجلسوا إليه وهو يصلى فلما صلى انتفل إليهم فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حوّل قفاه إليهم . ثم قال سليمان لابنيه : قوما فقاما فقال : يا ابنى لاتنيا فى طلب العلم فإنى لا أنسى ذلنا بين يدى هذا العبد الأسود .

وعن سلمة بن كهيل قال : ما رأيت أحداً يريد بهذا العلم وجه الله عز وجل غير هؤلاء الثلاثة عطاء وطاوس ومجاهد .

وعن ابن جريح قال : كان المسجد فراش عطاء بن أبي رباح عشرين سنة . وعن عمر بن ذر قال : ما رأيت مثل عطاء قط وما رأيت على عطاء قميصاً ولا رأيت عليه ثوباً يساوى خمسة دراهم .

(١) البقلافة : واحد الباقلاء والباقلى ، وهو الفول .

وعن اسماعيل بن أمية قال : كان عطاء يطيل الصمت فإذا تكلم يخيل إلينا أنه يؤيد ، وعن عمرو بن سعيد عن أمه قالت : قدم ابن عمر مكة فسأله فقال : أجمعون لى يا أهل مكة المسائل وفيكم ابن أبى رباح ؟ .

وعن عبد الله بن إبراهيم عن عمرو بن كيسان قال : أخبرنى أبى قال : أذكركم فى زمان بنى أمية يأمرّون فى الحاج صائحاً يصيح لا يفتى الناس إلا عطاء بن أبى رباح ، فإن لم يكن عطاء فعبد الله بن أبى نجيح .

وعن الأوزاعى قال : ما رأيت أحداً أخشع لله من عطاء ولا أطول حزناً من يحيى بن أبى كثير .

وعن يعلى بن عبيد قال : دخلنا على محمد بن سوقة فقال : أحدثكم بحديث لعله أن ينفعكم فإنه قد نفعنى ثم قال : قال لنا عطاء بن أبى رباح يا بنى أخى إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدّون فضوله ما عدا كتاب الله عز وجل أن تقرأه وتأمر بمعروف أو تنهى عن منكر أو تنطق بحاجتك فى معيشك التى لا بد لك منها . أتذكرون أن عليكم حافظين كراماً كاتبين ، عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ؟ أما يستحى أحدكم أن لو نشرت عليه صحيفته التى أمل^(١) صدر نهاره فإن أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه .

وعن ابن جريح قال : كان عطاء بعدما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتى آية من البقرة وهو قائم ما يزول منه شىء ولا يتحرك .

(١) أمل الصحيفة ، أملاها .

وعن ابن عينة قال : قلت لابن جريح : ما رأيت مصلياً مثلك . قال لو رأيت عطاء .

وعن معاذ بن سعيد قال : كنا عند عطاء بن أبي رباح فتحدث رجل بحديث فاعترض له آخر في حديثه فقال عطاء : سبحان الله ما هذه الأخلاق ما هذه الأخلاق ؟ إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم منه به فأريه أنى لا أحسن منه شيئاً .

وعن عثمان بن الأسود قال : قلت لعطاء : الرجل يمرّ بالقوم فيقذفه بعضهم ، أيخبره ؟ قال لا المجالس بالأمانة .

وعن ابن أبي ليلى قال : حجّ عطاء سبعين حجة وعاش مائة سنة .

وهيب بن الورد بن أبي الورد

مولى بنى مخزوم ، يكنى أبا أمية ، وقيل أبا عثمان ، وكان اسمه عبد الوهاب فصغر فقليل وهيب .

عن سفيان بن عيينة عن وهيب بن الورد قال : بينا أنا واقف فى بطن الوادى إذا أنا برجل قد أخذ بمنكبى فقال : يا وهيب خف الله لقدرته عليك واستحى منه لقربه منك . قال : فالتفت فلم أر أحداً .

وعن أحمد بن عبيد بن ناصح قال : قال يوسف بن أسباط : عن القعقاع ابن عمار ، عن وهيب الملكى قال : يقول الله عز وجل : [وعزّتى وجلالى وعظمتى ما من عبد آثر هواى على هواه إلا أقللت همومه ، وجمعت عليه ضيعته ، ونزعت الفقر من قلبه ، وجعلت الغنى بين عينيه ، وآتجرت له من وراء كل تاجر ، وعزّتى وعظمتى وجلالى ما من عبد آثر هواه على هواى إلا كثرت همومه ، وفرقت عليه ضيعته ، ونزعت الغنى من قلبه ، وجعلت الفقر بين عينيه ثم لم أبالى فى أى أوديتها هلك] .

وقال عبد الرحمن العراقي : قال وهيب بن الورد خالطت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلاً غفر لى ذنباً فيما بينى وبينه ، ولا وصلنى إذا قطعته ، ولا ستر على عورة ، ولا أمنتته إذا غضب ، فلاشتغال بهؤلاء حمق كبير .

وكان سفيان الثورى إذا حدث الناس فى المسجد الحرام وفرغ قال : قوموا إلى الطبيب ، يعنى وهيباً .

وعن ابن المبارك قال : ما جلست إلى أحد كان أنفع لى مجالسة من وهيب كان لا يأكل من الفواكة ، وكان إذا انقضت السنة وذهبت الفواكة

يكشف عن بطنه وينظر إليها ويقول : يا وهيب ما أرى بك بأساً ، ما أرى تركك الفواكة ضرك شيئاً .

وعن محمد بن مزاحم عن وهيب بن الورد قال : وجدت العزلة اللسان .

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال : قال وهيب بن الورد كان يقال الحكمة عشرة أجزاء ، فتسعة منها فى الصمت والعاشرة عزلة الناس .

قال : فعالجت نفسى على الصمت فلم أجدنى أضبط كل ما أريد منه ، فرأيت أن هذه الأجزاء العشرة عزلة الناس .

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال : قال وهيب : عجباً للعالم كيف تجيبه دواعى قلبه إلى ارتياح الضحك وقد علم أن له فى القيامة روعات ووقفات وفرعات ؟ ثم غشى عليه .

وعنه قال : كانوا يرون الرؤيا لوهيب أنه من أهل الجنة فإذا أخبر بها اشتد بكأؤه وقال : قد خشيت أن يكون هذا من الشيطان .

وعن عبد الرزاق قال : سمعت وهيب بن الورد يقول : من عد كلامه من عمله قلّ كلامه .

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال : قال وهيب بن الورد لو أن علماءنا ، عفا الله عنا وعنهم ، نصحوا لله فى عباده فقالوا : يا عباد الله اسمعوا ما نخبركم عن نبيكم ﷺ ، وصالح سلفكم من الزهد فى الدنيا فاعملوا به ولا تنظروا إلى أعمالنا هذه الفسلة^(١) كانوا قد نصحوا لله فى عباده ، ولكنهم يأبون إلا أن

(١) المستزلة الرديئة . والفلسل من الرجال : الرذل .

يجروا عباد الله إلى فنتتهم وما هم فيه .

وعن عبد الله بن المبارك قال : قيل لوهيب بن الورد أيجد طعم العبادة من

يعصى الله ؟ قال : لا ولا من يهم بالمعصية .

وعن جرير بن حازم عن وهيب قال : بلغني أن موسى عليه السلام قال : يارب

أخبرني عن آية رضاك عن عبدك فأوحى الله تعالى إليه إذا رأيتني أهيب له طاعتي وأصرفه عن معصيتي فذاك آية رضاي عنه .

وعن محمد بن يزيد قال : سمع وهيباً يقول : ضرب لعلماء السوء مثل

فقيل : إنما مثل عالم السوء كمثل الحجر في الساقية فلا هو يشرب الماء ولا هو يخلى الماء إلى الشجر فيحيا به .

وعنه عن وهيب قال : بلغنا أن عيسى عليه السلام مر هو ورجل من حواريته

بلص في قلعة له فلما رآها للص ألقى الله في قلبه التوبة . قال : فقال في

نفسه : هذا عيسى بن مريم عليه السلام روح الله وكلمته ، وهذا فلان حواريه ،

ومن أنت يا شقي ؟ لص بنى إسرائيل ، قطعت الطريق وأخذت الأموال وسفكت

الدماء . ثم هبط إليهما تائباً نادماً على ما كان منه .

فلما لحقهما قال لنفسه : تريد أن تمشي معهما ؟ لست لذلك بأهل ،

امش خلفهما كما يمشى الخطاء المذهب مثلك ، قال : فالتفت إليه الحوارى

فعره فقال في نفسه : انظر إلى هذا الخبيث الشقي ومشيه وراءنا . قال : فاطلع

الله على ما في قلوبهما ، من ندامته وتوبته ومن ازدراء الحوارى إياه وتفضيله

نفسه عليه .

قال فأوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم أن مر الحوارى ولص بنى

إسرائيل أن يأتنفا العمل جميعاً : أما للص فقد غفرت له ما قد

وتوبته ، وأما الحواري فقد حبط عمله لعجبه بنفسه وازدراؤه هذا التَّوَاب .

قال وهيب : وبلغنا أن الخبيث إبليس تبدى ليحيى بن زكريا عليهما السلام فقال له : إني أريد أن أنصحك قال : كذبت أنت لا تنصحنى ولكن أخبرني عن بني آدم . قال : هم عندنا ثلاث أصناف : أما صنفٌ منهم فهم أشدَّ الأصناف علينا . نُقبل حتى نفتنه ونستمكن منه ثم يفرع إلى الاستفغار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه ، ثم نعود له فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا ، فنحن من ذلك في عناء .

وأما الصنف الآخر فهم بين أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم تتلقفهم كيف شئنا . فقد كفونا أنفسهم .

وأما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء . فقال له يحيى : على ذاك هل قدرت منى على شيء ؟ قال : لا إلا مرة واحدة فإنك قدّمت طعاماً تأكله فلم أزل أشهيه إليك حتى أكلت أكثر مما تريد . فتمت تلك الليلة ولم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها .

وقال : فقال له يحيى لا جرم لا شبعْتُ من طعام أبداً حتى أموت ، فقال له الخبيث : لا جرم لا نصحتُ آدمياً بعدك .

وعن محمد بن يزيد قال : رأيت وهيب بن الورد صلى ذات يوم العيد فلما انصرف الناس جعلوا يمرّون به فنظر إليهم ثم زفر ثم قال : لئن كان هؤلاء القوم أصبحوا مستيقنين أنه قد تُقبِّلُ منهم شهرهم هذا لكان ينبغي لهم أن يكونوا مشاغيل بأداء الشكر عمّا هم فيه ، وإن كانت الأخرى لقد كان ينبغي لهم أن يصبحوا أشغل وأشغل .

ثم قال : كثيراً ما يأتيني من يسألني من إخواني فيقول : يا أبا أمية ، ما بلغك عمن طاف سبعا بهذا البيت ما له من الأجر ؟ فأقول : يغفر الله لنا ولكم بل سلوا عما أوجب الله تعالى من أداء الشكر في طواف هذا السبع ورزقه إياه حين حرم غيره . قال : فيقولون إنا نرجوا فيقول وهيب : فلا والله ما رجا عبد قط حتى يخاف . ثم يقول كيف تجترئ أن ترجو رضا من لا يخاف غضبه ؟ إنما كان الراجي خليل الرحمن إذ يخبرك الله عز وجل عنه قال : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ ^(١) ثم قال : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ ^(٢) .

وعن علي بن أبي بكر قال : اشتهى وهيب لبناً فجاءته حالته به من شاة لآل عيسى بن موسى . قال : فسألها عنه فأخبرته فأبى أن يأكله فقالت له : كل . فأبى . فعادته وقالت له : إني أرجو إن أكلته أن يغفر الله لك أي باتباع شهوتي . فقال : ما أحب أني أكلته وإن الله تعالى غفر لي . فقالت : لم ؟ قال : إني أكره أن أنال مغفرته بمعصية .

عن عمرو بن محمد بن أبي رزين قال : وسمعت وهيباً يقول : إن العبد ليصمت فيجتمع له لبه .

وسمعه يقول لا يكن هم أحدكم في كثرة العمل . ولكن ليكن همّه في إحكامه وتحسينه . فإن العبد قد يصلّي وهو يعصى الله في صلاته ، وقد يصوم وهو يعصى الله في صيامه .

(١) سورة البقرة الآية ١٢٧ .

(٢) سورة الشعراء الآية ٨٢ .

وعن مؤمل قال : سمعت وهيباً يقول : لو قمت قيام هذه السارية ما نفعتك حتى تنظر ما يدخل بطنك ؟ حلال أم حرام ؟ .

وعن محمد بن يزيد عن وهيب قال : بلغنا والله أعلم ، أن موسى عليه السلام قال : يارب أوصني . قال : أوصيك بي . قالها ثلاثاً : كلّ ذلك يقول : أوصيك بي حتى قال في الآخرة : أوصيك بي ألا يعرض لك أمر إلا أثرت فيه محبتي على ما سواها ، فمن لم يفعل ذلك لم أرحمه ولم أزكّه .

وعن ابن المبارك ، عن وهيب قال : اتق أن تسبّ إبليس في العلانية وأنت صديقه في السر .

وعن أبي صالح الجدي قال : صليت إلى جنب وهيب العصر . فلما صلى جعل يقول : اللهم إن كنت نقصت منها شيئاً أو قصرت فيها فاغفر لي .

قال : فكأنه قد أذن ذنباً عظيماً يستغفر منه .

عروة بن الزبير بن العوام

أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما .

عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال : يا بنى سلّونى فلقد تركت حتى كدت أنسى وأنى لأسأل عن الحديث فيفتح لى حديث يومى .

وعن أبى الزناد . قال : اجتمع فى الحجر^(١) قوم فقالوا : تمنّوا . فقال : عروة : أنا أتمنى أن يؤخذ عنى العلم .

وعن الزهرى قال : كان عروة يتألف الناس على حديثه .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : قال عروة بن الزبير : ربّ كلمة ذُلّ احتملتها أورثتنى عزّاً طويلاً .

وعنه عن أبيه قال : إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة فاعلم أن لها عنده أخوات ، وإذا رأيته يعمل السيئة فاعلم أن لها عنده أخوات ، فإن الحسنة تدل على أختها ، وإن السيئة تدل على أختها .

وعنه قال : قال عروة لبنيه : يا بنى تعلموا فإنكم إن تكونوا صغار قوم عسى أن تكونوا كبارهم ، واسوأنا ما ذا أقبح من شيخ جاهل .

وعن ابن شوذب قال : كان عروة بن الزبير إذا كان أيام الرطب ثلّم حائطه فيدخل الناس فيأكلون ويحملون . وكان إذا دخله ردّد هذه الآية فيه حتى يخرج منه ﴿ وَلَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾^(٢) حتى يخرج .

(١) الحجر « بكسر فسكون » اسم الحائط المستدير إلى جانب الكعبة الغربى .

(٢) سورة الكهف الآية « ٣٩ » .

وكان عروه يقرأ ربع القرآن كل يوم نظراً في المصحف ، ويقوم به الليل ،
فما تركه إلا ليلة قطعت رجله ثم عاود من الليلة المقبلة .

وعن هشام بن عروة قال : خرج أبى إلى الوليد بن عبد الملك فوقعت في
رجله الأكلة ^(١) فقال له الوليد : يا أبا عبد الله أرى لك قطعها . قال :
فقطعت وإنه لصائم فما تضرور ^(٢) وجهه . قال : ودخل ابن له أكبر ولده
اصطبله ففرسته دابة فقتلته فما سمع من أبى في ذلك شيء . حتى قدم المدينة
فقال : اللهم إنه (كان لى بنون أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لى ثلاثة فلك
الحمد) وكان لى أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لى ثلاثة فلك الحمد .
وأيم الله لئن أخذت فلقد أبقيت ولئن ابتليت طالما عافيت .

وعن مسلمة بن محارب قال وقعت في رجل عروة الأكلة ، وقطعت ولم
يدع تلك الليلة ورده وقطعت ولم يمسكه أحد .

العباس بن مزيد قال : أخبرني أبى قال : قال أبو عمرو الأوزاعى خرجت
في بطنه قدمه يعنى عروة بثرة ^(٣) فترامى به بعد ذلك إلى أن نشرت ساقه
فقال لما نشرت : اللهم إنك تعلم أنى لم أمش بها إلى حرام قط أو إلى سوء
قط .

وعن نافع بن ذؤيب قال : لما قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد
الملك فخرج برجله الأكلة فبعث إليه يعنى الوليد بالأطباء فأجمع رأيهم على
أن لم ينشروها قتلته فقال شأنكم بها قالوا : نسقيك شيئاً لئلا تحس بما نصنع
بك قال : لا . شأنكم بها قال فنشروها بالمنشار فما حرك عضواً من عضو

(١) الأكلة : بفتح الهمزة وكسر الكاف : داء في العضو يأكل منه .

(٢) تضرور الرجل : تأوى من وجع الضرب أو الجوع .

(٣) البثرة : خراج صغير .

وصبر ، فأما رأى القدم بأيديهم دعا بها فقلبها في يده ثم قال أما والذي حملني عليك أنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرام قط أو قال معصية .

وعن هشام بن عروة أنا أباه كان يسرد الصوم .

وعن مالك بن أنس قال رأى عروة رجلاً يصلي فخفف فدعاه وقال أما كانت لك إلى ربك سبحانه وتعالى حاجة أني لأسأل الله تبارك وتعالى في صلاة حتى أسأله الملح .

وعن هشام عن أبيه قال : إذا جعل أحدكم الله عز وجل شيئاً فلا يجعل له ما يستحي أن يجعله لكريمه فإن الله تبارك وتعالى أكرم الكرماء وأحق من اختير له .

هشام قال : كان أبي لا يفطر ولقد مات يوم مات وهو صائم .

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رحمه الله تعالى

عن يحيى بن سعيد قال : ما أدركنا أحداً بالمدينة نفضله على القاسم بن محمد .

وعن أيوب قال : رأيت على القاسم رداء قد صبغ بشيء من زعفران ويدع مائة ألف لم يتلجلج في نفسه شيء منها .

وعنه قال : ما رأيت رجلاً أفضل من القاسم ولقد ترك مائة ألف وهي له حلال .

وعن مالك أن عمر بن عبد العزيز قال : لو كان لي من الأمر شيء لوليت القاسم بن محمد الخلافة .

وعن أبي الزناد قال : ما رأيت أحداً أعلم بالسنة من القاسم بن محمد ، وكان الرجل لا يعدّ رجلاً حتى يعرف السنة .

وعن أيوب قال : سمعت القاسم يسأل بمنى فيقول لا أدري ، لا أعلم . فلما أكثر عليه قال : والله لا نعلم كل ما تسألونا عنه ، ولو علمنا ما كتمناكم ولا حلّ لنا أن نكتمكم .

وعن يحيى بن سعيد قال سمعت القاسم يقول : ما نعلم كل ما نسأل عنه ولأن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حق الله تعالى عليه خيراً له من أن يقول ما لا يعلم .

وعن محمد بن إسحاق قال : جاء أعرابي إلى القاسم بن محمد فقال : أنت أعلم أم سالم ؟ قال : ذاك منزل سالم لم يزد عليه ، حتى قام الأعرابي .

قال محمد بن إسحاق : كره أن يقول هو أعلم مني فيكذب ، أو يقول أنا أعلم منه فيزكي نفسه .

وعن أبي الزناد عن أبيه قال : ما كان القاسم يجيب إلا في الشيء الظاهر .
وعن سفيان قال : اجتمعوا إلى القاسم بن محمد في صدقة قسّمها ، قال وهو يصلي : فجعلوا يتكلمون فقال ابنه : إنكم اجتمعتم إلى رجل والله ما نال منها درهماً ولا دانقاً . قال : فأوجز القاسم ثم قال : يا بني قل فيما علمت . قال سفيان : صدق ابنه ولكنه أراد تأديبه في النطق وحفظه .

عابدتان ببغداديتان

بلغنى أنه كان ببغداد رجل بزار له ثروة فبينما هو فى حانوته أقبلت إليه صبية فالتمست منه شيئاً تشتريه . فبينما هى تحادثه كشفت وجهها فى خلال ذلك . فتحير وقال : قد والله تحيرت مما رأيت . فقالت : ما جئت لأشتري شيئاً إنما لى أيام أتردد إلى السوق ليقع بقلبى رجل أنزوجه ، وقد وقعت أنت بقلبى ولى مال ، فهل لك فى التزوج ؟ فقال لها : لى ابنة عم وهى زوجتى ، وقد عاهدتها ألا أغيرها ، ولى منها ولد . فقالت : قد رضيت أن تجئ إلى فى الأسبوع نوبتين ، فرضى ، وقام معها فعقد ومضى إلى منزلها فدخل بها .

ثم ذهب إلى منزله فقال لزوجته : إن بعض أصدقائى قد سألنى أن أكون الليلة عنده ، ومضى فبات عندها . وكان يمضى كل يوم بعد الظهر إليها .

فبقى على هذا ثمانية أشهر ، فأنكرت ابنة عمه أحواله فقالت لجارية لها : إذا خرج فانظرى أين يمضى ؟ فتبعته الجارية فجاء إلى الدكان فلما جاءت الظهر قام وتبعته الجارية وهو لا يدرى ، إلى أن دخل بيت تلك المرأة . فجاءت الجارية إلى الجيران فسألتهن لمن هذه الدار ؟ فقالوا : لصبية قد تزوجت برجل تاجر ينرار . فعادت إلى سيدتها فأخبرتها فقالت لها : إياك أن يعلم بهذا أحد . ولم تظهر لزوجها شيئاً .

فأقام الرجل تمام السنة ثم مرض ومات وخلف ثمانية آلاف دينار فعمدت المرأة التى هى ابنة عمه إلى ما يستحقه الولد من التركة وهو سبعة آلاف دينار فأفردتها وقسمت الألف الباقية نصفين وتركت النصف فى كيس وقالت الجارية : خذى هذا الكيس واذهبى إلى بيت المرأة وأعلميها أن الرجل مات وقد

خلف ثمانمائة ألف دينار ، وقد أخذ الابن سبعة آلاف بحقه ، وبقيت ألف
فقسمتها بيني وبينك وهذا حقك . وسلميه إليها .

فمضت الجارية فطرقت عليها الباب ودخلت وأخبرتها خبر الرجل وحدثتها
بموته وأعلمتها لحال فبكت وفتحت صندوقها وأخرجت منه رقعة وقالت
للجارية : عودي إلى سيدتك وسلمي عليها عني وأعلميها أن الرجل طلقني
وكتب لي براءة ، وردى عليها هذا المال فأنى ما أستحق في تركته شيئاً .

بشر بن الحارث الحافى

يكنى أبا نصر . ولد فى سنة خمسين ومائة .

عن أيوب العطار قال : قال لى بشر بن الحارث الحافى : أحدثك عن بدو أمرى ؟ بينا أنا أمشى رأيت قرطاساً على وجه الأرض فيه اسم الله تعالى ، فنزلت إلى النهر فغسلته وكنت لا أملك من الدنيا إلا درهماً فيه خمسة دنانق . فاشتريت بأربعة دنانق ^(١) مسكاً وبدانق ماء ورد ، وجعلت أتتبع اسم الله تعالى وأطيبه . ثم رجعت إلى منزلى فنمت فأتانى آت فى منامى فقال : يا بشر كما طيبت اسمى لأطيبين اسمك ، وكما طهرته لأطهرن قلبك .

وعن محمد بن بشار قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : أنا ، الله ، عشت إلى زمان إن لم أعمل فيه بالجفاء لم يسلم دينى .

وعن الحسين بن محمد البغدادى قال : سمعت أبى يقول : زرت بشر بن الحارث فقعدت معه ملياً ، فما زادنى على كلمة قال : ما اتقى الله من أحب الشهرة ، وعن أحمد بن نصر قال : كنا قعوداً قدام بشر بن الحارث نفسين . قال : فجاء الثالث فقام فدخل .

وعن أحمد بن الفتح قال : سمعت بشراً يقول : بعث إلى عاصم بن على بأبى زكريا الصفار فقال : يا أبا نصر إن أبا الحسن يقرأ عليك السلام ويقول : قد اشتد شوقى إليك حتى لقد كدت أن آتاك من غير إذن فعلمت كراهيتك لحجى الرجال ، فإن رأيت أن تأذن لى فآتيك لأسلم عليك ، فلعل الله أن ينفعنى

(١) الدانق : « بكسر النون وفتحها » : سدس الدرهم ، ويجمع على دنانق ودوانيق .

برؤيتك . قال : فقلت له : قد فهمت رسالة الشيخ فأبلغه السلام وقل له : لا تأتني فإن في مجيئك إلى شهرة علىّ وعليك .

وعن أبي حفص عمر بن موسى قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : لقد شهرني ربّي في الدنيا فليته لا يفضحني في القيامة . ما أقبح بمثلي يُظنّ في ظنّ وأنا على خلافه ، إنما ينبغي لي أن أكون أكثر ما يُظنّ بي أني أكره الموت وما يكره الموت إلا مربّب ، ولولا أني مربّب لأشئ أكره الموت ؟ .

✓ وقال أحمد بن الصلت : سمعت بشر بن الحارث يقول : غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه وإخفاء مكانه عنهم .

وعن أبو بكر محمد بن الفياض قال : سمعت زريقاً الدلال يقول : سمعت بشر بن الحارث يقول : اللهم استر واجعل تحت السّتر ما تحبّ ، فربما سترت على ما تكره . قال : ثم التفت إلى فقال : يا أخى بادر بادر فإن ساعات الليل والنهار تذهب الأعمار .

وعن محمد بن يوسف الجوهري قال : سمعت بشر بن الحارث يقول يوم ماتت أخته : إن العبد إذا قصر في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه .

وعن محمد بن قدامة قال : لقي بشر بن الحارث رجل سكران فجعل يقبله ويقول : ياسيدى يا أبا نصر ، ولا يدفعه بشر عن نفسه . فلما وليّ تغرّغت عيناه بشر وقال : رجل أحبّ رجلاً على خير توهمه ، لعل المحب قد نجا والمحبوب لا يدري ما حاله .

وقال رجل : رأيت بشر بن الحارث وقف على أصحاب الفاكهة فجعل ينظر . فقلت : يا أبا نصر لعلك تشتهي من هذا شيئاً ؟ قال : لا ولكن نظرت في هذا : إذا كان يطعم هذا من يعصيه فكيف من يطيعه .

عن يحيى بن عثمان قال : كنا لبشر بن الحارث في كل يوم رغيف قال :

وقال لى بشر : كان لى سنور فكننت إذا وضعت طعامى بين يدىّ جاءت فعيناها فى عينى فأكل وأرمى لها . قال : فقلت : إليك عني تأكلين قوتى .

وعن الفتح بن شخرف قال : قال عمر ابن أخت بشر : سمعت خالى بشراً يقول لأمى : جوفى وجع وخواصرى تضرب علىّ .

عبد الله بن خبيق قال : رجل لبشر : مالى أراك مغموماً ؟ قال : مالى لا أكون مغموماً وأنا رجل مطلوب .

وعن أبى الحسن أحمد بن محمد الزعفرانى قال : سمعت أبى يحكى عن بشر أنه قال : ربما رفعت يدى فى الدعاء فأردّها أو قال : فأستلّها . أقول : إنما يفعل هذا من له عنده وجه .

وعن الفتح بن شخرف قال : كنت جالسا عند بشر إذ جاءه رجل فسأله عن مسألة ، فأطرق ملياً ثم رفع رأسه ثم أطرق ثم رفع رأسه ، فقال : اللهم إنك تعلم أنى أخاف أن أتكلم ، اللهم إنك تعلم أنى أخاف أن أسكت ، اللهم إنك تعلم أنى أخاف أن تأخذنى فيما بين السكوت والكلام .

وعن زبدة أخت بشر بن الحارث قال : دخل بشر على ليلة من الليالى فوضع إحدى رجله داخل الدار والأخرى خارج الدار ، وبقي كذلك يتفكر حتى أصبح فلما أصبح قلت له : فى ماذا تفكرت طول الليلة ؟ قال : تفكرت فى بشر النصرانى ، وبشر اليهودى ، وبشر المجوسى ، ونفسى واسمى بشر . فقلت : مالذى سبق منك خصك ؟ فتفكرت فى تفضله علىّ وحمدته على أن جعلنى من خاصته وألبسنى لباس أحبائه .

وعن أحمد بن نصر قال : سمعت بشراً يقول : يا مازنى ليت لا يكون حظى من الله هذا الذى يقول الناس بشرُ بشرُ ، ورأيت أشفار عينيه قد ذهبت من البكاء . وعن الحسن بن عمرو قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : لو

علمت أن رضاه أن أشدّ في رجلى حجراً ثم ألقى نفسه في البحر ، لفعلت .
وعن عباس بن دُهقان قال : قلت لبشر بن الحارث : أحب أن أخلو معك . قال : إذا شئت ، فبكرت يوماً فرأيتَه قد دخل قبةً فصلّى فيها أربع ركعات لا أحسن أن أصلى مثلها ، فسمعتَه يقول في سجوده : اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذلّ أحب إلى من الشرف ، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر أحب إلى من الغنى ، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أنى لا أؤثر على حبك شيئاً فلما سمعتَه أخذنى الشهيق والبكاء . فلما سمعنى قال : اللهم إنك تعلم أنى لو أعلم أن هذا ههنا لم أتكلّم .

وقال أحمد بن حنبل : والله إن بين أظهركم رجلاً ما هو عندى بدون عامر بن عبد الله ، يعنى بشر بن الحارث .

وعن أحمد بن عبد الله بن خالد قال : سئل أحمد بن حنبل عن مسألة فى الورع فقال : أنا ؟ أستغفر الله لا يحلّ لى أن أتكلّم فى مسألة فى الورع ، أنا آكل من غلة بغداد .

لو كان بشر بن الحارث صلح أن يجيبك عنه ، فإنه كان لا يأكل من غلة بغداد ولا من طعام السّواد ، يصلح أن يتكلّم فى الورع .

وعن أبى بكر أحمد بن عبد الرحمن المروزى قال : سمعت بشرأ يقول : إن الجوع يصفى الفؤاد ويورث العلم الدقيق . وسمعت بشرأ يقول : طوبى لمن ترك شهوةً حاضرةً لموعِد غيب لم يره .

وعن أحمد بن الصلت قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : حادثوا الآمال بقرب الآجال .

وعن أبى بكر الباقلأوى قال : سمعت أبى يقول : سمعت بشر بن الحارث ونحن معه بباب حرب ، وأراد الدخول إلى المقبرة فقال : الموتى داخل السور

أكثر منهم خارج السور .

وعن أحمد بن الصلت قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : ليس من المودة أن تحب ما يبغض حبيبك .

وعن إبراهيم الحربى قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : بحسبك أن أقواماً موتى تحيا القلوب بذكرهم وأن أقواماً أحياء تعمى الأبصار بالنظر إليهم .
وعن عمرو بن موسى الأحول قال : سمعت بشراً يقول : يكون الرجل مرثياً فى حياته ، مرثياً بعد موته . قيل : كيف يكون مرثياً بعد موته ؟ قال : يحب أن يكثر الناس على جنازته .

وعن الحسن بن عمرو قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : الصدقة أفضل من الحج والعمرة والجهاد . ثم قال : ذاك يركب ويرجع ويراه الناس ، وهذا يعطى سرّاً لا يراه إلا الله عز وجل .

وسمعت بشراً يقول : ما أقبح أن يطلب العالم فيقال : هو بباب الأمير وعن أبى عبد الله الأسدى قال : قال لى بشر الحافى يوماً :

قطع الليالى مع الأيام فى خلق والنوم تحت رواق الهم والقلق
أحرى وأعذر لى من أن يقال غداً إني التسمت الغنى من كفّ مختلق
قالوا : قنعت بذا ، قلت : القنوع غنى ليس الغنى كثرة الأموال والورق
رضيت بالله فى عسرى وفى يسرى فلست أسلك إلا أوضح الطرق

وتوفى رحمه الله عشية الأربعاء لعشر بقين من ربيع الأول ، وقيل لعشر خلون من المحرم ، سنة سبع وعشرين ومائتين ، وقد بلغ من العمر خمساً وسبعين سنة ، وقيل سبعا وسبعين .

عن يحيى بن عبد الحميد الحماني قال : رأيت أبا نصر التمار وعلي بن
المديني في جنازة بشر بن الحارث يصيحان : هذا والله شرف الدنيا قبل شرف
الآخرة . وذلك أن بشراً أخرجت جنازته بعد صلاة الصبح ولم يجعل في القبر
إلا في الليل ، وكان نهراً صائفاً ولم يستقر في القبر إلى العتمة .

وعن الكندي قلا : رأيت بشر بن الحارث في النوم فقلت له : ما فعل الله
بك ؟ فقال : غفر لي وأقعدني على طيار من لؤلؤة بيضاء وقال لي : سر في
ملكى .

وقال ابن خزيمة : لما مات أحمد بن حنبل بت من ليلتي فرأيته في النوم
فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي وتوجنى وألبسني نعلين من
ذهب ، وقال لي : يا أحمد هذا بقولك : القرآن كلامي . قلت : فما فعل بشر
فقال لي : بخ بخ ، من مثل بشر ؟ تركته بين يدي الجليل وبين يديه مائدة من
الطعام والجليل مقبل عليه وهو يقول له : كُلْ يا مَنْ لم يأكل ، واشرب يا مَنْ
لم يشرب ، وانعم يا مَنْ لم ينعم . رحمه الله ورضى عنه .

أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني

جىء به من مرو حملاً فولد فى ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة .
فأما نسبه فأخبرنا أبو منصور القزاز قال : أنبأ أبو بكر بن ثابت ، قال : أنبأ
أحمد بن عبد الله الحافظ : أنبأ أحمد بن جعفر بن حمدان قال : أنبأ عبد
الله بن أحمد ، ثنا أبى أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن
إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن
مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن
وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن
نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أد بن الهميسع بن حمل بن النبت بن
قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام .

وعن أبى بكر المروزي قال : قال لى أبو عفيف - وذكر أبا عبد الله
أحمد بن حنبل - فقال : كان فى الكتاب معنا وهو غُلِّيمٌ يُعَرِّفُ فضله وكان
الخليفة بالرقعة فيكتب الناس إلى منازلهم ^(١) ، فيبعث نساؤهم إلى المعلم :
ابعث إلينا بأحمد بن حنبل . ليكتب لهم جواب كتبهم . فيبعثه . فكان يجىء
إليهم مطأطئ الرأس فيكتب جواب كتبهم فربما أملوا عليه الشئ من المنكر
فلا يكتبه لهم .

وعن إدريس بن عبد الكريم قال : قال خلف : جاءنى أحمد بن حنبل
يستمتع حديث أبى عوانة فاجتهدت أن أرفعه فأبى وقال : لا أجلس إلا بين

(١) أى أن الناس الذين كانوا مع الخليفة بالرقعة يكتبون الرسائل إلى ذويهم .

يديك أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه .

وعن أبي زرعة قال : كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث .
ف قيل له : وما يدريك ؟ قال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب .

وعن أبو جعفر بن أحمد بن محمد بن سليمان التستري قال : قيل لأبي
زرعة من رأيت من المشايخ المحدثين أحفظ ؟ فقال : أحمد بن حنبل ، حُزرت
كتبه اليوم الذى مات فيه فبلغت اثني عشر حملاً ، وعدلاً ^(١) ما كان على
ظهر كتاب منها حديث فلان ، ولا فى بطنه حديث فلان ، وكل ذلك كان
يحفظه عن ظهر قلب .

وعن إبراهيم الحربى قال : رأيت أحمد بن حنبل كأن الله قد جمع له
علم الأولين والآخرين من كل صنف ، يقول ما شاء ويمسك ما شاء .

(١) العدل : نصف الحمل ، ويطلق أيضاً على الغرارة أى الجوالق .

الفضيل بن عياض التميمي

يكنى أبا على ولد بخراسان بكورة أيبور رد وقدم الكوفة وهو كبير فسمع بها الحديث ثم تعبد وانتقل إلى مكة فمات بها .

عن إبراهيم بن أحمد الخزاعي قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : لو أن الدنيا كلها بحذافيرها جعلت لي حلالاً لكنت أتقذرها .

وعن أبي الفضل الخزاز قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : أصلح ما أكون أفقر ما أكون ، وإنى لأعصى الله فأعرف ذلك في خلق حمارى وخادمى .

وعن إسحاق بن إبراهيم قال : كانت قراءة الفضيل حزينة شهية بطيئة مترسلة كأنه يخطب إنساناً ، وكان إذا مرّ بآية فيها ذكر الجنة يرددها .

وكان يلقى له حصير بالليل فى مسجده فيصلى من أول الليل ساعة حتى تغلبه عينه فيلقى نفسه على الحصير فينام قليلاً ثم يقوم . فإذا غلبه النوم نام . ثم يقوم هكذا حتى يصبح .

قال : وسمعت الفضيل يقول : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبل كبتك خطيئتك .

وعن منصور بن عمار قال : تكلمت يوماً فى المسجد الحرام فذكرت شيئاً من صفة النار فرأيت الفضيل بن عياض صاح حتى غشى عليه فطرح نفسه .

وعن أبي إسحاق قال : قال الفضيل بن عياض : لو خيّر بين أن أعيش كلباً أو أموت كلباً ولا أرى يوم القيامة لاخترت أن أعيش كلباً أو أموت كلباً ولا أرى يوم القيامة .

وعن مهران بن عمرو الأسدي قال : سمعت الفضل بن عياض عشية عرفة بالموقف ، وقد حال بينه وبين الدعاء البكاء ، يقول : واسوأناه ، وافضيحتاه ، وإن عفوت .

وعن أحمد بن سهل قال : قدم علينا سعد بن زنبور فأتيناه فحدثنا قال : كنا على باب الفضيل بن عياض فاستأذنا عليه فلم يؤذن لنا فقلنا إنه لا يخرج إليكم أو يسمع القرآن . قال : وكان معنا رجل مؤذن وكان صيِّتاً ^(١) فقلنا له اقرأ ﴿ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ۝ ﴾ ^(٢) ورفع صوته ، فأشرف علينا الفضيل وقد بكى حتى بل لحيته بالدموع ومعه خرقة ينشف بها الدموع من عينيه وأنشأ يقول :

بلغت الثمانين أو جُزْتُها فماذا أوَمَل أو أنتظر ؟
أتى لي ثمانون من مولدى وبعد الثمانين ما ينتظر ؟
علتنى السنون فأبليتنى

قال ثم خنقته العبرة ، وكان معنا على بن خشرم فأتته لنا فقال :

علتنى السنون فأبليتنى فرقت عظامى وكلَّ البصر

وعن أبي جعفر الحذاء قال سمعت الفضيل بن عياض يقول : أخذت بيد سفيان بن عيينة فى هذا الوادى فقلت له : إن كنت تظن أنه بقى على وجه الأرض شر منى ومنك فبئس ما تظن .

وعن على بن الحسن قال : بلغ فضيلاً أن جريراً يريد أن يأتيه قال : فأقبل الباب من خارج . قال : فجاء جرير فرأى الباب مقفلاً فرجع . قال على :

(١) الصيِّت : الشديد الصوت .

(٢) سورة التكاثر الآية « ١ » .

فبلغنى ذلك . فأتيته فقلت له : جرير . فقال : ما يصنع بى ؟ يظهر لى محاسن كلامه وأظهر له محاسن كلامى . فلا يتزين لى ولا أتزين له خير له .

وعن الفيض بن إسحاق قال سمعت فضيلاً يقول : لو قيل لك يامرائى لغضبت ولشق عليك وتشكو فتقول : قال لى : يا مرائى عساه قال حقاً من حبك للدينيا تزينت للدينيا وتصنعت للدينيا . ثم قال : اتق ألا تكون مرائياً وأنت لا تشعر تصنعت وتهيات حتى عرفك الناس فقالوا هو رجل صالح فأكرموك وقضوا لك الحوائج ووسعوا لك فى المجالس ، وإنما عرفوك بالله ولولا ذلك لهنت عليهم .

قال وسمعت الفضيل يقول : تزينت لهم بالصوم فلم ترهم يرفعون بك بأساً . تزينت لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأساً ، تزينت لهم بشئ بعد شئ ، إنما هو لحب الدنيا .

وعن الحسين بن زياد قال : دخلت على فضيل يوماً فقال : عساك إن رأيت فى ذلك المسجد ، يعنى المسجد الحرام ، رجلاً شراً منك ، وإن كنت ترى أن فيه شراً منك فقد ابتليت بعظيم .

وعن يونس بن محمد المكى قال : قال فضيل بن عياض لرجل : لأعلمنك كلمة هى خير من الدنيا وما فيها : والله لئن علم الله منك إخراج الآدمين من قلبك حتى لا يكون فى قلبك مكان لغيره ؛ لم تسأله شيئاً إلا أعطاك .

وعن إبراهيم بن الأشعث قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : ما يؤمنك أن تكون بارزت الله بعمل مقتك عليه فأغلق دونك أبواب المغفرة وأنت تضحك كيف ترى تكون حالك ؟ .

وعن عبد الصمد بن يزيد قال : سمعت الفضيل يقول : أدركت أقواماً

يستحيون من الله في سواد الليل من طول الهجعة ، إنما هو على الجنب فإذا تحرك قال : ليس هذا لك قومي خذى حظك من الآخرة .

وعن محمد بن حسان المسنى قال : شهدت الفضيل بن عياض وجلس إليه سفيان بن عيينة . فتكلم الفضيل فقال : كنتم معشر العلماء سرج البلاد يستضاء بكم فصرتم ظلمةً وكنتم نجوماً يهتدى بكم فصرتم حيرة ، ثم لا يستحي أحدكم أن يأخذ مال هؤلاء الظلمة ، ثم يسند ظهره يقول : حدثنا فلان عن فلان . فقال سفيان : لئن كنا لسنا بصالحين فإننا نجهم .

وعن بشر بن الحارث قال : قال الفضيل بن عياض : لأن أطلب الدنيا بطليل ومزمار أحب إليّ من أن أطلبها بالعبادة .

وعن الفضل بن الربيع قال : حج أمير المؤمنين الرشيد فأتاني فخرجت مسرعاً فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك . فقال : ويحك قد حَكَ في نفسى شئ^(١) فانظر إلى رجلاً أسأله . فقلت ها هنا سفيان بن عيينة . فقال : امض بنا إليه . فأتيناه فقرعت الباب فقال من ذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين . فخرج مسرعاً فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك . فقال له : خذ لما جئناك له رحمك الله .

فحدثه ساعة ثم قال له : عليك دين ؟ قال : نعم فقال : أبا عباس اقض دينه فلما خرجنا قال : ما أغنى عنى صاحبك شيئاً ، انظر لى رجلاً أسأله . فقلت له : ها هنا عبد الرازق بن همام . قال : امض بنا إليه . فأتيناه فقرعت الباب فقال : من هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين . فخرج مسرعاً فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك . قال : خذ لما جئناك له .

(١) يقال : حك في صدرى شئ . أى عمل وأثر .

فحادثه ساعة ثم قال له : عليك دين ؟ قال : نعم ، قال : أبا عباس اقض دينه فلما خرجنا قال : ما أغنى صاحبك شيئاً انظر لى رجلاً أسأله . قلت : هاهنا الفضيل بن عياض . قال امض بنا إليه . فأتيناه فإذا هو قائم يصلى يتلو آية من القرآن يرددّها . فقال : اقرع الباب . فقرعت الباب فقال : من هذا . فقلت : أجب أمير المؤمنين . فقال : ما لى ولأمر المؤمنين ؟ فقلت : سبحان الله أما عليك طاعة ؟ أليس قد ورد عن النبي ﷺ أنه قال : [ليس للمؤمن أن يُذل نفسه] (١) ، فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ المصباح ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت . فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف هارون قبلى إليه فقال : يالها من كف ما ألينها إن نجت غداً من عذاب الله عز وجل فقلت فى نفسى : ليكلمنه الليلة بكلام نقى من قلب تقى . فقال له : خذ لما جئناك له - رحمك الله - فقال : إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله ، ومحمد بن كعب القرظى ورجاء بن حيوة فقال لهم : إنى قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علىّ . فعُدّ الخلافة بلاء وعددها رأيت وأصحابك نعمة . فقال له سالم بن عبد الله : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن إفطارك من الموت . وقال له محمد بن كعب القرظى : إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أباً وأوسطهم عندك أخاً وأصغرهم عندك ولداً فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك .

وقال له رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله عز وجل فأحب المسلمين ما تحب لنفسك وأكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت إذا شئت . وإنى أقول لك إنى أخاف عليك أشدّ الخوف يوم تزل فيه الأقدام فهل

(١) صحيح : رواه أحمد والترمذى وصححه الأبانى .

معك رحمك الله من يشير عليك بمثل هذا ؟ .

فبكى هارون بكاءً شديداً حتى غشى عليه فقلت له ارفق بأمر المؤمنين فقال : يا بن أم الربيعي تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا ، ثم أفاق فقال له : زدني رحمك الله فقال :

يا أمير المؤمنين بلغني أن غلاماً لعمر بن عبد العزيز شكاً إليه فكتب إليه عمر : يا أخى أذكرك طول سهر أهل النار فى النار مع خلود الأبد وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء . قال فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له : ما أقدمك ؟ قال : خلعت قلبي بكتابك . لا أعود إلى ولاية أبداً حتى ألقى الله عز وجل .

قال : فبكى هارون بكاءً شديداً ثم قال له زدني رحمك الله . فقال يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أمرنى على إمارة فقال له النبي ﷺ [إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت أن لا تكون أميراً فافعل] ^(١) .

فبكى هارون بكاءً شديداً وقال له زدني رحمك الله فقال : يا حسن الوجه أنت الذى يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة ، فإن استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعل ، وإياك أن تصبح وتمسى وفى قلبك غشٍ لأحد من رعيتك فإن النبي ﷺ قال : [من أصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة] ^(٢) .

(١) حديث صحيح : فمن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال : « إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضة وبس الفاطمة » أخرجه البخارى والنسائى . وقال أبو ذر : يا رسول الله ألا تستعملنى ؟ فضرب يده على منكبيه ثم قال : « يا أبا ذر إنك ضعيف ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها » أخرجه مسلم وأبو داود .

(٢) حديث صحيح : أخرجه البخارى فى الباب الثامن من كتاب الأحكام ومسلم فى الإمارة ٦ / ٩ .

فبكى هارون وقال له عليك دين ؟ قال : نعم دين لربي يحاسبني عليه ، فالويل لى إن سألتنى ، والويل لى إن ناقشنى ، والويل لى إن لم ألهم حجتى قال : إنما أعنى دين العباد . قال : إن ربى لم يأمرنى بهذا ، أمر ربى أن أوحده وأطيع أوامره ، فقال عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) ﴿ (١)

فقال له هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقو بها على عبادتك فقال : سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئنى بمثل هذا ؟ سلمك الله ووفقك .

ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فلما صرنا على الباب قال هارون : أبا عباس إذا دلتنى على رجل فدلنى على مثل هذا ، هذا سيد المسلمين .

فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت : يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به فقال لها : مثلى ومثلكم كمثل قوم كان لهم بغير يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه ، فلما سمع هارون هذا الكلام قال : ندخل فعسى أن يقبل المال فلما علم الفضيل خرج فجلس فى السطح على باب الغرفة ، فجاء هارون فجلس إلى جنبه يكلمه فلا يجيبه فبينما نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت : يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة فانصرف رحمك الله .

أبو مسلم الخولاني واسمه عبد الله بن ثوب

طرحه الأسود العنسي المتنبى باليمن فى النار فلم تضره فكان يشبه بالخليل ﷺ .

عن شرحبيل بن مسلم الخولاني قال : تنبأ الأسود بن قيس العنسي باليمن فأرسل إلى أبى مسلم فقال له : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : فتشهد أنى رسول الله ؟ قال : ما أسمع . قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، قال فتشهد أنى رسول الله ؟ قال : ما أسمع ، قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . قال : فتشهد أنى رسول الله ؟ قال : ما أسمع .

قال : فأمر بنارٍ عظيمة فأججت وطُرح فيها أبو مسلم فلم تضره ، فقال له أهل مملكته : إن تركت هذا فى بلادك أفسدها عليك . فأمره بالرحيل فقدم المدينة وقد قبض رسول الله ﷺ واستُخلف أبو بكر . فقام إلى سارية من سوارى المسجد يصلى فبصر به عمر بن الخطاب ، فقال : من أين الرجل ؟ قال : من اليمن ، قال : فما فعل عدو الله بصاحبنا الذى حرقه بالنار فلم تضره ؟ قال : ذاك عبد الله بن ثوب . قال : نشدتك بالله عز وجل أنت هو ؟ قال : اللهم نعم . قال : فقبل ما بين عينيه . ثم جاء به حتى أجلسه بينه وبين أبى بكر وقال : الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرانى فى أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمن ﷺ .

عن علقمة بن مرثد قال : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم أبو مسلم الخولاني ، فإنه لم يكن يجالس أحداً يتكلم في شيء من أمر الدنيا إلا تحول عنه . فدخل ذات يوم المسجد فنظر إلى نفر قد اجتمعوا فرجاً أن يكونوا على ذكر الله تعالى ، فجلس إليهم . وإذ بعضهم يقول : قدم غلامى فأصاب كذا وكذا . وقال آخر : جهزت غلامى .

فنظر إليهم وقال : سبحان الله أتدرون ما مثلى ومثلكم ؟ كمثّل رجلى أصابه مطر غزير وابل فالتفت فإذا هو بمصرّعين عظيمين فقال : لو دخلت هذا البيت حتى يذهب هذا المطر . فدخل فإذا البيت لا سقف له ، جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على ذكرٍ وخيرٍ فإذا أنتم أصحاب دنيا .

قال : وقال له قائل حين كبر ورق^(١) لو قصرت عن بعض ما تصنع . فقال : رأيتم لو أرسلتم الخيل فى الحلبة ألستم تقولون لفارسها دعها وارفق بها حتى إذا رأيتم الغاية لم تستبقوا منها شيئاً ؟ قالوا : بلى ، قال : فإنني قد أبصرت الغاية وإن لكل ساعة غاية ، وغاية كلّ ساعة الموت ، فسابق ومسبوق .

وعن أبو بكر بن أبى مريم قال : حدثنى عطية بن قيس أن ناساً من أهل دمشق أتوا أبا مسلم الخولاني فى منزله وهو غاز بأرض الروم ، فوجدوه قد احتفر فى فسطاطه جوية^(٢) ووضع فى الجوية نطعاً^(٣) وأفرغ فيه ماء يتصلّق فيه^(٤) وهو صائم ، فقالوا له : ما يحملك على الصيام وأنت مسافر وقد رخص لك فى الفطر فى السفر ؟ ، فقال : لو حضر قتال لأفطرت وتقويت

(١) ضعف جسمه .

(٢) الجوية : الحفرة .

(٣) بساطاً من جلد .

(٤) يتقلب ويتمرغ ، ليبرد من البرودة ما يخفف عنه شدة الحر .

✓ للقتال ، وإن الخيل لا تجرى إلى الغايات وهى بُدُنٌ ^(١) وإنما تجرى وهى ضُمَرٌ ، إنَّ بين أيدينا أياماً لها نعمل .

عن شُرَّحِيل بن مسلم أن رجلين أتيا أبا مسلم الخولاني في منزله فقال بعض أهله : هو في المسجد . فأتياه فوجداه يركع فانتظرا انصرافه وأحصيا ركوعه ، فأحصى أحدها أنه ركع ثلاثمائة ، والآخر أربعمائة قبل أن ينصرف فقالا له : يا أبا مسلم كنا قاعدين خلفك ننتظرك . فقال أما إني لو علمت مكانكما لانصرفت إليكما ، وما كان لكما أن تحفظا على صلاتي ، فأقسم لكما إن كثرة السجود خير ليوم القيامة .

✓ وعن حميد قال : قال أبو مسلم الخولاني : ما عملتُ عملاً أبالي من رآه إلا أن يخلو الرجل بأهله أو يقضى حاجة غائط .

وعن محمد بن زياد عن أبي مسلم أنه كان إذا غزا أرض الروم فمروا بنهر قال : أجيروا بسم الله . قال : ويمر بين أيديهم . قال : فيمرون بالنهر الغمر ، فربما لم يبلغ من الدواب إلا إلى الركب ، أو بعض ذلك ، أو قريباً من ذلك ، فإذا جازوا قال للناس : هل ذهب لكم من شيء ؟ من ذهب له شيء فأنا له ضامن . قال فألقى بعضهم مخلاةً عمداً فلما جازوا قال الرجل : مخلاتي وقعت في النهر قال له : اتبعني ، فإذا المخلاة تعلقت ببعض أعواد النهر .

عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال : قالت امرأة أبي مسلم ، يعنى الخولاني : يا أبا مسلم ليس لنا دقيق . قال : عندك شيء ؟ قالت درهم بعنا به غزلاً . قال : ابغينيه وهاتى الجراب . فدخل السوق فوقف على رجل يبيع

(١) سمينة : مفردا بادن وبادنة .

الطعام . فوقف عليه سائل فقال : يا أبا مسلم تصدق علىّ . فهرب منه فأتى حانوتاً آخر فتبعه السائل فقال : يا أبا مسلم . فهرب منه . فأتى آخر فتبعه السائل فقال : تصدق علىّ . فلما أضجره أعطاه الدرهم . ثم عمد إلى الجراب فملأه نجارة النجارين مع التراب ثم أقبل إلى باب منزله فنقر الباب فملأه وقلبه مرعوب من أهله ، فلما فتحت الباب رمى بالجراب وذهب . فلما فتحته إذا هي بدقيق حواري ، فعجنت وخبزت . فلما ذهب من الليل الهوى^(١) جاء أبو مسلم فنقر الباب فلما دخل وضعت بين يديه خواناً وأرغفة . فقال : من أين لكم هذا ؟ قالت له يا أبا مسلم من الدقيق الذي جئت به . فجعل يأكل ويكي .

وعن عثمان بن عطاء ، عن أبيه قال : كان أبو مسلم الخولاني إذا انصرف من المسجد إلى منزله كبر على باب منزله فتكبر امرأته فإذا كان في صحن داره كبر فتجيبه امرأته ، فإذا بلغ إلى باب بيته كبر فتجيبه امرأة فانصرف ذات ليلة فكبر عن باب داره فلم يجبه أحد . فلما كان في الصحن كبر فلم يجبه أحد . فلما كان في باب بيته كبر فلم يجبه أحد . وكان إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه ثم أتته بطعامه . قال : فدخل فإذا البيت ليس فيه سراج وإذا امرأته جالسة منكسة تنكت بعودٍ معها . فقال لها مالك ؟ فقالت : أنت لك منزلة من معاوية وليس لنا خادم فلو سألته فأخدمنا^(٢) وأعطاك . فقال : اللهم من أفسد على امرأتى فأعم بصره . قال : وقد جاءتها امرأة قبل ذلك فقالت : زوجك له منزلة من معاوية فلو قلت له يسأل معاوية أن يخدمه ويعطيه عشتم .

(١) يقال : مضى هوى من الليل « على وزن غنى وقد تضم الهاء » : أى ساعة .

(٢) جعل لنا خادماً .

قال : فبينما تلك المرأة جالسة في بيتها إذا أنكرت بصرها فقالت : ما لسراجكم طفيء ؟ قالوا : لا فعرفت ذنبها . فأقبلت إلى أبي مسلم تبكي وتسأله أن يدعو الله عز وجل لها يرد عليها بصرها . قال : فرحمها أبو مسلم فدعا الله - عز وجل - لها فرد عليها بصرها .

وعن الحسن قال : قال أبو مسلم الخولاني - وكان ذا أمثال - أرأيتم نفساً إذا أكرمتها وودعتها ونعمتها ذمتني غداً عند الله وإن أنا أهنتها وأنصبتُها وأعملتُها مدحتني عند الله غداً ؟ قالوا : من تيك يا أبا مسلم ؟ قال : تيك والله نفسي .

عن شرحبيل بن مسلم ، عن أبي مسلم الخولاني ، أنه كان إذا وقف على خربة قال : يا خربة أين أهلك ؟ ذهبوا وبقيت أعمالهم ، وانقطعت الشهوة ، وبقيت الخطيئة ، ابن آدم ! ترك الخطيئة أهون من طلب التوبة .

أبو بكر بن أبي الأسود قال : قال أبو مسلم الخولاني : ما طلبت شيئاً من الدنيا قطّ فولّى لي ، حتى لقد ركبت مرةً حماراً فلم يمش فنزلت عنه وركبه غيّر فعدا . قال : فأويت في منامي كأن قائلاً يقول لي : لا يحزنك ما زوى عنك من الدنيا وإنما يفعل ذلك بأوليائه وأحبّائه وأهل طاعته . قال : فُسرّى عني .

وعن شرحبيل بن مسلم ، عن عُمير بن سيف ، أنه سمع أبا مسلم الخولاني يقول : لأن يولد لي مولودٌ يحسن الله عز وجل نباته حتى إذا استوى على شبابه وكان أعجب ما يكون إليّ ، قبضه مني ، أحبُّ (١) إليّ من

(١) خبر المبتدأ الذي هو المصدر المؤول في « لأن يولد » .

أن يكون لى الدنيا وما فيها .

عن عثمان بن أبى العاتكة قال : كان أمر أبى مسلم الخولانى أن علق سوطاً فى مسجده ويقول : أنا أولى بالسوط من الدواب ، فإذا دخلته فترة مشق ساقه ^(١) سوطاً أو سوطين . وكان يقول : لو رأيت الجنة عياناً ما كان عندى مستزاد ، ولو رأيت النار عياناً ما كان عندى مستزاد .

وعن بلال بن كعب قال : ربما قال الصبيان لأبى مسلم الخولانى ادع الله أن يحبس علينا هذا الطائر . فيدعو الله عز وجل فيحبسه فيأخذه بأيديهم .

(١) ضربها مسرعاً فى ذلك . وهى تعنى سرعة الضرب والطعن والأكل والكتابة وبابه نصر .

الضحاك بن مزاحم الهاللى يكنى أبا القاسم

حملت به أمه سنتين ، وكان يعلم ولا يأخذ أجراً . أصله من الكوفة ثم أقام ببلخ .

وعن قبيصة بن قيس العنبرى قال : كان الضحاك بن مزاحم إذا أمسى بكى فيقال له : ما يبكىك ؟ فيقول : لا أدري ما صعد اليوم من عملى .
توفى الضحاك سنة ثنتين . وقيل سنة خمس ومائة .

عطاء بن أبي مسلم

فى اسم أبيه قولان : أحدهما ميسرة والثانى عبد الله . وفى كنية عطاء قولان : أحدهما أبو عثمان ، والثانى أيوب وأصله من بلخ ، وكان من أهل العلم والصلاح .

عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : كنا نغادى عطاء الخراسانى فكان يحيى الليل كله صلاة فإذا ذهب من الليل ثلثه أو نصفه نادانا وهو فى فسطاطه يسمعنا : يا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، يا يزيد بن يزيد ، يا هشام بن الغاز ، يا فلان بن فلان ، قوموا فتوضؤوا وصلّوا فإن قيام هذا الليل وصيام هذا النهار أيسر من شرب الصديد ومقطعات الحديد ، الوحى الوحى ^(١) النجاء النجاء ، ثم يقبل على صلاته .

وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : حدثنى عمى يزيد بن يزيد بن جابر ، عن عطاء الخراسانى أنه كان يقول : إني لا أوصيكم بدنياكم ، أنتم بها مستوصون ، وأنتم عليها حراس ، وإنما أوصيكم بآخرتكم فخذوا من دار الفناء لدار البقاء ، واجعلوا الدنيا كشيء فارقتموه ، فوالله لتفارقنّها ، واجعلوا الموت كشيء ذقتموه ، فوالله لتذوقنّه ، واجعلوا الآخرة كشيء نزلتموه ، فوالله لتنزّلنّها ، وهى دار الناس كلّهم ليس من الناس أحد يخرج لسفر إلا أخذ له أهبتة ، فمن أخذ لسفره الذى يصله اغتبط ، ومن خرج إلى سفر لم يأخذ له أهبتة ندم فإذا ضحى لم يجد ظلاً ، وإذا ظمى لم يجد

(١) يقال ذلك فى الاستعجال ، أى البدار البدار . والوحى : العجلة .

ماءً يتروى به ، وإنما سفر الدنيا منقطع ، وأكيس الناس من قام بتجهز لسفر لا ينقطع .

وعن يزيد بن سمرة أنه سمع عطاء الخراساني يقول : مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام .

وعن الأوزاعي قال : حدثني عطاء الخراساني قال : ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت .

عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال : إن أوثق عمل في نفسي نشري للعلم .

وعن عمر بن أبي خليفة قال : سمعت عطاء الخراساني ، وصلي معنا المغرب فأخذ بيدي حين انصرفنا ، فقال : ترى هذه الساعة ما بين المغرب والعشاء ؟ فإنها ساعة الغفلة وهي صلاة الأوابين .

إبراهيم بن أدهم يكنى أبا إسحاق

عن يونس بن سليمان البلخي قال: كان إبراهيم بن أدهم من الأشراف وكان أبوه كثير المال والخدم، فخرج إبراهيم يوماً في الصيد مع الغلمان والخدم والجنائب^(١) والبزاة. فبينما إبراهيم في ذلك وهو على فرسه يركضه^(٢)، إذ هو بصوت من فوقه: يا إبراهيم ما هذا العبث؟ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) ﴿إِتَّقِ اللَّهَ وَعَلَيْكَ بِالزَّادِ لِيَوْمِ الْفَاقَةِ﴾.

قال: فنزل عن دابته ورفض الدنيا وأخذ في عمل الآخرة.

وعن بشير بن المنذر قال: كنت إذا رأيت إبراهيم بن أدهم كأنه ليس فيه روح لو نفخته الريح لوقع قد اسود متدّرع بعباءة.

وعن إبراهيم بن بشار قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: ما كانت لى مؤنة قط على أصحابي ولا على غيرهم إلا في شيء واحد. فقلت أى شيء يا أبا إسحاق؟ فقال: ما كنت أحسن أكرى نفسى^(٤) فى الحصّادين، فيحتاجون إلى أن يكرونى، ويأخذون لى الأجرة، فهذه كانت مؤنتى عليهم.

قال ابن بشار ومضيت مع إبراهيم بن أدهم إلى مدينة يقال لها طرابلس ومعى رغيفان ما لنا شيء غيرهما وإذا سائل يسأل، فقال لى: ادفع إليه ما معك فلتبث^(٥) فقال لى: ما لك؟ أعطه. فأعطيته وأنا متعجب من فعله

(١) مفردها جنيبة وهى الدابة ترسلها إلى جنبك.

(٢) يحمله على الركض ويستحبه برجليه.

(٣) المؤمنون الآية ١١٥.

(٤) أكرى نفسه: أجرها، من الأجرة.

(٥) تلكأت وتمهلت.

فقال لى : يا أبا إسحاق إنك تلقى غداً ما لم تلقه قط ، واعلم أنك تلقى ما أسلفت ولا تلقى ما خلفت . فمهد لنفسك فإنك لا تدري متى يفجؤك أمر ربك . قال : فأبكاني كلامه وهون على الدنيا . فلما نظر إلى أبكى ، قال : هكذا فكن .

قال ابن بشار : وخرجت أنا وإبراهيم بن أدهم ، وأبو يوسف الغسولى ، وأبو عبد الله السنجارى ، نريد الأسكندرية فمررنا بنهر يقال له نهر الأردن فقعدنا نستريح وكان مع أبى يوسف كُسيراتٌ يابسات . فألقاها بين أيدينا فأكلناها وحمدنا الله عز وجل ، فقمت أسعى أتناول ماءً لإبراهيم فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء رُكبتيه . فقال بكفيه فى الماء ^(١) فملاًها ثم قال : بسم الله . وشرب الماء ثم قال : الحمد لله ، ثم ملاً كفيه وقال : بسم الله ، وشرب الماء ، ثم قال : الحمد لله . ثم إنه خرج من النهر فمدّ رجله ثم قال : يا أبا يوسف لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا عليه بالسيوف أيام الحياة . فقلت يا أبا إسحاق طلب القوم الراحة والنعيم فأخطأوا الطريق المستقيم . فتبسم وقال : من أين لك هذا الكلام ؟ .

قال ابن بشار : مررنا مع إبراهيم بن أدهم بمقبرة فتقدم إلى قبر فوضع يده عليه ثم قال : رحمك الله يا فلان . ثم تقدم إلى آخر فقال مثل ذلك . فعل ذلك بسبعة من القبور ثم قام قائماً بين تلك القبور فنادى يا فلان يا فلان ، بأعلى صوته ، لقد متم وخلّفتُمونا ونحن بكم سريعاً لاحقون ، ثم بكى وغرق فى فكره ثم رجع بعد ساعة فأقبل إلينا بوجهه ، ودموعه تنحدر كاللؤلؤ الرطب وقال : إخوتى ، عليكم بالمبادرة والجد والاجتهاد ، سارعوا وسابقوا فإن نعلأً فقدت أختها سريعة اللحاق بها .

(١) أى جمع بينهما وغرف بهما من الماء . والقول هنا بمعنى الإشارة والحركة .

وعن شقيق بن إبراهيم قال : بينا نحن ذات يوم عند إبراهيم بن أدهم إذ مرَّ به رجل فقال إبراهيم : أليس هذا فلان ؟ فقيل نعم . فقال لرجل : أدركه فقل له : قال لك إبراهيم : لِمَ لَمْ تُسَلِّمْ ؟ فقال له . فقال : والله إن امرأتى وضعت وليس عندى شيء فخرجت شبه المجنون . قال : فرجعت إلى إبراهيم فقلت له : فقال : إنا لله ، كيف غفلنا عن صاحبنا حتى نزل به هذا الأمر ؟ وقال : يا فلان إيت صاحب البستان فاستسلف منه دينارين ، فادخل السوق فاشتر له ما يصلح بدينار ، وادفع الدينار الآخر إليه .

فدخلت السوق فأوقرت^(١) بدينار من كل شيء وتوجهت إليه فدققت الباب فقالت امرأته : من هذا ؟ قلت : أنا ، أردت فلاناً . قالت : ليس هو ههنا قلت : فمرى بفتح الباب وتنحى قال : ففتحت الباب فأدخلت ما على البعير وألقيته فى صحن الدار وناولتها الدينار ، فقال : على يدى من بعث هذا ؟ فقلت : قولى على يد أخيك إبراهيم بن أدهم . فقالت : اللهم لا تنس هذا اليوم لإبراهيم .

قال شقيق : وقلت لإبراهيم : يا إبراهيم تركت خراسان . فقال : ما تهتيت بالعيش إلا فى بلاد الشام ، أفرُّ بدبنى من شاهقٍ إلى شاهق ، ومن جبل إلى جبل ، فمن يرانى يقول هو موسوس ، ومن يرانى يقول : هو جمال . ثم قال لى : يا شقيق لم ينبُل عندنا من نبُل بالحج والجهاد إنما نبُل من كان يعقل ما يدخل جوفه ، يعنى الرغيفين من حلّه . يا شقيق ماذا أنعم الله على الفقراء ؟ لا يسألهم يوم القيامة لا عن زكاة ولا عن حج ولا عن جهاد ولا عن صلة رحم ، إنما يسأل هؤلاء المساكين ، يعنى الأغنياء .

(١) أوقر الدابة : حملها ثقلاً ، أكثر ما يستعمل الوقر فى حمل البغل والحمار والوسق فى حمل البعير . يقال أوقرت الناقة أى كثر حملها .

وعن أحمد بن داود قال: مر يزيد بإبراهيم بن أدهم وهو ينظر كرمًا . فقال: ناولنا من هذا العنب . قال : ما أذن لي صاحبه . قال : فقلب السوط . فجعل يقنع رأسه . فطأطأ إبراهيم رأسه وقال : اضرب رأساً طالما عصى الله عز وجل فأعجز الرجل عنه .

وعن بن بكار قال : كنا جلوساً بالمصيصة وعندنا إبراهيم بن أدهم ، فقدم رجل من خراسان فقال : أيكم إبراهيم بن أدهم ؟ فقال القوم : هذا . قال : إن إخوتك بعثوني إليك فما سمع ذكر إخوته قام فأخذ بيديه فتحاه . فقال : ما جاء بك فقال : أنا مملوكك ، معى فرس وبغلة وعشرة آلاف درهم بعث بها إليك إخوتك . فقال : إن كنت صادقاً فأنت حرٌ ، وما معك لك ، اذهب فلا تخبر أحداً ، فذهب .

وعن يحيى بن الكدير بن أسود الكلابي من أهل عسقلان ^(١) قال : كان إبراهيم بن أدهم أجيراً في بستانٍ لى سنةً ، ابتذله ^(٢) فيما يبتذل الأجير . فزارنى لى فى بستان فقلت لإبراهيم : ايتنا برمانٍ حلو . فجاء برمانٍ لم نحمده . فقلت له : أنت فى هذه البستان منذ سنة لا تعرف موضع الجيد الحلو من الحامض ؟ قال : فأى موضع هو من البستان ؟ فوصفته له فأنكرت أمره ، وإذا رجل قد أقبل على نجيب ^(٣) يسأل عن إبراهيم بن أدهم . فأخبر بمكانه عندى . فنزل إليه فرأيته قد قبل يديه وعظمه فقال له إبراهيم : ما جاء بك ؟

(١) مدينة واقعة على ساحل فلسطين جنوباً ، اشتهرت فى الحروب الصليبية . خربها السلطان بيبرس سنة

١٢٤٧ م .

(٢) استخدمه وأشغله .

(٣) الدابة الأصيلة النفيسة فى نوعها .

فقال : مات بعض مواليك فجئتك بميراثه ثلاثين ألف درهم . فقال : ما لكم وأتباعي ؟ فقال الرجل : قد تعيّنت من بلخ فأقبلها مني . فقال للرجل : أبسط إزرارك وصبّ عليه ما معك . ففعل . فقال إبراهيم : اقسمه ثلاثة أقسام . فقسّمه . فقال : ثلث لك لعنائك من بلخ إلى ها هنا وثلث اقسّمه على المساكين ببلخ ، وثلث أنت يا يحيى اقسّمه في مساكين أهل عسقلان .

وعن أبو سليمان الداراني قال : صَلَّى إبراهيم بن أدهم خمس عشرة صلاة بوضوء واحد .

عن مخلد بن الحسين قال : ما انتبهتُ من الليل إلا أصبت إبراهيم بن أدهم يذكر الله فأعتم ثم أتعزّي بهذه الآية ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (١) .

وعن عبد الملك بن سعد الدمشقي قال : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : أعربنا الكلام فما نلحن ، ولحنا في الأعمال فما نعرب .

وعن عبد الله بن الفرّج العابد قال : اطلعت على إبراهيم بن أدهم بالشام في بستان وهو نائم وعند رأسه أفعى في فيها طاقة نرجس تدبّ عنه .

وعن موسى بن طريف قال : ركب إبراهيم بن أدهم البحر فأخذتهم ريح عاصف فأشرفوا على الهلكة فلف إبراهيم رأسه في عباءة ونام . فقالوا له : ما ترى ما نحن فيه من الشدة ؟ فقال : ليس ذا شدة . قالوا : ما الشدة ؟ قال : الحاجة إلى الناس . ثم قال : اللهم أريتنا قدرتك فأرنا عفوك . فصار البحر كأنه قدح زيت .

(١) سورة المائدة الآية ٤٥ .

وعن خلف بن تميم قال : كنت عند أبي رجاء الهروي في مسجده ،
فأتني رجل على فرس فنزل فسلم عليه وودّعه . فأخبرني أبو رجاء عنه أنه كان
مع إبراهيم بن أدهم في سفينة في غزاة في البحر ، فعصفت عليهم الرياح
وأشرفوا على الغرق فسمعوا في البحر هاتفاً يهتف بأعلى صوته : تخافون
وفيكم إبراهيم ؟ .

أبوعقوب الزيات

قال الجنيد بن محمد : دقت على أبي يعقوب الزيات بابه في جماعة من أصحابنا ، فقال : ما كان لكم شغل في الله يشغلكم عن المجيء إلى ؟ قال الجنيدُ فقلت له : إذا كان مجيئنا إليك من شغلنا به لم نقطع عنه ففتح الباب .

وقال يوماً لبعض المريدين : أتحفظ القرآن ؟ فقال : لا . فقال : واغوثاه ، بالله مريدٌ لا يحفظ القرآن كأثر نجية لا ربح لها فبم يتنعم ؟ فبم يترنم ؟ فبم يناجي ربه ؟ .

الجنيد بن محمد بن الجنيد

أبو القاسم الخزاز القواريري ، كان أبوه يبيع الزجاج وكان هو خزازاً وأصله من نهاوند إلا أن مولده ومنشأه ببغداد .

عن جعفر الخلدی قال الجنيد ذات يوم : ما أخرج الله إلى الأرض علماً وجعل للخلق إليه سبيلاً إلا وقد جعل لي فيه حظاً ونصيباً .

قال الخلدی : وبلغني عن الجنيد أنه كان في سوقه ، وكان ورده في كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة .

وعنه قال : لم نر في شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير أبي القاسم الجنيد ، ولا أكثرهم كان يكون له علم كثير ولا يكون له حال ، وآخر كان يكون له حال كثير وعلم يسير ، والجنيد كانت له حال خطيرة وعلم غزير فإذا رأيت حاله رجحته على علمه ، وإذا رأيت علمه رجحته على حاله .

وعن أبي محمد المرتعش قال : قال الجنيد : كنت بين يدي سري السقطي ألعب ، وأنا ابن سبع سنين ، وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي : يا غلام ما الشكر ؟ فقلت : ألا تعصى الله بنعمه . فقال لي : أخشى أن يكون حظك من الله لسانك ، قال الجنيد فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها السري لي .

قال السلمي وسمعت جدي إسماعيل بن نجيد يقول : كان الجنيد يجيء كل يوم إلى السوق فيفتح حانوته فيدخله ويسبل الستر ويصلي أربعمئة ركعة . ثم يرجع إلى بيته .

وعن أحمد بن عبد الحميد السامري قال : سمعت الجنيد بن محمد يقول : معاشر الفقراء إنما عرفتم بالله وتكرمون له ، فإذا خلوتهم به فانظروا كيف تكونون معه ؟ .

وعن أبي الطيب بن الفرحان قال : سمعت الجنيد يقول : علامة إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه .

وعن حامد بن إبراهيم قال : قال الجنيد بن محمد : الطريق إلى الله مسدود على خلق الله عز وجل ، إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ ، والتابعين لسنة ، كما قال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (١) .

وعن أبي محمد الحريري قال : سمعت الجنيد يقول : لقد مشى رجال باليقين على الماء ، ومات بالعطش أفضل منهم يقيناً .

وعن أبي بكر محمد بن أحمد قال : سمعت الجنيد يقول : فتح كل باب وكل علم نفيس بذل المجهود .

وعن أحمد بن عطاء قال : قال الجنيد : لولا أنه يروى أنه يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ما تكلمت عليكم .

وعن أبي القاسم المطرز قال : سمعت الجنيد بن محمد يقول : أضرب ما على أهل الديانات الدعاوى .

وعن أبي بكر المفيد قال : سمعت الجنيد يقول : احذر أن تكون ثناء منشوراً وعيباً مستوراً .

وعن العباس بن عبد الله قال : سمعت الجنيد بن محمد يقول : المروءة احتمال زُللِ الأخوان .

وسأله رجل : كيف الطريق إلى الله ؟ فقال : توبةٌ تخلّ الإصرار ، وخوفٌ يزيل العرّة ورجاءٌ مُزعج ^(١) إلى طريق الخيرات ، ومراقبة الله في خواطر القلوب .

وقال أبو الحسن : سمعت الجنيد يقول : ليس يتسع عليّ ما يرد عليّ من العالم ، لأنني قد أصلت أصلاً ، وهو أن الدار دار غمّ وهمّ وبلاء وفتنة وأن العالم كله شر ، ومن حُكمه أن يتلقاني بكل ما أكره ، فإن تلقاني بما أحبّ فهو فضل وإلا فالأصل الأول .

وعن جعفر بن القاسم ، قال : سمعت الجنيد يقول : كان يعارضني في بعض أوقاتي أن أجعل نفسي كيوسف ، وأكون أنا كيعقوب فأحزن على ما فقدت من نفسي كما حزن يعقوب على فقد يوسف فمكثت مدةً أعمل على حسب ذلك .

وقال أبو محمد الحريري : كنت واقفاً على رأس الجنيد في وقت وفاته ، وكان يوم الجمعة وهو يقرأ القرآن فقلت : يا أبا القاسم ارفق بنفسك . فقال : يا أبا محمد ما رأيت أحداً أحوج إليه مني في هذا الوقت ، وهو ذا تطوى صحيفتي .

وعنه قال : حضرت عند الجنيد قبل وفاته بساعتين ، فلم يزل باكياً وساجداً ، فقلت له : يا أبا القاسم قد بلغ بك ما أرى من الجهد . فقال :

(١) صف مزعج : ومعناه يقلقه ويقلعه من مكانه .

يا أبا محمد أخرج ما كنت إليه هذه الساعة . فلم يزل باكياً وساجداً حتى فارق الدنيا .

وعن فارس بن محمد قال : كان أبو القاسم الجنيد كثير الصلاة ثم رأيناه في وقت موته وهو يدرس ويقدم إليه الوسادة فيسجد عليها فقبل له : ألا روحاً عن نفسك ؟ فقال : طريق وصلت به إلى الله لا أقطعه .

ولقد لقي الجنيد خلقاً من العلماء ودرس الفقه على أبي ثور ، وكان يفتي في حلقاته بحضرته وهو ابن عشرين سنة ، وصحب جماعة من العباد .

وتوفي يوم السبت في شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين . وقيل سبع وتسعين ، وغسله أبو محمد الحريري ، وصلى عليه ولده ، وحرزوا الجمع الذي صلى عليه فكانوا نحو ستين ألفاً .

عبد الله بن المبارك

يكنى أبا عبد الرحمن كان أبوه تركياً عند رجل من التجار من بنى حنظلة وكانت أمه تركية خوارزمية . ولد سنة ثمانى عشرة ومائة ، وقيل تسع عشرة .
عن الحسن قال : كانت أم ابن المبارك تركية ، وكان الشُّبه لهم بيناً فيه ، وكان ربما خلع قميصه فلا أرى على صدره وجسده كثير شعرٍ : وأخبرنى غير واحد من أهله أنه ما دخل الحمام قطاً .

قال : وكانت دار ابن المبارك بمرور كبيرة صحن الدار نحو خمسين ذراعاً فى خمسين ذراعاً ، فكنت لا تحب أن ترى فى داره صاحب علم أو صاحب عبادة أو رجلاً له مروءة وقدر بمرور إلا رأيت فى داره ، يجتمعون فى كل يوم خلقاً يتذاكرون حتى إذا خرج ابن المبارك انضموا إليه . فلما صار ابن المبارك بالكوفة نزل فى دار صغيرة وكان يخرج إلى الصلاة ثم يرجع إلى منزله لا يكاد يخرج منه ولا يأتيه كثير أحد . فقلت له : يا أبا عبد الرحمن ألا تستوحش هاهنا مع الذى كنت فيه بمرور ؟ فقال : إنما فررت من مرور من الذى تراك تحبه ، وأحببت هاهنا للذى أراك تكرهه لى ، فكنت بمرور لا يكون أمر إلا أتونى فيه ولا مسألة إلا قالوا : اسألوا ابن المبارك ، وأنا هاهنا فى عافية من ذلك .

قال : وكنت مع ابن المبارك يوماً فأتينا على سقاية ^(١) والناس يشربون منها ، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس فرحموه ودفعوه فلما خرج قال لى : ما العيش إلا هكذا . يعنى حيث لم نعرف ولم نُوقر .

(١) السقاية : موضع السقى ، أو ما يبنى لجمع الماء .

قال : وبينما هو بالكوفة يقرأ عليه كتاب المناسك . انتهى إلى حديث وفيه : قال عبد الله وبه نأخذ . فقال : من كتب هذا من قولي ؟ قلت : الكاتب الذي كتبه ^(١) . فلم يزل يحكه بيده حتى دَرَسَ . ثم قال : ومن أنا حتى يكتب قولي ؟ .

قال الحسن وكنّا على باب سفیان بن عُيينة يوماً وأصحاب الحديث وهم يرون أن عنده بعض هؤلاء الكبار يحدثه . فقال رجل : أعياني أن أرى رجلاً يسوّى بين الناس في علمه . فقال له آخر : هذا عبد الله ابن المبارك . قال : نعم هات غيره ، أتعرف غيره ؟ .

فلما قدمت الكوفة ذكرت لابن المبارك قول الرجل وأنه فلان ولم أعلمه أنهم سمّوه . فقال : أفلا قالوا الفضيل بن عياض ؟ .

قال الحسن : ورأيت في منزل ابن المبارك حماماً طيارة .

فقال ابن المبارك : قد كنا ننتفع بفراخ هذه الحمام فليس ننتفع بها اليوم قلت : ولم ذلك ؟ قال : اختلطت بها حمامٌ غيرها فتزاجت بها فنحن نكره أن ننتفع بشيء من فراخها من أجل ذلك .

قال الحسن : وصحبت ابن المبارك من خراسان إلى بغداد فما رأيته أكل وحده .

قال : وزوج النضر بن محمد ولده دَعِيَ ابن المبارك . فلما جاء قام ابن المبارك ليعخدم الناس فأبى النضر أن يدعه وحلف عليه حتى جلس .

وعن عبيد بن جناد قال : قال عطاء بن مسلم : يا عبيد رأيت عبد الله بن

(١) أى أن ناسخ الكتاب هو الذى كتب ذلك .

المبارك ؟ قلت : نعم قال : ما رأيت مثله ولا يرى مثله .

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال : ما رأيت عيناى مثل سفيان ولا أقدم على عبد الله بن المبارك أحداً .

وعن عبد الرحمن بن عبيد الله قال كنا عند الفضيل فنمى إليه ابن المبارك فقال : رحمه الله أما إنه ما خلف بعده مثله .

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال : ما رأيت عيناى أنصح لهذه الأمة من عبد الله بن المبارك .

نعيم بن حماد قال : كان عبد الله بن المبارك يُكثر الجلوس في بيته فقليل له : ألا تستوحش ؟ فقال : كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ ؟ (*) .

وعن شقيق بن إبراهيم قال : قيل لابن المبارك : إذا صليت معنا لم تجلس معنا ؟ قال : أذهب أجلس مع الصحابة والتابعين . قلنا له : ومن أين الصحابة والتابعون ؟ قال : أذهب أنظر في عملى فأدرك آثارهم وأعمالهم ، ما أصنع معكم ؟ أنتم تغتابون الناس ، فإذا كانت سنة مائتين فالبعد من كثير من الناس أقرب إلى الله ، وفِرّ من الناس كفرارك من أسد ، وتمسك بدينك يسلم لك .

وعن الحسين بن الحسن المروزي قال : قال عبد الله بن المبارك : كن مجباً للخمول كراهية الشهرة ولا تظهر من نفسك أنك تحبّ الخمول فترفع نفسك فإن دعواك الزهد من نفسك هو خروجك من الزهد لأنك تجرّ إلى نفسك الشئ والمدحة .

وعن أشعث بن شعبة المصيصي قال : قدم هارون الرشيد الرقة فأنجفل

(*) يقصد : مع أحداث رسول الله ﷺ .

الناس خلف عبد الله بن المبارك وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة وأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج من قصر الخشب فلما رأت الناس قالت : ما هذا ؟ قالوا : عالم من أهل خراسان قدم الرقة يقال له عبد الله بن المبارك . فقالت : / هذا والله المُلْك لا مُلْك هارون الذى لا يجمع الناس إلا بشرطٍ وأعوان .

وعن سويد بن سعيد قال : رأيت عبد الله بن المبارك بمكة أتى زمزم فاستقى منها ثم استقبل الكعبة فقال : اللهم إن ابن أبى الموالى حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال : [ماءُ زمزم لما شُرِب له] ^(١) وهذا أشربه لعطش القيامة . ثم شربه .

وعن نعيم بن حماد قال : كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقاق فكأنه بقرة منحورة ، من البكاء ، لا يجترئ أحد منا أن يدنو منه أو يسأله عن شيء .

قال سفيان : إني لأشتهى من عمرى كله أن أكون سنة واحدة مثل عبد الله بن المبارك فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام .

وعن عمران بن موسى الطرسوسى قال : جاء رجل فسأل سفيان الثوري عن مسألة ، فقال له من أين أنت ؟ قال : من أهل المشرق . قال : أوليس عندكم أعلم أهل المشرق ؟ قال : ومن هو يا أبا عبد الله ؟ قال : عبد الله بن المبارك . قال : وهو أعلم أهل المشرق ؟ قال : نعم وأهل المغرب .

قال ابن عيينة : نظرت فى أمر الصحابة وأمر ابن المبارك فما رأيت لهم عليه فضلاً إلا بصحبتهم النبي ﷺ وغزوهم معه .

وعن حبان بن موسى قال : عوتب ابن المبارك فيما يقرى من المال فى

(١) صحيح : أخرجه ابن ماجه ، وأحمد ، وصححه الألبانى .

البلدان ولا يفعل في أهل بلده كذلك . فقال : إني أعرف مكان قوم لهم فضلٌ وصدق طلبوا الحديث وأحسنوا الطلب ، فاحتاجوا ، فإن تركناهم ضاع علمهم وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ ، ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم .

وعن عبد الله بن ضريس قال : قيل لعبد الله بن المبارك : يا أبا عبد الرحمن إلى متى تكتب هذا الحديث ؟ فقال : لعل الكلمة التي أنتفع بها ما كتبتها بعد .

وعن الحسين بن الحسن المروزي قال : سمعت ابن المبارك يقول : أهل الدنيا خرجوا من الدنيا قبل أن يتطعموا أطيب ما فيها . قيل له : وما أطيب وما فيها ؟ قال : المعرفة بالله عز وجل .

وعن قطن بن سعيد قال : ما أفطر ابن المبارك ولا رأي نائماً قط .

وعن علي بن الحسن بن شقيق قال : سمعت ابن المبارك يقول : لأن أردّ درهماً من شبهة أحبّ إلي من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف ، حتى بلغ ستمائة ألف .

وعن عبد الله بن خبيق قال : قيل لابن المبارك : ما التواضع ؟ قال : التكبر على الأغنياء .

وعن عيَّاش بن عبد الله قال : قال عبد الله بن المبارك : لو أن رجلاً أبقى مائة شيء ولم يبق شيئاً واحداً لم يكن من المتقين ، ولو تورّع عن مائة شيء ولم يتورّع عن شيء واحد لم يكن ورعاً ومن كان فيه خلّة ^(١) من الجهل كان من الجاهلين . أما سمعت الله تعالى قال لنوح عليه السلام : ﴿ إِنَّ ابْنِي

(١) الخلّة « بفتح الخاء وضمها » الخلّة .

﴿ مِنْ أَهْلِي ﴾ ^(١) فقال الله تعالى : ﴿ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ^(٢) .

وعن عليّ بن الحسن قال : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : لا يقع موقع الكسب على العيال شيء ، ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل .

وعن عبد الله بن عمر السرخسي قال : قال لي ابن المبارك : ما أعياني شيء كما أعياني أني لا أجد أخاً في الله عز وجل .

وعن سليمان بن داود قال : سألت ابن المبارك من الناس ؟ قال : العلماء قلت فمن الملوك ؟ قال : الزهاد . قلت : فمن الغوغاء ؟ قال : خزيمة وأصحابه . قلت : فمن السفلة ^(٣) ؟ قال : الذين يعيشون بدينهم .

وعن فضيل بن عياض قال : سئل ابن المبارك : من الناس ؟ قال : العلماء . قال : فمن الملوك ؟ قال : الزهاد . قال : فمن السفلة ؟ قال : الذي يأكل بدينه .

وعن أحمد بن جميل المروزي قال : قيل لعبد الله بن المبارك : إن إسماعيل بن عُلَيَّة قد ولي الصدقات . فكتب إليه ابن المبارك :

يا جاعلَ العلم له بازياً	يصطاد أموال المساكين
إحتلت للدنيا ولذاتها	بحيلةٍ تذهب بالدين
فصرت مجنوناً بها بعد ما	كنت دواءً للمجانين
أين رواياتك في سردها	عن ابن عون وابن سيرين ؟
أين رواياتك والقول في	لزوم أبواب السلاطين ؟
إن قلت أكرهت فماذا كذا	زال حمار العلم في الطين

(١) سورة هود الآية « ٤٥ » .

(٢) سورة هود الآية « ٤٦ » .

(٣) سفلة القوم « بفتح فكسر ، أو بكسر فسكون » : سقاطهم وغوغاؤهم .

فلما قرأ الكتاب بكى واستغفى .

وعن محمد بن عليّ بن الحسن بن شقيق قال : سمعت أبي يقول : كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو فيقولون : نصحبك يا أبا عبد الرحمن فيقول لهم : هاتوا نفقاتكم . فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق ويقفل عليها ثم يكتري لهم ويخرجهم من مرو إلى بغداد ، فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلواء . ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زىٍّ وأكمل مروءة ، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ ، فإذا صاروا إلى المدينة قال لكل رجل منهم : ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة ، من طرفها ؟ فيقول : كذا ، ثم يخرجهم إلى مكة فإذا وصلوا إلى مكة فقضوا حوائجهم قال لكل رجل منهم : ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة ؟ فيقول : كذا وكذا . فيشتري لهم ويخرجهم من مكة . فلا يزال ينفق عليهم حتى يصيروا إلى مرو فإذا وصلوا إلى مرو حصّص أبوإبهم ودورهم . فإذا كان بعد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة وكساهم فإذا أكلوا وشربوا دعا بالصندوق ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرّته بعد أن كتب عليها اسمه .

قال أبي : أخبرني خادمه أنه عمل آخره سفره سافرها دعوة فقدّم إلى الناس خمسة وعشرين خواناً فالودجاً .

قال : وبلغنا أنه قال للفضيل بن عياض : لولاك وأصحابك ما أجتزت .

قال أبي : وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مائة ألف درهم .

وعن محمد بن عيسى قال : كان عبد الله بن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس ، وكان ينزل الرّقة في خان ، فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه

ويسمع منه الحديث . قال : فقدم عبد الله الرقة مرة فلم ير ذلك الشاب وكان مستعجلاً ، فخرج في النفير^(١) فلما قفل من غزوته ورجع إلى الرقة سأل عن الشاب فقالوا : إنه محبوس لدين ركه . فقال عبد الله : وكم مبلغ دينه ؟ قالوا عشرة ألف درهم فلم يزل يستقصي حتى دلّ على صاحب المال فدعا به ليلاً ووزن له عشرة آلاف درهم وحلفه أن لا يخبر أحداً ما دام عبد الله حياً . وقال : إذا أصبحت فأخرج الرجل من الحبس .

وأدلى عبد الله^(٢) وأخرج الفتى من الحبس ، وقيل له : عبد الله ابن المبارك كان هاهنا وكان يذكرك ، وقد خرج . فخرج الفتى في أثره فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة ، فقال : يافتى أين كنت ؟ لم أراك في الخان ؟ قال : نعم يا أبا عبد الرحمن كنت محبوساً بدين . قال : وكيف كان سبب خلاصك ؟ قال : جاء رجل وقضى ديني ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس . فقال له عبد الله : يا فتى أحمد الله على ما وفقك لك من قضاء دينك . فلم يخبر ذلك الرجل أحداً إلا بعد موت عبد الله .

وعن سلمة بن سليمان قال : جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فسأله أن يقضى ديناً عليه . فكتب إلى وكيل له . فلما ورد عليه الكتاب قال له الوكيل : كم الدين الذي سألت فيه عبد الله أن يقضيه عنك ؟ قال : سبعمائة درهم . فكتب إلى عبد الله : إن هذا الرجل سألك أن تقضى سبعمائة درهم . فكتبت له بسبعة آلاف ، وقد فئت الغلات . فكتب إليه عبد الله : إن كانت الغلات قد فئت فإن العمر أيضاً قد فنى فأجر له ما سبق به قلمي .

وعن معاذ بن خالد قال : تعرفت إلى إسماعيل بن عياش بعبد الله^(٣) بن

(١) النفير : القوم الذين ينفرون إلى الجهاد .

(٢) سار ليلاً .

(٣) أى بوساطة عبد الله .

المبارك فقال إسماعيل بن عيَّاش : ما على وجه الأرض مثل عبد الله بن المبارك ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير إلا وقد جعلها في عبد الله بن المبارك ، وقد حدثني أصحابي أنهم صحبوه من مصر إلى مكة فكان يطعمهم الخبيص ، وهو الدهر ^(١) صائم .

عن عبد الله بن حبيق قال : قال رجل لابن المبارك : أوصني . فقال : اعرف قدرك .

وعن سعيد بن يعقوب الطالقاني قال : قال رجل لابن المبارك : هل بقي من ينصح ؟ قال فقال : وهل تعرف من يقبل ؟ .

وعن عبدة بن سليمان قال : كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم فصادفنا العدو فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز . فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله ، ثم آخر فقتله . ثم دعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله . فازدحم عليه الناس وكنت فيمن ازدحم عليه فإذا هو ملثم وجهه بكمة فأخذت بطرف كمة فمددته فإذا هو عبد الله بن المبارك فقال : وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع ^(٢) علينا .

عن أبي وعن أبو وهب قال : مرّ ابن المبارك برجل أعمى فقال : أسألك أن تدعوا الله أن يرد بصري . قال : فدعا الله فردّ عليه بصره . وأنا أنظر .

وعن الحسن بن عرفة قال : قال لي ابن المبارك : استعرت قلماً بأرض الشام فذهب على أن أردّه إلى صاحبه فلما قدمت مرو نظرت فإذا هو معي ، فرجعت يا أبا عليّ إلى أرض الشام حتى رددته على صاحبه .

وعن شريح بن مسلمة قال : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : كاد

(١) الدهر : أى طوال الدهر .

(٢) شنع عليه : كثر عليه الشناعة ، وهى القبح .

الأدب يكون ثلثي الدين .

وعن أبو بكر بن عبد الله بن حسن قال : قال ابن المبارك : طلبنا العلم للدينا فدلنا على ترك الدنيا .

وعن أحمد بن الزبير قال : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : إن الصالحين فيما مضى كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفواً وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا إلا على كرهٍ فينبغي لنا أن نكرهها .

عن القاسم بن محمد قال : كنا نساfer مع ابن المبارك فكثيراً ما كان يخطر ببالي فأقول في نفسي : بأي شيء فضل هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة ؟ إن كان يصلي إنا لنصلي ، ولئن كان يصوم إنا لنصوم ، وإن كان يغزو إنا لنغزو ، وإن كان يحج إنا لنحج .

قال : فكنا في بعض مسيرنا في طريق الشام ليلة نتعشى في بيت إذا طفئ السراج فقام بعضنا فأخذ السراج وخرج يستصبح^(١) فمكث هنية ثم جاء بالسراج فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت من الدموع ، فقلت في نفسي : بهذه الخشية فضل هذا الرجل علينا ، ولعله حين فقد السراج فصار إلى الظلمة ذكر القيامة .

قال المروزي : وسمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل قال : ما رفع الله ابن المبارك إلا بخبيئة كانت له .

قال المروزي : وأخبرت عن داود بن رشيد قال : كان ابن المبارك عند أبي الأحوص فجاء رسول فلان الهاشمي بعض الولاة فقال : يقرئك السلام ويقول : يا أبا الأحوص هذا شهر رمضان وقد وسعنا على عيالنا وهذه ألف درهم

(١) استصبح : أوقد المصباح واستضاء . والمراد خرج يبحث عما يوقد به المصباح .

توسع بها عليهم في هذا الشهر . قال أبو الأحوص : فعل الله به وفعل به .
وقال : قل له يدعها عنده حتى إذا احتجنا إليها بعثنا فأخذناها .

قال : وانسلّ ابن المبارك إلى منزله فجاء بألف فقال : يا أبا الأحوص هذه
الألف تُنفقها فإنّي لا آمن أن يكون قد بلغ أهلك في خاصمونك ، وهذه من
وجه أرجو أن تكون أطيّب قبيلها .

وعن الحسن بن الربيع قال : سمعت ابن المبارك حين حضرته الوفاة وأقبل
نصير يقول له : يا أبا عبد الرحمن ، قل لا إله إلا الله . فقال له : يا نصير قد
ترى شدة الكلام عليّ فإذا سمعتني قلّتها فلا تردّها عليّ حتى تسمعني قد
أحدثت بعدها كلاماً ، فإنما كانوا يستحبّون أن يكون آخر كلام العبد ذلك .

وعن محمد بن فضل بن عياض قال : رأيت عبد الله بن المبارك في المنام
فقلت . أيّ الأعمال وجدت أفضل ؟ قال : الأمر الذي كنت فيه . قلت :
الرباطُ والجهاد ؟ قال : نعم . قلت : فأى شيء صنع بك ربك ؟ قال : غفر
لي مغفرة ما بعدها مغفرة وكلمتني امرأة من أهل الجنة أو امرأة من الحور
العين .

ابنة أم حسام الأسدية

عن سفيان الثوري قال : دخلت على بنت حسان الأسدية وفي جبهتها مثل رُكبة العنز من أثر السجود . فقلت لها : يا ابنة أم حسان ألا تأتين عبد الله بن شهاب بن عبد الله ؟ فلو رفعت إليه رقعة فلعله أن يعطيك من زكاة ماله ما تُغَيِّرِينَ به بعض الحاجة التي أراها بك . فدعت بمعجراً^(١) فاعتجرت به وقالت : يا سفيان قد كان لك في قلبي رجحان كثير فقد أذهب الله برجحانك من قلبي ، ياسفيان ، تأمرني أن أسأل الدنيا من لا يملكها ؟ .

قال سفيان : وكان إذا جنّ عليها الليل^(٢) دخلت محراباً لها وأغلقت عليها ثم نادى : إلهي خلا كل حبيب بحبيبه ، وأنا خالية بك يا محبوب ، فما كان من سُخْنٍ يسُخِّن من عصاك إلا جهنم ، ولا عذاب إلا النهار .

قال سفيان : فدخلت عليها بعد ثلاث فإذا الجوع قد أثر في وجهها فقلت لها : يا بنت أم حسان إنك لن تؤتى أكثر مما أُوتى موسى والخضر عليهما السلام ، إذ أتيا أهل قرية استطعما أهلها .

فقلت : يا سفيان قل الحمد لله . فقلت : الحمد لله . فقالت : اعترفت له بالشكر ؟ قلت : نعم . قالت : وجب عليك من معرفة الشكر شكر وبمعرفة الشكرين شكر لا ينقضي أبداً .

(١) المعجبر بالكسر ما تشد به المرأة على رأسها يقال اعتجرت المرأة والاعتجار أيضاً لف العصابة على الرأس

(٢) جن عليه الليل وجهه الليل ، يجهه بالصم جنوناً وأجنه مثله والمعنى في الكل : ستره .

قال سفيان : فَقَصُرُ ، والله علمي وفه لسانى فوليت أريد الخروج :
فقلت : ياسفيان كفى بالمرء جهلاً أن يُعجب بعلمه ، وكفى بالمرء علماً أن
يخشى الله ، اعلم أنه لن تنقى القلوب من الردى حتى تكون الهموم كلها فى
الله همأ واحداً .

الخاتمة

اعلم يا مسكين أنك على القرب لا محالة مرتحل وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ، وأكثر من ذكر الموت فإنك لا تكون في ضيق من أمرك ومعيشتك فتذكر الموت إلا اتسع ذلك عليك ، ولا تكون في سرور من أمرك وغبطة فتذكر الموت إلا ضيق ذلك عليك ، فإن من كان قبلكم كانوا يجمعون كثيراً ويبنون شديداً ويأملون بعيداً فأصبح جمعهم بوراً وبنيانهم قبوراً وأملهم غروراً فكم من مستقبل يوماً لا يستكلمه ومنتظر غداً لا يبلغه ، ولو نظرتم إلى الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : ثلاث أضحكتني حتى أبكتني « طالب دنيا والموت يطلبه وضاحك ملء فيه ولا يدرى أَرْضَى ربه أم أسخطه وغافل ليس بمغفول عنه » وتفكر وتأمل فيما ستصير إليه ، فلعلك تنطق كما نطق عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال : « قبور خرقت الأكفان ومزقت الأبدان ومصت الدم وأكلت اللحم ترى ما صنعت بهم الديدان ؟ محت الألوان وعفرت الوجوه وكسرت الفقار وأبانت الأعضاء ومزقت الأشلاء ، ترى أليس الليل والنهار عليهم سواء ؟ أليس هم في مدلهمة ظلماء ؟ كم من ناعم وناعمة أصبحوا وجوههم بالية وأجسادهم عن أعناقهم نائية قد سالت الحدق على الوجنات وامتلاأت الأفواه دماً وصديداً ثم لم يلبثوا والله إلا يسيراً حتى عادت العظام رميماً ، قد فارقوا الحقائق فصاروا بعد السعة إلى المضائق ثم راح ينادى يا ساكن القبر غداً ما الذى غرك من الدنيا ؟ أين دارك الفيحاء ؟ وأين رفاق ثيابك ؟ » ليت شعرى ، كيف ستصبر على خشونة

الشرى وبأى خديك يبدأ البلى ؟ ثم يأتى الحسن البصرى ينادى « المبادرة المبادرة فإنما هى الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم إنكم أصبحتم فى أجل منقوص والعمل محفوظ والموت والله فى رقابكم والنار بين أيديكم فتوقعوا قضاء الله عز وجل فى كل يوم وليلة لقد فضح الموت فلم يترك لذى لب فرحاً وإن أمراً هذا الموت آخره لتحقيق أن يزهد فى أوله وإن أمراً هذا الموت أوله لتحقيق أن يخاف آخره إنك والله أن تصحب أقواماً يخوفونك حتى تدرك أمنا خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمنوك حتى تلحقك المخاوف ، وينكشف للإنسان بالموت ما لم يكن مكشوفاً له فى الحياة والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وأول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته فلا ينظر إلى سيئة إلا ويتحسر عليها وعند ذلك يقال له ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ ^(١) فانظر إلى هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن إليها قبل نزول عذاب القبر به بل عند موته - نعوذ بالله منه - فإن الخزي والافتضاح وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما وأعظم من ذلك كله الأخطار التى بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء إما بالإسعاد وإما بالإشقاء فهذه أحوال لا بد لك من معرفتها ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر فى ذلك لينبعث من قلبك دواعى الاستعداد

(١) سورة الإسراء الآية « ١٤ » .

لها وكما قالوا من لم يردعه ذكر الموت والقبور والآخرة فلو تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع . ويكفى أن تنظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غرلا إلى أرض المحشر أرض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً ولا ترى عليها ربوة يختفى الإنسان ورائها ولا وهدة ينخفض عن الأعين فيها يساقون إليه زمراً ، فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الأولى والرادفة ، هي النفخة الثانية وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة ولتلك الأبصار أن تكون خاشعة . قال رسول الله ﷺ : [يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها معلم لأحد] ^(١) وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ ^(٢) فانظريا مسكين في هول ذلك اليوم وشدته فإنه إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمست الشمس والقمر وأظلمت الأرض لخمود سراجها فبيناهم كذلك إذا دارت السماء من فوق رءوسهم وانشقت مع غلظها والملائكة قيام على حافات وأرجائها ، فيا هيبة ليوم تنشق فيه السماء فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذن حتى قالت أم المؤمنين عائشة واسواتاه ينظر بعضنا إلى بعض ؟ فقال النبي ﷺ شغل الناس عن ذلك بهم ﴿ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ ^(٣) فأعظم

(١) صحيح : متفق عليه .

(٢) سورة إبراهيم الآية « ٤٨ » .

(٣) سورة عبس الآية « ٣٧ » .

بيوم تنكشف فيه العورات يؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات . كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات إلى غيرهم . قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : [يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفاً مشاة ، وصنفاً ركباناً ، وصنفاً على وجوههم ، فقال رجل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال : الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم] ^(١) وفي الصحيحين من حديث أنس أن رجلاً قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ قال : [أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة] . فإياك أن تنكر شيئاً من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما في الدنيا ، فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكاراً لها فأحضر في قلبك صورتك وأنت واقف عارياً مكشوفاً ذليلاً مدحوراً متحيراً مبهوراً منتظراً لما يجري عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاوة ، وأعظم هذه الحال فإنها عظيمة .

وما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدراً خمسين ألف سنة لا يأكلون فيه أكله ولا يشربون فيه شربه حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشاً واحتترقت أجوافهم جوعاً انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد لفحها فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضاً في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم فقال كل نبي : نفسي نفسي وقال كل واحد : قد غضب اليوم ربنا غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا ﷺ لمن يؤذن له فيه لا يملكون الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولاً . فتأمل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخلف عليك

(١) رواه الترمذی وحسنه .

انتصار الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر والمؤمن له شأن آخر يوم القيامة .
 قال رسول الله ﷺ : [والذي نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون
 أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصلّيها في الدنيا] ثم توهم نفسك وقد
 أخذت الملائكة بعضدك وأنت واقف بين يدي الله تعالى يسألك شفاهاً
 فيقول لك : ألم أنعم عليك بالشباب ؟ ففيما إذا أبلّيته ؟ ألم أمهل لك في
 العمر ؟ فماذا عملت فيما علمت ؟ فكيف ترى حيائك وخجلتك وهو يعد
 عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك .
 قال أنس رضي الله عنه : كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ثم قال : [أتدرون مم
 أضحك ؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال : من مخاطبة العبد ربه يقول يارب
 ألم تجرني من الظلم قال : يقول بلى قال فيقول فإنّي لا أجيز على
 نفسي إلا شاهداً مني فيقول كفى بنفسك عليك حسيباً وبالكرام
 الكاتين شهوداً قال : فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي قال فتنطق
 بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه : بعداً لكن وسحقاً
 فعنكن كنت أناضل] ^(١) .

فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء . إلا أن الله
 تعالى وعد المؤمن بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره . سأل ابن عمر رجل فقال
 له : كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى فقال : قال رسول الله ﷺ :
 [يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا
 فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول إني سترتها
 عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم] ^(٢) ثم تفكر في عظم حيائك إذا

(١) صحيح : رواه مسلم .

(٢) صحيح : رواه مسلم .

ذكرك بذنوبك شفاهاً إذ يقول يا عبدى أما استحييت منى فبارزتنى بالقبيح واستحييت من خلقى فأظهرت لهم الجميل ؟ أكنت أهون عليك من سائر عبادى ؟ أستخففت بنظرى إليك فلم تكثرث واستعظمت نظر غيرى ؟ ألم أنعم عليك ؟ فيقول : بلى فيقول : ألم أرسل إليك رسولا ؟ فيقول : بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليتنق أحدكم النار ولو بشق تمره فإن لم يجد فبكلمة طيبة .

ثم يا أيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال دع الفكر فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر إلى موردك فإنك أخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قيل : ﴿ وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۖ ﴾ (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۖ ﴾ (٧٢) ^(١) فأنت من الورود على يقين ومن النجاة فى شك فاستشعر فى قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه وتأمل فى حال الخلائق وقد قاسوا من دواهى القيامة ما قاسوا فبينما هم فى كربها وأهوالها وقوفاً ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيق شفعاؤها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيراً وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب حتى أشفق البراء من سوء المنقلب وخرج المنادى من الزبانية قائلاً : أين فلان بن فلان المسوف نفسه فى الدنيا بطول الأمل المضيع عمره فى سوء العمل ؟ فيبادرونه بمقامع من حديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد وينكسونه فى قعر الجحيم ويقولون له :

﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (٤٩) ﴿ (١) فاسكنوا داراً يوقد فيها السعير
 شرايبهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم ، الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم
 أمانيتهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك قد شدت أقدامهم إلى النواصي
 واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ
 قَالَ إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ ﴾ (٧٧) ﴿ (٢) ويقال لهم : ﴿ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا
 تُكَلِّمُونِ ﴾ (١٠٨) ﴿ (٣) ولو أخرجتم لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون فعند ذلك
 يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ، ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم
 الأسف بل يكون على وجوههم مغلولين النار تحيط بهم من كل جانب . قال
 رسول الله ﷺ : [إن أدنى أهل النار عذاباً يوم القيامة يتعل بنقلين من نار
 يغلي دماغه من حرارة نعليه] (٤) وقال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ :
 [لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا
 معاشهم فكيف من تكون طعامه ؟] (٥) وقال النبي ﷺ : [يؤتى بجهنم
 يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك] (٦) فسق
 نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم فبذلك تنال
 الملك العظيم وتسلم من العذاب الأليم ، قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ :
 [ينادى مناد : يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وإن
 لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم

(١) سورة الدخان الآية « ٤٩ » .

(٢) سورة الزخرف الآية « ٧٧ » .

(٣) سورة المؤمنون الآية « ١٠٨ » .

(٤) صحيح : متفق عليه .

(٥) صحيح : رواه الترمذى والنسائى وأحمد وغيرهم ، وصححه الألبانى

(٦) صحيح : رواه مسلم .

أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تُيَاسُوا أَبَدًا] ^(١) ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ
الْجَنَّةَ أَوْ رِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٢) فشمّر عن ساعد الجد وإذا رأيت
الرجل ينافسك في الدنيا فنافس في الآخرة وإن استطعت شهرة زائفة كاذبة
على حساب دينك ثم احذر أن توالى أو تحب من كفر بالله حتى وإن كان
مشهوراً وذلك لأن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ، واحرص
على طاعة ربك والبعد عن كل ما يفضبه سبحانه وتعالى .
ونسأل الله الإخلاص في القول والعمل ونشئ عليه سبحانه بما هو أهله .

وَأَخْرَجَ عَوَانَا أَيْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

كتبه

سعيد عبد العظيم

من ربيع الأول ١٤١٩

يوليو ١٩٩٨

(١) صحيح : رواه مسلم .

(٢) سورة الأعراف الآية « ٤٣ » .

الفهرس

رقم الصفحة

- مقدمة ٥
- الشهرة ومشتقاتها ١١
- السبق والمنافسة ١٣
- والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ١٦
- لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه ١٧
- بعض صور الشهرة ٢١
- أولاً : الشهرة بالعلم والصلاح ٢١
- مراتب الهداية ٢٣
- العظماء مائة أعظمهم محمد ﷺ !! ٣٠
- فاضل ربنا بين خلقه ٣٠
- تفضيل الأنبياء على غيرهم ٣١
- أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ٣١
- ضلال من فضل الأئمة والأولياء على الأنبياء ٣٢
- من سبقنا بالزمان سبقناه بالإيمان والعبرة بمن صدق ٣٣
- إن أكرمكم عند الله أتقاكم ٣٤
- سفهت العقول عندما قدمت الفنانين على الأنبياء !!! ٣٤
- ميكافيللى أحد صناع الشهرة الزائفة ٣٦
- كيف صنعوا المشاهير ببلادنا ٣٨

- ٤١ آفات الشهر . ●
- ٤١ (١) إرادة الإنسان بعمله الدنيا .
- ٤٣ (٢) الرياء .
- ٤٧ (٣) الكبر .
- ٥٠ (٤) العجب والغرور .
- ٥٥ (٥) الحسد .
- ٥٧ (٦) تقديم المفضل على الفاضل بسبب الشهرة .
- ٥٩ ● حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا
- ٦٤ ● نصائح هامة وغالية بين يدي موضوع الاتقياء الأخفياء .
- ٦٤ الأولى : تعريفات هامة
- ٦٥ الثانية : لحوم العلماء مسمومة .
- ٦٦ الثالثة : لا عصمة لأحد بعد النبي .
- ٦٧ الرابعة : أولياء الله هم المتقون في كل زمان ومكان
- الخامسة : المنامات والكشوفات والفتوحات من أدلة
- ٦٧ الاستنباط عند الصوفية .
- ٦٨ السادسة : نرجو للمحسن ونخاف على المسيء .
- ٦٩ السابعة : نقبل من الناس علانيتهم ونكل سريرتهم لله .
- ٧٠ الثامنة : تتعلق بالألفاظ والمصطلحات التي لم ترد في السنة .
- ٧١ التاسعة : تتعلق بالزهد .
- ٧٢ العاشرة : البدعة .
- الحادية عشر : أفضل الصيام نبي الله داود كان يصوم يوم
- ٧٢ ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى

- الثانية عشر : تتعلق بالصياح والزعيق والنهاق إظهاراً
 ٧٣ للخوف .
- الثالثة عشرة : أحكام وضوابط الأخذ من كتب غير
 ٧٥ المسلمين .
- الرابعة عشر
 ٧٦
 ٧٩ ● أتقياء أخفياء .
 ٨٠ ● ذو القرنين .
 ٨٤ ● أصحاب الكهف .
 ٩٠ ● صاحب يس .
 ٩٦ ● عبد الله الغلام .
 ١٠١ ● المؤمن وصاحب الجنتين .
 ١٠٥ ● مؤمن آل فرعون .
 ١١٠ ● آسية بنت مزاحم .
 ١١٢ ● صاحبة الضفيرتين وابنها .
 ١١٤ ● قصة طريفة لرجل كان يعبد صنماً في البحر .
 ١١٦ ● أمنت بالله ، ومن توكل على الله كفاه .
 ١١٨ ● صحبة أورثت دروساً قيمة .
 ١٢٠ ● أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يستأثروا به دوننا ؟ .
 ١٢٢ ● عبد الله بن عمر بن عبد العزيز .
 ١٢٤ ● قصة سعيد بن جبير مع الحجاج بن يوسف الثقفي وقتل سعيد .
 ١٢٨ ● ينايع الحكمة .
 ١٢٩ ● هل تعرف جليسياً ؟ .

- وماذا تعرف عن ذى البجادين ؟ ١٣٢
- حدير ١٣٤
- سعيد بن عامر ١٣٦
- أويس بن عامر القرني ١٣٩
- عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ١٤٣
- عتبة الغلام وهو عتبة بن أبان بن صمعة ١٤٩
- شميّط بن عجلان ١٥٣
- حبيب أبو محمد الفارسي ١٥٩
- محمد بن واسع بن جابر ١٦٤
- ثابت بن مسلم البناني ١٦٩
- العلاء بن زياد بن مطر العدوي ١٧١
- محمد بن سيرين ١٧٣
- بكر بن عبد الله المزني ١٧٩
- حفصه بنت سيرين ١٨١
- منية البصرية وابنتها ١٨٤
- رابعة العدوية ١٨٥
- أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج ١٨٨
- جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين ١٩٣
- عطاء بن أبي رباح ١٩٨
- وهيب بن الورد بن أبي الورد ٢٠١
- عروة بن الزبير بن العوام ٢٠٧
- القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رحمه الله ٢١٠

- عابدتان بغداديتان ٢١٢
- بشر بن الحارث الحافى ٢١٤
- أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيبانى ٢٢٠
- الفضيل بن عياض التميمى ٢٢٢
- أبو مسلم الخولانى واسمه عبد الله بن ثوب ٢٢٩
- الضحاك بن مزاحم الهلالى يكنى أبا القاسم ٢٣٥
- عطاء بن أبى مسلم ٢٣٦
- إبراهيم بن أدهم يكنى أبا إسحاق ٢٣٨
- أبو يعقوب الزيات ٢٤٤
- الجنيد بن محمد بن الجنيد ٢٤٥
- عبد الله بن المبارك ٢٤٩
- ابنة أم حسام الأسدية ٢٦٠
- الخاتمة ٢٦٢
- الفهرس ٢٧٠